



عَلَّمَ الدِّينَ

لحضرة العالم الفاضل صاحب السعادة

علي باشا مبارك

مطر الاشغال العمومية المصرية سابقاً

الجزء الاول

طبع في مطبعة حريدة المروسة بالاسكندرية

١٢٩٩



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مصور الأكوان ومدبرها ومقدر الإحتمال ومسيرها وحلي الله
 على سيدنا محمد شمس النعمى ونور الهدى وحلى اله وصحه مصابيح الدجى
 وكل من بنورم اهتدى وبهتلم اقتدى وملم تسلياً كلياً دائماً وأبداً
 وبعد من طار في هذا العالم وسير أحواله ويدير قضايته التي طوى
 عليها الخالق جل اسمه بقوته ومدبرها بحكمته وجد بين أفراد كل نوع من
 أصنافه وبين كل نوع وغيره من العالم وكل جنس وآخر من أجناسه ارتباطاً
 تاماً يستدعيه كمال نظامه كما أنه يجد هذا الارتباط بين العالم السفلي والعالم
 العلوي أيضاً ألا ترى أن الشمس تشرق على الأرض مانولاً لها فتنبث أشعتها
 في أمانها وأجزائها فينصل بواسطة الحرارة بخارج برقع لحنو على المياه فينعد
 سحابها في جو السماء بقره الريح تنميه إلى حيث شاء الله من الأماكن القاصية
 والداخلية منها ثم يسقط على الأرض منه تفرج به الأرض أصناف النبات والثمار
 رزقاً للعباد كما قال الله سبحانه وحملنا سراجاً وماءاً وانزلنا من المعصرات ماء
 ثجاجاً لنخرج به حيا وميتاً وجنات النافاث ثم يرى أن كل مخلوق حصل على شيء
 من هذا العالم إما كان ما يزل من السماء أو يخرج من الأرض صار ذلك
 الشيء أشبه بدين في ذمته مجبور على وفائه فصب عليه الحكم الأزلية والأحكام
 العلمية تتوهمه وإدائه بعد حين إلى الأرض أو السماء بواسطة التحليل والتكوين
 الجذابين المتعادلين لاستمرار النظام ونقاء هذا الكون إلى أن يشاء الله
 فإذا علمنا ذلك في الأمور الطبيعية والإحتمال التمرية ناسب أن نراعيه
 كذلك في أحوالنا الإرادية وأعمالنا الإختيارية
 فكل خير حصلنا عليه في هذه الحياة لربما أسما اليوم شعور به ومقابلته
 بالمحتمل على قدر الامكان وهل جزم الاحتمال الا الاحتمال
 مثلاً نحن قد تربينا في هذا الوجود حتى صرنا على حالة من أحوال

الكمال وصلنا اليها ولم يكن نشأنا عليها فترتب علينا ان نربي غيرنا حتى
يصلوا الى نحو ذلك ثم هم يربون غيرهم وهكذا ومن اعظم ما يرى انفسنا
مدبوس له مطالبين من جهة معجزين بحقوقه المفسدة هذا الوطن
الخليل الذي نشأنا به وعشنا فوق ارضه ونحت سبائمه ونعشنا بهائمته وروسا
بماثه واعندنا نساؤه وحيوانه واسعنا سائر احزائه وهو في كل آن يمدنا
وعيدنا واعطينا وبريدنا كما كان صسعه مع اناسنا واجدادنا السابقين
وكذلك يكون شأنه مع اناسنا واحفادنا اللاحقين فلربما ان نندره حتى
قدره ونأتي على احر جهدها واستطاعنا في منعمته وحبره ولا شيء اضع له
واجلب للحر والركه اليه من تعليم اسائه وث المعارف والفنون النافعة
فيهم حتى يعرفوا حقوقه ويكونوا بذرا واحدة في نعمه وحدته وانصالة الى غاية
ما يمكن ان يصل اليه من العظمة والسعادة والرفعة وعلو المكانة وبذلك
يرداد حبرانه وبركاته عليهم وعلى تسلمهم وعظمهم وحلهم من بعدم وهذا لا
يكون الا بالعلم والمعرفة وحسن الدراسة فان الجاهل لا يحسن بيع نفسه
فصلا عن بيع غيره لانه لا يميز بين المنفعة والمصرف ولو عرف المنفعة لا
يعرف الطرق الموصلة اليها ولو عرف لا يهتدي لاحسائها واقرها بالمقصود
واسلمها من الآفات والمحدور بل طال ما اراد ان يبيع ففصر وطلب التحير
فاحسب الشر فان الجاهل اعنى ولو كان بصيرا فهو يخطئ في طلبات التي
والبحر لا يضر المنفعة ولا يهتدي الى الصواب ولا يدري حاله وما عليه
ولا يعلم حقوق نفسه ولا يعرف حقوق غيره وان وقع على العرض بما لصدفة
والا اتفاق رمة من عار رام وصاحب النصل والمعرفة يسري اعماله مسهرا
بصباح علمه فيمير التحير من الشر والمليح من القبح ويرى الصواب واصحها فيقتصد
ويخرج الحق ببرا فيسلكه ويعرف قدر نفسه وعيظه وماله على غيره وما لغيره
عليه ويرى حقوق وطنه فيأخذ نفسه بمصائبها وحسن القيام بها عارفا ان نعمه
لوطه مع كونه حقا يقصيه ودنا بؤده انما هو في الحقيقة بيع نفسه لما لا رية
فيه عن من ان حبر ملاده وحصلها وبركتها ونعمتها ورفعة شأنها كل
ذلك فائدة له وعكسه بعكسه فلذا كان بيع وطنه بيع نفسه كصاحب الارض

مفلأ يتفجع بجبراتها ويحني ثراها فيرتب عليه آراء ذلك ان يقوم بخدمها
 وإدائه ما يلزمها وسعها ويصلح شأنها من تقليب وتقصيب وتهيب وتسميد
 وري وطبي وهو ذلك فاداء فعل ما ذكره مد. أدى ما عليه من جهتها في
 نظير ما اتفق به منها وبذلك يصلح الارض وتخص وتعلو قيمتها مذكر عليه
 خورائها وتتمو حاصلاتها معود عليه بهنح احمر وتريك حيرا وهلم حرا

هذا واني لمعترف بفضل هذا الوطن العزيز عليّ فقد نشأت في طلي
 وقلعت في مهك وتربيت في حجر كماله ونعمته حتى صرت من اسائه
 المعدودين ورجالته المعروفين وبمعت صغورا وكبرا بكثير من حيرانه وثمراته
 ولا ارال منها بطيباته فاجدني وان استوفيت المجهود وقصيت العمري
 خدمته لم اقم عشر معشار ما عليّ من واجباته وحقوقه ولكن عرفاني لذلك
 واعتزافي به لا يمحي من بدل جهد المل والاسناء لعانة الاستطاعة ولهذا التزمت في
 كل ما نفلت من الاعمال وجميع ما نعلت فيه من الاحوال ان اخدم وطبي بكل
 ما ماله يدي وبلغه امكاني ما اراه يعود عليه بالفايدة والمنع قل او جل كالسي
 في استكثار المكاتب والمدارس وتعميم التربية والتعليم وبشر الكتب المفيدة اما
 بالاشغال في تأليفها سسي او بالبحث والتحريرص عليها لم ارى به اهلية
 القيام بها

وقد رأيت القوس كثيرا ما تميل الى السر والقصص وملح الكلام
 بخلاف الفنون الحقة والعلوم المفضة فقد تعرض عنها في كثير من الاحيان
 لا سيما عند السآمة والملال من كثرة الاشغال وفي اوقات عدم حوالال
 محذاني هذا امام نظارتي لدبول المعارف الى عمل كتاب اصحه كثيرا
 من اللوائد و سب حكاية لطيفة يشط الباطر فيها الى مطالعها ويرغب
 فيها رغبه عظموا اولاد من هذا السيل مجد في طريقه تلك اللوائد يالها
 في صغره لم يتقدم في رسم الفائدة وث الممعة

لهب مستمدا من عناية الله مستعبا في هديب
 في الاسائنة لا سيما العالم العاقل السيد
 المعارف فاه صرف عانيته الى تفج

ما اطلع عليه من تلك الكتاب وليس بالليل هذب معانيه وشذب ثيابه
وقرب ثيابه ثيابه ككاتباً جامعاً اشمل على جبل شئ من غرر الفوائد المنفرقة في
كثير من الكتب العربية والافرنجية في العلوم الشرعية والعلوم الصالحة
والسرار الخفية والخرائب المظنونة والجنائب التي لا يجر وما تلبس نوع الانسان
فيه من الاطوار والاندوار في الزمن القادر وما هو عليه في الوقت الحاضر
وما طرأ عليه من تقدم وتقهقر وهذا وكثير وراحة وهذا ويوم وهذا
الذي غير ذلك من الشؤون بقلب الدهور وتصرف الامور مع الاستكثار من
المقابلة والمقارنة بين احواله وعاداته في الاوقات المتفاوتة والاعمال المماثلة
ليطلع مطالعه على ما يشهد حاطره وبنيته فربيعه ويستنهض فكره وبدرجه
لا تحال تشد وامعان نظره واستعمال بصره في تلك الامور وسرها وتدبرها
ومقارنتها والمقارنة بينها والتمييز بين الخير والشر والبع والشر وتخير النافع
والانفع والخس والافضل منها على خط يسمو عن السامة ولا يهل الى الملالة
ملوكاً في قالب سياحة شيخ عالم مصري وم يعلم الدين مع رجل اسكندر
كلاهما هان من هان نبطها سمط الحديث لتاني المقارنة بين الاحوال المشرقية
والاوروبية

وكل ما وقع تحت نظر الناظر وقرع السمع وشغل البال وحرك قوة
من قوى البدن من السياحة يحك الناظر في الكتاب مستوفي اليان مشعاً
فيه الكلام بحسب المقام وقد قسمته الى معامرات يتعل فيها القاري تنقل المسافر
ويجد فيها فكاهة المصامير كما ينفع به المعلم والمعلم فيكون الاول متكرراً منها
والثاني معلماً مقبلاً والله المستول ان يتم النفع بهذا الكتاب وان يجعله
ذخيرة عند ليوم المآب

تار

مع لعمري لا لا

ها ورعة شأها كل

مع مع كصاحب الارض



بِكَ اسْتَعِين

المعاصرة الاولى
السر

حكى انه كان بقريه من قرى مصر فيما سلف من العصر
رحل من فقهاء الريف كان يصلي بالناس في جامع القرية
ويعلم اطعالم كتاب الله عز وجل وكان من اهل الفضل
والصلاح ررقه الله على الكبرولد سماه علم الدين تراثا بان
يكون من اعلام العلماء المتهدين ثم انه رثاه في كتابه وآدبه
مجانس آدابه الى ان ترعرع الغلام وحفظ عن والده كتاب الله
العظيم وبعض متون صغيرة ومبادئ فصول يسيرة فرأى فيه
والده اثار الدكاء ومخائيل المحامه وحسن التريجة ومحة العلم
والقبول لما يلقي عليه والقبالية لما يساق اليه فاراد اكمال تربيته
وتعليمه في اوان شبيبته حتى يلحق برتبة اكار العلماء فقد قال
الحكماء علموا اولادكم صغاراً تتفعوا بهم كباراً وقالوا من لم يعلم
في صغره لم يتقدم في كبره وقال الشاعر

قد ينفع الأدب الأحداث في صغر

وليس ينفع بعد الكبرة الأدب

أن الغصون إذا قومتها اعتدلت

ولن تلين إذا قومتها الخشب

فوقع في نفسه أب يوجهه إلى الجامع الأزهر لما يعرفه في تلك البقعة الطاهرة من المحاسن الرائجة والبركات الظاهرة فانه منع الفضائل ومجمع الأفاضل وموضع حسن التعلم والتعليم ومرجع طلاب العلم من الأقاليم فإراد أن يكمل فيه ولده دراسة العلم الشريف بملازمة دروس عظمائه من أفاضل علمائه ليأل بهر كمهم الأرب ويكتسب بصحتهم العلم والأدب وكان الشيخ قد تقارب عمره ولم يكن له ولد غيره فاستحار الله تعالى على هذه البية فاشرح لها صدره ومال خاطره فركب إليها وصم عليها وأعد لولده ما يلزم من الراد والدخيرة وإن كانت يسيرة وكتب معه مكنوناً إلى صديق له في مصر القاهرة من مشاهير تجارها وإعيان مشاهيرها يرحوه أن يكون لولده في جميع مهاته كالوالد وإن يكون واسطة في اجتماعه على الصالحين من العلماء الأماجد ويقربه منهم ليسعوا تهذيبه ويدلوا النصيحة في تاديبه وأوصى ولده بالطاعة والامتنال لمعلمه فيما يعود نفعه عليه وإن يصرف جميع أوقاته في تحصيل ما يرشدونه إليه وإن يجنب المأثم وإما كن الملاهي وأب يكون في العدو والزواج مع أهل الصلاح ومن

لم شهرة بفعل الخير وحسن السير فقد قال العلماء اصطفى
من الاخوان ذا الدين والحسب والرأي والادب فانه رده لك
عد حاجك وركن عد نائتك واس عند وحشتك وورين
عند عافيتك وقال الشاعر

تخير من الاخوان كل أن حرّة

يسرك عند النائات ملائق

وقارب اذا قارنت حرًا فالما

يريب ويزري بالغي قرناؤ

وقال عدي بن ريد

اذا كنت في قوم فصاحب حيارهم

ولا تصحب الاردي فتودي مع الردي

عن المرء لا نسأل وسل عن قريبه

فكل قرين بالمقارن يتندي

وبحكي ان جماعة من اللصوص وقع القبض عليهم فاحدوا
الى السلطان فامر بقتلهم جميعًا فتقدم احدهم وقال انا لست منهم
وايما كنت مغيبًا لم ولم افعل افعالم فقال السلطان فغن حتى
نسمع فلم يجبر على لسانه غير البيهيب المذكورين لعدي بن ريد
فعنى بها فلما بلغ الى قوله (فكل قرين بالمقارن يتندي) قال
السلطان سبحان من اطلقك واباول من صدقك ثم امر به
فقتل معهم وهذه عاقبة من يصاحب الاشرار وبخالط الفجار

فانه ان لم يفعل كالفعل سبب الى احوالهم ثم ان الشيخ رحمه الله
 حم وصيته لولده علم الدين تعليمه وظائف طالب العلم وما
 يلزمه من الاداب التي يتوقف عليها كمال الوصول الى المطلوب
 والحصول على تمام المرغوب فقال اعلم يا بني ان آداب المتعلم
 كثيرة يطول تعداد تفاصيلها ولكن احصرها لك في عشر حمل
 تلقيتها عن المشايخ تكون لها كالاصول جمع عنها ما عداها

الوظيفة الاولى

تقوم النفس من رذائل الاخلاق ومدموم الاوصاف
 كالغضب والشهوة والحسد والحسد والعكر وانماها فكلها من
 مواقع التحصيل وقواطع السبيل

الوظيفة الثانية

ان يقلل المتعلم علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الاهل
 والوطن فان العلائق صارفة وشاعلة وما حصل الله لرحل من
 قلبه في جوفه ومها تورعت الفكرة فصرت عن ادراك الخفائض
 ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك والعكر
 المتورعة على امور متفرقة كجدول ترقى! ماؤ فشت الارض
 بعضه واحططت الحرارة بعضه فلا يبقى منه ما يجمع ويبلغ
 الزرع

ان يداوم في تحصيل العلم على الاجتهاد والمجد ويضرب على
 المشقة والكد ويبدل غاية الوسع والجهد ويطرح الكسل واللذ
 ولا يقطع الامل ولا يترك العمل ولو طال الامل وبعد المدد فقد
 حكى عن بعض المشايخ انه اثنى سيف اول امره الى الجامع الازهر
 لطلب العلم فمكث فيه مدة لا يصل الى فائدة ولا يحصل على
 عائدة حتى كلت قوته وفترت همته وادته الحال الى قطع امله
 وعزم على ترك الطلب والرجوع الى بلده وامه فقام ليخرج من
 الجامع تاركاً للتحصيل قاصداً للرجل فلما قرب من بابه اتفق انه
 رأى دويبة من حشرات الارض تحاول الصعود في محل من
 حيطان الجامع وكان المحل صعب المرتقى عليها عسر الصعود
 بالنسبة اليها فصعدت مقداراً يسيراً ثم رقت ارجلها فوقعت ثم
 قامت وصعدت مرة ثانية فوصلت الى اربع مما كانت قد وصلت
 اليه اولاً ووقعت ولم ترل كذلك تقع وترتفع مراراً حتى وصلت
 الى اعلى المكان حيث ارادت فقال في نفسه والله لا اكون انحزم
 هذه الدويبة الضعيفة فهد من الله لي اشارة لطيفة ولحمة ظريفة
 فانها لما صارت على مداومة العمل ظفرت بغاية الامل ثم انه عاد
 الى الطلب والتحصيل نشاط جديد وهمة قوية وعزيمة ثابته
 ونفس صابرة فما زال يجد ويجتهد ويكد الى ان صار وحيد
 اوانه وعريده اقرانه وشيخ الاسلام في زمانه وصار حديثه عدة لاولي

الالباب وقد قال الله سبحانه انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب

الوظيفة الرابعة

ان لا يتكبر على العلم ولا يجامر على المعلم بل يلتقي اليه رمام امره في التعليم ويدعى لصيغته ادعان المريض الجاهل للطبيب المشفق المحاذق ويسعى ان يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بمحدثه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من اخلاق المؤمنين التملق الا في طلب العلم فلا يسعي لطالب العلم ان يتكبر على المعلم ومن تكبر على المعلم ان يستكبر من الاستفادة من يراه حامل الذكر عديم الشهرة ولا يرغب في التعلم الا من المشهورين واصحاب المظاهر وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهراً من سح ضارٍ يفتسه لم يفرق بين ان يرشده الى طريق النجاة رجل مشهور او خامل وضرر الجهل اشد من ضرر السع والحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظهرها ويقتل الملة لم ساقها اليه كائناً من كان فلهذا قيل العلم حرب للفتى المتعالي * كالسبل حرب للكان العالي فلا يزال العلم الا بالتواضع والقاء السمع قال الله تعالى (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او السمع وهو شهيد) ومعنى كونه ذا قلب ان يكون قابلاً للعلم شيئاً ثم لا تعيه القدرة على العلم حتى يلتقي السمع وهو شهيد حاصر القلب ليستقل كلما

التي اليه يحسن الاصغاء والصراعة والشكر والفرح وقبول المنة
 فيكون المتعلم لمعلمه كارض مينة نالت مطراً غزيراً فشربت بجميع
 اجرائها واذعنت بالكلية لقوله وقد قال علي رضي الله عنه من
 حق العالم الا تكثر عليه السؤال ولا تعتسه في الحجاب ولا تلح عليه
 انا كل ولا تاخذ شوبه انا هض ولا تعشي له سرّاً ولا تغتائرن
 احداً عده ولا تطلبن عثرته وان دل قبلت معذرتة وعليك ان
 توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ امر الله تعالى وان كانت له حاجة
 سببت القوم الى خدمته

الوظيفة الخامسة

ان يختار الحائض في العلم في مبدء الامر من الاصغاء الى
 اخلاف الناس سواء كان ما خاص فيه من علوم الدنيا او من
 علوم الآخرة فان ذلك يدهش عقله ويجبر دمه ويفتر رايه ويؤتسئ
 من الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن أولاً الطريقة الواحدة
 المحببة المرضية عند استاده ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب
 والشبه واخلاف الآراء فان لم يكن استاده مستقلاً باختيار راي
 واحد ولما عاداته تقل المذاهب وما قيل فيها على احلامها فلينظر
 منه فان اصلاله أكثر من ارشاده فلا يصلح الاعنى لقود العيان
 وارشادهم ومن هذه حاله يعد في عى الحيرة وتبه الجهل

الوظيفة السادسة

ان لا يدع طالب العلم مأ من العلوم المحبودة ولا نوطاً من

أنواعه ألا وبطرفيه نظراً يطلع به على مقصده وغايته ثم إن ساعده
 العمر طلب التجريبه والأشغال بالأمم منه واستوفاه وتطرف من
 البقية فإن العلوم متعانة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في
 الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فإن الناس
 أعداء ما جهلوا قال تعالى (وإد لم يهتدوا به فسبغولون هذا أفك
 قدم) وقال الشاعر

ومن يك ذا مِرْ مِرٍ مريضٍ * يجدُ مرّاً به الماء الزلالا

الوظيفة السابعة

أن لا يجوز في من من صون العلم دفعة بل يراعي الترتيب
 ويبتدىء بالأمم فإن المراد أن لا يتسع لجميع العلوم غائلاً
 فالمرح أن يأخذ من كل شيء أحسنه فقد قال علي رضي الله
 عنه وكرّم وجهه العلم أكثر من أن يحصى محدولاً من كل شيء
 أحسنه وإننا يقول

ما حوى العلم جميعاً أحد * لا ولو مارسته ألف سنة
 أما العلم بعيد عورهُ * محدول من كل علم أحسنه

الوظيفة الثامنة

أن لا يجوز في من حتى يستوفي الفن الذي قبله فإن
 العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق إلى بعض والموفق من

راعى ذلك التعقيب والتدريج وذلك كترتب علم المعاني على الفهم
وعلم الهندسة على الحساب فمن خاض في من وحاول تحصيله
قل ان يعرف الذي قبله قد أحط عمله وإضاع وقته في
الباطل ولم يخرج بطائل قال الله تعالى (الذين اتيناكم الكتاب
يتلوه حق تلاوته) أي لا يجاورون ما حتى يحكموه علما وعملا
وينبغي ان يكون قصده في كل علم يتجراه العرفي الى ما فوقه

الوطئة التاسعة

ان يعرف السبب الذي يدرك به اشرف العلوم وذلك يراد
به شيان احدهما اشرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل فعلم الحساب
وعلم الطب مثلاً اذا نسبتها لبعضها وجدت علم الطب اشرف
ماعتبر ثمرته فان ثمرته حفظ البدن وقمة الحساب حفظ المال
ووجدت علم الحساب اشرف ماعتبر قوة ادلته فانها يقينية
وملاحظة الثمرة اولى ولهذا كان الطب اشرف وان كان كثير من
بالتحمين والحساب مهي على اليقين وعلى هذا فاشرف العلوم علم
الدين لان ثمرته حفظ الارواح ونجاتها من الوبال الاندي والشتاء
السرمدي ولا ينبغي ان ينهم من هذا الاطراف والمذبح لعلم الدين دم
غيره من العلوم ولا ينبغي ان ينظر اليها بعين الخسارة كعلم النحو واللغة
وغيرها من السون المدحجة ولا يظن من تعظيم علم الدين وتفخيمه
تفخيم غيره من العلوم وتسييحها فان المتكلمين بالعلوم والفاصلين عليها

كما يتكفلين بالشعور والمراطين بها والفزاة المجاهدين في سبيل الله
 فمنهم المقاتل ومنهم المدد ومنهم الذي يجلب لهم المؤنة والذي
 يستقيم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويجمعدها ولا يملك أحد
 منهم عن أجر إذا كانت بيته حسنة وكذلك العلماء قال الله
 تعالى (يرفع الله الذين أسوا منكم والذين أتوا العلم درجات) ^١
 وقال تعالى (هم درجات عدد رهم) والفضيلة نسبة وكوب
 السلطان مثلاً أعظم من وزيره لا يدل على حقارة الوزير في ذاته
 وكذا من دون الوزير وهكذا وبالجملة من يعمل مثقال ذرة
 خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ومن قصد وجه الله
 وسبيل الخير بالعلم أي علم كان نفعه ورفعه لا محالة ويبغي أن
 لا يحكم على علم بالساد لوقوع الخلاف بين أصحابه فيه ولا
 بخطأ واحد أو أحاد فيه ولا يخالفهم موجب علمهم بالعمل وتري
 جماعة تركوا النظر في العقليات والفقهيات متعللين فيها بأنها لو
 كان لها أصل لادركة أربابها وتري طائفة يعتقدون بطلان
 الطب لخطأ شاهده من طبيب وطائفة اعتدوا صحة التحميم
 لصواب اتفق لواحد وطائفة اعتدوا بطلانها لخطأ اتفق لآخر
 والكل خطأ بل ينبغي أن يعرف الشيء في نفسه فلا كل علم
 يستقل بالاحاطة به كل شخص ولذا قال علي رضي الله عنه
 لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرفه أهله

الوظيفة العاشرة

ان يكون قصد المتعلم التحلي بالفضيلة والتخلي عن الرذيلة والتقرب الى الله عز وجل والتوصل الى تحصيل المنفعة المحمودة لنفسه تامل الوجوه واعظمها واحسن الطرق واسلمها والنفع لاجوانه واهل وطنه وسائر عباد الله تعالى فان احب الناس الى الله انعمهم لصادقه ولا يقصد بتحصيله المباحرة والمناهاة والمحاسنة للناس ومزاحمة ارباب الوظائف في وظائفهم ومضايقتهم في ماصيهم فان هذه المقاصد ذميمة وطلب العلم وان كان ممدوحاً في نفسه الا ان من قصده نية ذميمة كان مذموماً بالنسبة لث ففعل الصلاة مثلاً ممدوح في نفسه وطاعة لله سبحانه وقرينة ولكن اذا اراده شخص نية الرياء والسمعة والمختر كان مذموماً بالنسبة لذلك الشخص وهكذا العلم فينبغي لطالعه ان يحسن بنبه ويجلس طويته ويقصد وجه الله وطريق الخيرية مع الله ويرفعه في الحال والمآل وبلعه غاية الكمال

ثم ان الشيخ بعد ان اتم تصحيحه واهى وصيته جمع عشيرته الاقربين وفيهم روحه والدة علم الدس وقال لم وهو يكي الى قصبت جميع عمري في اداء ما فرضه الشرع علي في حق الوالدين والاقارب ومن اتى الي وقد من الله تعالى علي بولدي هذا في اخر عمري واود ان يجمعني ويكون لكم بصل الله عوناً من بعدي وجهاً قائماً بحق صلة رحمه عاملاً بامر الله العام واتقوا الله الذي

تسالون به والارحام وقولك تعالى وبالوالدين احسانا ولكن
مقصودي هذا لا يتم الا بطله للعلم وانه الكاشف للبصرة والمنور
للسيرة والمأخى للجهل والملغ صاحبه درجة اهل الفضل وهو
المؤنس في الوحشة والمحدث في المخلوق والمجلس في الوحدة
والصاحب في الغربة والدليل على السراء والمعيب على الفراء
والزينة عند الاخلاء والسلاج على الاعداء وبالعلم يبلغ العبد
مارل الاحبار في الدرجات العلى ومجالسة الملوك والكبار في
الدنيا ومرافقة الابرار في الآخرة ولذا قال الشاعر

لا تدحر غير العلو * م. فاهها مع الدخائر
فالمر لو ربح البقا * مع الجهالة كان خاسر
قال الله تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا
يعلمون) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حير الدنيا
والآخرة مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل ثم انه التفت الى
ولده في الآخر وحاطه بقول الشاعر
العلم انفس شيء انت داحر

من يدرس العلم لم تدرس معاهرة
اقبل على العلم واستقبل موائده

فاول العلم اقبال وآخرة

ثم قال لمن عده هذه قطرة من محروقة من قطر العلم
من المزايا العاقرة في الدنيا والآخرة ما لا يحاط بمجد ولا يحل

نحت عد ولهذا قد استغرث الله تعالى وصممت الية على ارسال
 ولدي هذا الى محروسة القاهرة لطلب العلم وتحصيله في الجامع
 الازهر وتجده فيه ليتبع به مدة دهره الى اخر عمره وفي يوم حشره
 وقد هشت جميع ما يلزم لسفره فلا تخزنوا لفرقه وادعوا له عسى
 ان يفتح الله عليه ويحسن تصوير نصيرته اليه فاتهلوا جميعا بالدعاء
 له وان يفتح الله عليه ويقتبل عمله وكانت والدته من ذوات
 الحسب مصونة العرض اصيله السب قد اعتدت عليها الايام
 وصدعتها الامراض والاستقام فكف نصرها واحل امرها فرفعت
 راسها الى السماء وطلبت من الله القبول ونيل المأمول وان يردّه
 لبلده في صحة وسلامة محملاً باوصاف اهل الكمال ممجلاً بمجال
 ارباب الجلال ليتبع به اهل بلدته وليكون ردا لاقاربه وعشيرته
 وتصرعت الى الله بصوت خاشع وقلب حاصع وامن الشيخ وبنية
 المحاصرين ثم اهم ودعوا علم الدين وهم في حجب وبكاء من
 حرقه العرقه وبعد الشقه ومشوا معه الى ان ابرلوه في مركب كان
 متوجها الى مدينة مصر واوصوا عليه ارباب المركب ورجعوا الى
 منزلهم بعد ان قتلوه وودعوه وقل هو ايضا يدي والده ووالدته
 وسار على بركة الله تعالى

المسامرة القافية

سفر وعودة

فكان في مدء سمره نارة يكي لعراق اهله وبلده ولم يكن
 فارقم من قل وثارة يعرج ليل قلبه الى العلم والرعة في تحصيله
 لانه كان حافظاً للقرآن وكان يرى في نفسه ان فيه استعدادا
 لاتساع دائرة معارفه ولذلك كان دائماً يطلب من والده ان يرسله
 لطلب العلم حتى تم هذا الامر وكان احياناً يتكدر خاطره بسبب
 ركوب البحر وما يجتني من اخطاره لانه لم تكن سبقت له عادة به
 الا انه كان يجاسى بغيره ممن كان معه في المركب ويتسلى باحاطلطة
 هم والمجادثة معهم في احمار مدينة القاهرة وما فيها من الغرائب
 فصار يحكي ذلك المحرن عنه شيئاً فشيئاً حتى علب عليه الفرح
 وطاب خاطره واشرح خصوصاً وقد كان المركب في ضمن
 المسافرين رجل صالح لبيب من اهل القاهرة كان قد برل الى
 الريف لتضاء بعض مصالح فتضاها ورجع وكان ذلك الرجل
 صاحب معرفة وتجربة يعلم من احوال الناس كثيراً لكثرة ممارسته
 لهم واحاطلطة هم فاتحد علم الدين معه وصار الرجل يصف له
 حال المدينة واهلها وبناته بما يلزمه في الاقامة بها ويبين له كيف
 يكون سيره مع الناس اذا وصل وحاله اذا احاطل ناهل الازهر
 واتصل ووعده انه بعد الوصول الى مصر يروره ورحص له في
 التردد عليه اي وقت احب ووصف له منزله وحارته فتسلى

الولد بذلك وقرناظره وطاب خاطره حتى انتضت الام السمر
ودخلوا مصر آمين فاحذه ذلك الرجل الى مدره واكرمه مات
عده تلك الليلة وكان من حمله ما جرى بينهما من المحادثة ان
حكى علم الدين للرجل ان معه مكتوبا لبعض اصدقاء والده
وعرفه اسمه فوعده الرجل بان يدلّه عليه فلما اصبح الصبح قام معه
وتوجه به الى صاحب والده وسلمه المكتوب فلما قرأه فرح بالولد
لان بيه وبين ابيه مودة عظيمة وصداقة قديمة فرحب به وتعهد
له بان يكون له كوالده وامره بان يحضره بكل ما يحتاج اليه ليقضيه
له وفاء بحق صحبة والده لانه من اعر الناس عليه فشكره علم
الدين على معروفه وسأله ان يرشده الى كل ما يلزمه لانه مأمور
من والده ان لا يخرج عن رأيه وطاعته فقال له لا تعجل ففي
غدير ان شاء الله اتوجه معك واسلك لاحد الاساتذة واوصيه
بك واتكلم معه بما تعود مفاعلة عليك واتقا على ذلك ثم ان
الرجل صديق والده حيره بين الاقامة في منزله او في مكان
قريب من المسجد فاختار الاقامة في مكان قريب من المسجد
ليسهل عليه حضور محالس العلم في اول اوقاتها فاستحسن صاحب
والده رايه ورأى بذلك من الامارات على مزيد اجتهاده ورعته
في تحصيل العلم وحرصه عليه ولما جاء الغد مضى معه الى الجامع
الازهر وجمعه على شيخ من مشاهير علمائهم كان بيه وبه صداقة
ووداد وله فيه حسن اعتماد فوصى به ورغب اليه في الفقه نظره

عليه ورعاية شانه والعناية بامره وارشاده الى سواء السبيل في
امر الطلب والتحصيل ومرجاه كثيراً في ذلك وذكر له ما به
وبين والده من المودة الاكيدة فقل الشيخ رحاه وامر علم الدين
محضور الدروس في اوقاتها وبين له سبيل التحصيل وبها عن
الكسل والتعطيل فصار الولد من وقتئذ ملارماً للدروس طول
بهاره وانا جاء الليل ذهب الى بيته واقام غالب ليله يطالع
الدروس المستقلة ويذكر الدروس الماضية ويحيي بعض الليل
في تلاوة القرآن فما مضى عليه الا قليل من سنين حتى بلغ في
علوم اللغة والنحو والصرف والعروض وفروع الفقه ملفاً لا
يصل اليه غيره في سنين كثيرة ثم اخذ يعلم علوم البلاغة
والاصول والتفسير والحديث وهكذا كان يتقل من فن الى اخر
ومن درجة الى ما فوقها حتى برع في العلوم العقلية والعقلية وصار
يشار اليه باطراف السان ويضرب به المثل بين الاقران وما
ذاك الا بدعاء والديه ورضى مشايحه واحوانه عنه وكثرة
اجتهاده ونور بصيرته وقوة فتاؤه وامتناله امر متابعه واحوانه
وحرصه على كل ما سمعه من مشايخ زمانه وكان من ذوي
الالاب كامل الاخلاق والادب اذا قعد في مجلس لا يكلم فيما
لا يعنيه وانا سئل احسن الخواب واصاب الصواب محمداً لمجاسة
اللطفاً ومحاسبة الادباء حميد المحصال حسن الصفات والافعال
شاعراً اديباً فصيح اللسان لبيماً محمود الخلق والخلق عند العام

والخاص بشهد له بذلك العلماء والأكابر والخواص وقد حار
جميع هذه الاوصاف الحميدة والرايا العاتمة العريضة في مدة يسيرة
واعوام غير كثيرة لم يسافر فيها الى وطنه ولم يحن الى مسقط راسه
وعطشه الى ان حاءه الخبر بموت والده ومن يعز مراقهم عليه فتوجه
الى البلد ليأتي باخوانه الى مصر وكن ثلاثا من البنات خلفن ابوه
بعد سفره الى مصر فاحضرهن معه وقد باع كل ما تركه ابوه
على اهل البلد وكان شيئاً قليلاً وذلك بعض اعنوز حجارة وآنية
مخاروشي يسير من اثاث الدار فبلغ ثمن ذلك كله نحو اربع مائة
قرش واشترى منه ما يحتاجه من الراد ولوازم السفر وفي مدة
اقامته في المدة اجتمع عليه مشائخها ومشائروها والمجربان وتكلموا
معه ان يقيم في وظيفة ابوه اماماً يجمعهم فشكر فضلهم وتقي عن
ذلك قائلاً اني احب ان اتم دراسة العلم وبعد ذلك ان شاء الله
تعالى اعود لللدني ومقر راسي فقالوا له جميعاً ان الذي حصلته
انت من العلم الان اكثر مما كان يعلمه ابوك فقد درست النحو
والفقه وغيرها ورعت في علوم كثيرة كما سمعنا من الناس كثيراً
فصلاً عن حفظ القرآن وحسن تلاوته وكان ابوك لا يحسن غير
تلاوة القرآن وشي من العلم على قدر ما يلزم للامامة وعند الكناج
هل انت الان فيك كفاية لان ثلوثي نيابة القضاء في القرية فلو
نقبت عدما توحها بك الى قاضي الولاية وسعيها في توليتك نيابة
القضاء في البلد والحول عليه فاني واعذر لم بان القضاء يحتاج

الى معرفة علوم شتى غير التي حصلها وانه لا ينبغي ان تعرض
للقضاء وفصل قضايا الناس الا من كان متبحراً في العلوم الشرعية
متصلاً من اصولها وفروعها واتقاً من نفسه بعدم الميل عن اتباع
الحق في الحكم بين الخلق وانه لا يرضى ان يكون مسؤولاً يوم القيامة
عما يحكم به خصوصاً اذا كان بدون ثبوت فقد قال صلى الله
عليه وسلم لياثين على القاضي العدل يوم القيامة ساعة يعني ان
لم يقض بين اثنين في تمرة قط لاسبابها وانه يحشى ان يفرغ الطمع
وحب الدنيا فيتبع في حائل الشهوات النفسية فيظلم ويحكم على
خلاف الطريقة الشرعية والعمر يتضي ومتاع الدنيا قليل فالاولى
بالعقل ان يمسك بعرى التقوى فاما السبب الاقوى وامثال
هذا الكلام ما كان يريد من تارة الا رعة فيه فلما لم يجد له مخلصاً
من ذلك قال لم عما قريب ان شاء الله تعالى يتم المقصود ويهديا
الله لما يريد وكان في المجلس رجل ضرير من اهل القرية يحفظ
القران ووظيفته ان يلا ميضأة الجامع وكان بعد موت الشيخ
جعلوا اماماً لم في صلاتهم موقفاً الى حضور علم الدين من الجامع
الارمر وتوليته وظيفة والده فلما حضر وابى فرج الضرير بذلك
في نفسه بسبب انه يصير حينئذ مستقلاً هذه الوظيفة ولحقها من
تقد نكاح وغيره وكان بعض مشايخ البلدييل الى الضرير فقالوا
الشيخ سويلم يعنون الضرير رحل من الصالحين وحمله كتاب الله
ومعرفة حق المعرفة فهو اولى من غيره فانقلوا جميعاً على تليده هذه

الوظائف وقد كان ثم ان علم الدين توجه باخوانه الى مصر
واستأجر لمن بيتا في ربح وارلن فيه وصار كل يوم ياتين بجراجه
المرتبة له بالازهر ولكنها لما لم تكن كافية لقوت اربعة تضاف
فقصد بعض مشاهير اهل الازهر وشرح لهم حالة وحال اخواته
ولكونه محباً اليهم ومقرناً لديهم سعيه في ترتيب جراحة اخرى من
الحلول ومع ذلك لم يكن فيما رتب له من الخراجات كفاية لبقته
ونفقة اخواته فضاى من ذلك صدره وتخير في تدبير المعيشة امره
والجاءه الضرورة الى القراءة مع اولاد الليالي في الختات وغشيان
مارل اهل الخير والصدقات وقدر في نفسه ان ذلك وان كان
فيه هتك المرات الا ان الضرورات تبع المحظورات فكان
يذهب معهم في بعض الليالي لقراءة الختات ويضعهم في الدهاب
الى بيوت الامراء لاخذ الصدقات فحصل له من ذلك بعض
اتساع في احواله وتحلص بعض التخلص من ضيق الفقر
واحواله



المسامرة الثالثة الزواج

ومضى على ذلك أربع سنوات يصرف بهاره في طلب العلم
وليله في قراءة الحتمات لكنه لصغر سن أحواله وعدم من يعولن
ويقوم باصلاح شانهن كان دائماً مشغول البال بهن فرغب في
الزواج ليستريح فؤاده من جهتهن وجنح لطلب العلم والسعي في
تحصيل معيشتهن إلا أنه كان اذا تفكر في امر الصداق وكلفة
الزفاف ونفقة الزوجة وما جمع ذلك من حقوق الروحية وفي
أب ما يرد له في هذه الحالة لا يبي بذلك كله قلت رغبته
وضمعت نيته وادا ذكر قوله تعالى (وما من دابة في الارض الا
على الله رزقا) وقوله صلى الله عليه وسلم من تزوج يريد
العفاف محق على الله عونه) وقول عمر بن الخطاب اي لا تشعر
من الشاب ليست له امرأة) كثرت في الزواج رغبته وقويت
بنته وهكذا فكان يتردد بين الامرين ولا يكشف له وجه الصواب
عن احد الحالين ثم انه قال في نفسه اين انت من الاستخارة وما
ورد فيها كقولہ صلى الله عليه وسلم اذا هم احدكم بامر فليستغفر
ربه فيه سبع مرات ثم ليظن الى الذي يسق اليه قلبه فان فيه
الحخير) وقول بعض الصحابة كان صلى الله عليه وسلم يعلمنا
الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن) مهلاً استخرت او ذهبت الى

بعض المشايخ فاستشرت فاستبحار واستشار وتبين له ان الزواج هو الصواب ثم ظمراً له تخير اشد من الاول ولم يدبر على ماذا يعول وهو انه هل يتزوج فقيرة او غنية وهل الصواب ان تكون ثيباً او بكرًا قال فكنت ذا قلب معذب وعزم مدهذب لا اهتدي الى صواب ولا اميز بين الثر والثراب فنظرت في كتب الاداب وما قيل فيها من هذا الباب فرأيت لكل مربة ولست واحدة منها عما يحذر منه عربة لان البكر وان كانت ذرة محزونة وبضة مكبونة لم يدسها لاس ولا استغشاها لاس ولا مارسها عات ولا وكسها طامث الا انها اية العار بطيثة الادعان مؤنتها كثيرة ومعوتتها يسيرة تقول انا االس واحلس واطلب من يطلق ويحس واما الثيب فهي وان كانت الصاع المدبرة والعطلة المخدرة عمالة الراكب واستوطاة المحاطب الا انها اللباس المستندل والوعاء المستعمل ذاتها كبت وكنت وطالما بقي عليّ فصرت وشتان بين اليوم وامس وبين القمر من الشمس وامثال هذا مما قرأته في الاسفار وطالعت من مشور الاحرار ومظوم الاشعار ورأيت ان الفقيرة وان كانت ترضى بالقليل وتقتنع باليسير الا ان ما يرد لي من الصدقات والحراة وقراءة المحنجات انما يكفي لاقواتنا على قدر اللزوم فلا ينبغي بما يريد لاحل الروحة من اللوارم وان العيبة وان ساعدت روحها في امر المعيشة الا ان ليلزما كثيرة ويجب لها من الحقوق ما لا يجب

لغيرها لاعتيادها على السعة في بيت أهلها وربما كانت المساعدة التي تحصل منها لا تقابل بعض ما يجب لها خصوصاً وغالب من أراه من أغنياء مصر في هذا العصر لا يقوم علم الروح عندم مقام عساه نسب جهلهم فربما قصد العالم الفقير بعضهم فردوه واستهزؤا به ولم يريدوه لأن الإنسان عدو ما جهله ومن جهل شيئاً عاداه وما رلت أثقلت في مثل هذه الأفكار والخواطر وانردد بين الموارد والمصادر فارداد في التخيير وتشعبت عليّ طرق التخيير ووقعت من الحيرة في ليل بهم ولم ادبر في أيّ وإداهم فرجحت إلى كتب الحديث والأخبار وما ورد عن السلف الصالح من الآثار فقرأت ما ورد عن جابر رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنروحت قلت نعم قال أنكرأ أم نيسأ قلت نيسأ قال هلاً نكرأ تلاعك وتلاعها وإمثال هذا الحديث فرجحت الكرك على الثيب ثم قرأت ما رواه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعظم النساء ركة أسرهن مؤونة فقلت الفقيرة بالسبة لحالي أسر مؤونة وبالسبة لعيالي أكثر معونة وأقرب للقناعة قليل ما لديّ وأعد عن الترفع والتعظيم عليّ فصميت الية على الكرك الفقيرة بعد أن استخترت الله تعالى وكان لي صديق له احت فقيرة بالغة اسمها ثنية فحطنتها معه فاحاب وسميت له ما تيسر من الصداق فرضي به وما عاب فاحصرت الشهود وأولمت على قدر

الموجود وعقدنا العقد وميزنا بين الموحل والقدر

المعامرة الرابعة العيلة

قال الناقل فلما استقرت عنده وحلت بالمكان الذي
اعده وحدها ذات دكاه ومها راضية بما قسم الله لها تشكر على
القليل ولا تسي الجبيل فبلغ علم الدين بها ما وحده الله سبحانه
على ما اولاه حيث كفته المؤنة في تربية اخواته وتفرغ هو لطلب
العلم وقراءة حثاته وكانت صاحبة فطنة تدرسها منزلها وتحسن
التصرف فيها عليها ولها وتعرف بعض صانع كالتجباطة والتطريز
وكب التحرير وكلما تيسر لها من ذلك تصرفه في لوازم المنزل
من غير اسراف ولا تدبير ولما رأت ان اخوات روحها لم يعرفن
شيئا من اللوازم المنزلية التي لا يستغني عن معرفتها النساء شمرت
عن مساعد الجهد واخذت تعلمن جميع ما يلزمهن اذا تروحن
فاخذن في التعلم وصرن لها كساتها فممن بجدمة المنزل وتفرغت
هي لصنائعها وكلما تيسر تصرفه في مساعدة روحها محسن حاله
وراق ناله ومكثوا على هذه الحالة اياما متطاولة وليالي متوالية
لا يحطروا لهم الم سال ولا يحدث بينهم قيل ولا قال ثم انه وحد
عدها ميلا لتعلم العلم فصار يلقيها به قواعد الدين شيئا فشيئا

ويعلمها الكتانة فكتبت وحضرة القرآن وتعلمت من العتائد ما
تحتاج لمعرفة ثم سألته ان لا يكتب عنها شيئاً ما يعلمه فعلها
العلوم الادبية والفقه والحديث والتفسير الى غير ذلك من
المعتول والمفتول وهي مع ذلك مؤدبة جميع ما يحجب عليها من
حقوق الروحية فكان اذا دخل المنزل كانت له احسن حليس
والطرب انيس واذا خرج تدرغت لاشغالها وللمطالعة في مطولات
الكتب من التفسير والحديث والادب والفقه والاثار وقصص
المتقدمين والخبار حتى حارته في كل مضار واخذت معه في
اودية العلم حيثما سار ولم تزل سالكة طريق السداد حتى ررقم
الله باربعة من الاولاد فتعطلت عن مساعدته في امور المعيشة
سبب تربيتهم واشتغالها بخدمتهم لصغرهم وكثرتهم ومع هذا فكان
يرى ان نعم الله عنده واحساناته عمرته فكان دائم الشكر لمولاه
حامداً له على ما اولاه الا انه كان يرى ان ما يرد له من المحاربة
والقرأة شيء قليل بالنسبة لكفاية العائلة لا بهيئاً لم عليلاً ولا
بروي لم عليلاً لانهم صاروا تسعة هو واحواته الثلاث واولاده
الاربعة وزوجه فيحتج الوقوع فيما فرمه والعود لما نزع عنه
وتأمل في الحكمة الالهية والقسمة الربانية من كثرة العيال وضيق
الحال ولا يجد لتعرج ما به من الضيق سبباً ولا للعلم باسرار الحكمة
الالهية مطلباً ولكنه كان لورعه وثقواه يهوض امره الى مولاه ويقول
محاطاً لنفسه اذا كان تقسمة الله تحري الامور فالصر عليها

مشكور مستوجب الاحور ومن غرس الصراجنى الظفر والصبر
على العصه ربما أدنى الى العرصه ومن فوض امره لمولاه كفى مؤنة
بلواه وعدم الرضا معادة للتصا يوجد قول شهاب الدين سيف
عنهذه الحامع وتصيفه النافع اذا لم يمش الرماح معك على ما
تريد فامش معه على ما يريد فان الاسان عد الرمان الى غير
ذلك من المواعظ التي مرت به والحكم التي تلقاها ايام طلبه وبعد
ذلك يرضى بحاله ويصدر على اخلاصه بكثرة عياله ولكن كان
اذا مر بأسواق المدينة ورأى الفواكه على ارجائها صفت واصناف
الماكولات والمشروبات ما كادها اخفت او دخل بيتا من بيوت
حمله الاغنياء والادغاد الاغنياء ورأى ما لديهم من العلم والتوسع
في المشرب والمطعم تذكر عياله وقره واضعلاله وكانت روجه
ايضا بهذه الحالة الا انها كانت تنال في كتمان امرها وتحذر من
افشاء سرها خوفا على تشويش حاطر روجها كما كان هو كذلك
بكم امره ولا يهدي سره واذا لاح له منها امارات الصخر سالها
تطيبا لحاظرها عن اسباب ضحرتها فتعطل بان ذلك لا مرحدث
بين احبها وروجه او به وبين بعض قرانه فياحد الكلام على
ظلمه ولا يدقق عليها خوفا من ان تحبره بالحقيقة فيريد تشويش
فكره فلا فائدة الى ان دخل عليها مرة فوجدتها في نكاه ووله لم
يسق في العادة لها وله فلم يسعه الا الاحاج عليها في طلب
الافصاح عن سبب نكاحها ووجه حزنها وعائنها واقسم عليها

بالمودة التي بيه وبينها ان تحره عن اسباب تغيرها والبكاء الذي
 اضربها وقال لها ان كان ذلك عن امر حصل مني اعتذر اليك
 مه وانت تعلمين اني لا اريد غير ما يرضيك عني ومعاذ الله
 ان اكون دسست في عشرتك او قصدت غير مسرتك فان كان
 ذلك لامر فرط مني ولم اعلمه اعتذرت اليك منه وان كان من
 طمع لي كرهته نفسك بذلت غاية جهدي في التباعد عنه فاما طمت
 عن مكنون سرها الجلاب ونصت عن مستتر صميرها الثياب
 وقالت

المحاضرة الخامسة محاور

استغفر الله لي ولك واسأله ان يصلح عملي وعملك ويجمع املي
 واملك واقول لك الحق واحضك الصدق ان الكاه الذي
 عراني والحول الذي اعتراني ليس لك فيه سبب وانما هي امور
 حلتها الي نفسي وحواطر اذهبت راحة عيشي واسي فقال وكيف
 ذلك قالت نظرت لتقر حالنا وكثرة عيالنا فاسمت من ضيق
 عيشهم في حياتنا وخفت من سوء حالهم بعد مماتنا وذهلت عن

قول الله تعالى (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها)
 هذا الذي اجري عبرتي واضرم نار لوعتي وارحوك ان لا تواخذني
 في ذلك فانك تعلم ان الصاء اكثر من الرجال شقة واعظم
 منهم راحة ورقة فقال لما ان الذي قام بعكرك قد اوقعني الشيطان
 فيه من قلبك فاحدني لا ادخل ولا اخرج الا حوقلت ولا ارى
 سوقا ولا بيتا مزخرفا الا استرحمت وسجلت لما اراه من ضيق
 دويرتنا وشدة غيلتنا وارى الكثير من السعيرين في الدنيا وشهواتها
 مجردين عن العلوم الشريفة وادواها وغالب اهل العلم والكمال
 في معزل عن السعة والمال فاحد العلم مفروفا بالقر والحمل
 ملارما للسعادة واعتقد ان الصواب ما ورد في الكتاب من قوله
 تعالى (وبشر الصابرين) وامثال ذلك لكن الحواس لا ترى
 الا ظواهر الاشياء والعقل ان لم تدرك صاحبه الطاف ربه يحكم
 بما شاهدته وشهدت به هذا الذي كان يعتري فكنت احتمد
 في احوائه عليك واسأل الله دواء هذا الداء فانه وهن عظمي
 وارهى جسي وشغل فكري وجبرني في امري فقالت وانا اريدك
 على هذا ان شئت ولا تواخذني ان اسأت فقال هاتي قالت ان
 اكابر الفضلاء والمتقدمين من الحكماء قد اطالوا القول في مدح
 العلم واهله وربما حلوه نانا للرزق واصله حيث قالوا انه نور
 تستضي به حواس الانسان فيظربها الى ان تكشف له محدرات
 خائفي الاكوان فيكسو صاحبه حلل الجمال والهيبة والاحلال

وان المحمل بطس بصيرة صاحبه ويهوي به في طلبة العي ومعاطفه ويحجبه عن مشاهدة الاسرار الرائية ويمعه عن ادراك ما اودع في الاكوان من اللطائف الخفية ويقوده الى وادي المحمل ويكسوه ثوب المهمة والادلال فلا يرى الا ظواهر الاشياء فيحسم عليها باحكام باطلة واوهام عاطلة فيكون بمعزل عن الارادة الرائية والحكم الالهية فلا يبر على الحقيقة ما يبعه ما يضره ولذا يقال في الامثال (المحامل عدو نفسه) ومن كان عدو نفسه كان عدو ربه ومقتضى القياس الذي حرره اهل الميزان وفررو والمهم الذي استتبعه من هذا المثل وقدره ان يقال العاقل حبيب نفسه ومن كان حبيب نفسه كان حبيب ربه وذلك لان من عرف نفسه عرف ربه الى غير ذلك ما لا يعول في استخراج دأئحه الا عليك ولا سد لي فيه الا اليك ولكن اذا تقرر هذا فعليه اشكال اريد ان استمد فيه رأيك واستطلع ما عندك قال وما هو قالت اذا كان العالم حبيب نفسه وحبيب ربه والمحامل عدو نفسه وره كما قلنا ورأينا الغنى والسعة عند اهل المحمل والفقر والقلة مع اهل العلم والفضل كما تقول فما الحكمة في ذلك وكيف يكون الحبيب محروما من نعم حبيبه المتقلب فيها عدوه فقال هذا قضاء الله السابق في مكنون علمه وهو العال لما يريد لا يسأل عما يفعل ولا معتب لحكمه وانما عليها الصبر والرضا بكل ما يجري به القضا لكي لا يحرم الثواب في الآجل اذا حرما

بعض المطلوب في العاجل فقالت مهلاً لها شيء عرفناه قديماً
 ومرغوا منه تعلماً وتعليناً وإيا لا ريب عندي في أن الصبر سبيل
 كل عاقل فصلاً عن الكمل. إفاضل كما إلي لا أرتاب في
 أن كل شيء قضاء الله وقدرته وحكمه ومشيعته ولكن مع ذلك
 اعلم أن الله علت كلمته وحلت حكمته لا تحلوا أفعاله عن أسرار
 عليه وحكم حفيّة أو حلية فإن الأسرار من حلقه إذا أتاه حفظاً
 عظيمًا من العقل وقدرًا وإفراً من الحكمة وولاه حائناً من حسن
 البصيرة والطرف في حقائق الأحوال وعواقب الأمور والإطلاع
 على عوامس الأشياء بحده ترفعت عنه عن الباطل وتزهت
 أفعاله عن العث وحلت أموره عن اللغو حتى لا يكاد يجلو
 حال من أحواله وشيء من أقواله وأفعاله عن حكمة يريد بها
 ويكتة يقصدها إذا أمته الله بالعصمة وإيده بالتوفيق لمتنقى الحكمة
 فما ظلك بالصانع القدير الحكيم المحبر الذي لا يعرب شيء عن
 علمه كما لا يشد شيء عن أمره وحكمه أبحور لمن ررق لمحة من الفضل
 أو لمعة من العقل أن يظن به حل حلاله وتقدس كماله أب
 يتطرق العث إلى ساحة شيء من أمره أو يجلو عن الحكم الجليلة
 شيء من قضائه وقدره حاشا وكلاً ثم حاشا وكلاً نعم يعلم مع
 ذلك أن عقل العاقل وإن جلّ أمره وعظم قدره لا يمكنه
 الوصول إلى الإحاطة بحكم الله كلها ولا حلها وإنما يصل إلى
 معرفة أقلها فإن حكم الله المطوية في تصاعيف المقدور المبنية في

تصاريف الامور تانعة لما علمه بعلمه المحيط بكل شيء قل او كثير
خفي او ظهر حضر او غادر لا يحصى عليه شيء من صغير او كبير
الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وعقل العاقل انما يحكم
بحسما يراه في الاشياء الحاضرة من ظواهرها او ما يقرب الى الظهور
من بواطنها وسرائرها فاما بواطنها المستكة وسرائرها الغامضة
ومستقلاتها الغائبة التي لا سبيل اليها ولا دليل عليها فهو بعيد منها
ومعزول عنها فمن اين له عليها وكيف يأتى له فهمها ومصداق ذلك
اسا يحذف في بني نوعا من آثره الله عليها عمرة مريد العقل ونور البصيرة
وكثرة التجربة فادانقندنا جميع احواله واشتدنا كل افعاله ظهر لنا السر
والحكمة في بعض اموره وحي عليها ذلك في البعض الاخر من افعاله
وربما رايها بعضها حلوا من الحكمة في نادى النظر ثم يظهر لنا احر
الامر ما كان قد حي عليها اولاً من حكمته وانه فهم بكثرة عقله
ما لم نهم وعلم بمريد تحرته ما لم نعلم فان كان لنا حسن ثقة بعقله
وفصل اعتماد على فصله سبب كثرة موافقة الحكمة فيما علمنا سره
من فعله لم يحملنا عدم معرفة السر والحكمة في امر من اموره على
سوء الظن به والقدرج في حكمته او الحرم بجلو ذلك الامر عن
الحكمة والسر في نفس الامر بل يحمل ذلك على قصورنا عن
درجته وعدم وصولنا لما وصل اليه بكثرة معرفته وطول تحرته
وقد يشير عليها بالنبي من هو اكثر ما عقلا وتحرته فسقه رايه
وبحالف قوله اذا لم يكن لنا فيه من الثقة مثل ما ذكر ثم سدم

على مخالفته ويظهر لنا بعد ذلك أنه كان قد أشار عليها بما هو
الصواب وظهر له ما حيي عليها وإحطاً بمخالفته وإمثال هذا في
كل عصر مما لا يدخل تحت حصر وكثيراً ما متفاوت الناس في
الآراء والانظار والأقوال والأفكار فيرى الواحد منهم فضله
وتفوقه ما يحى على غيره لجهله وقلة خبره ولولا ذلك لتساوى
الفضلاء والجهلاء واتفتت الآراء والأهواء وقد يامر الرجل العاقل
الصبر ولده الصغير بشيء يبعثه ويعود عليه عظيم الفائدة في
حاله أو استقباله فتكره ذلك الشيء نفس الصبي ويهرمه طبعه
ولا يعلم له حكمة ولا فائدة لقصور عقله عن عقل والده هذا ولا
شك أن نسبة عقل الصبي الصغير إلى عقل الشيخ الكبير وعقل
الغف الجاهل إلى عقل العظم الصبر اعظم وأجل من نسبة عقل
العد الدليل إلى علم الرب الجليل بكثير فإن الصبي الصغير
والغف الجاهل لم يجرحا عن كونهما من حس الشيخ الكبير والفطن
الصبر ومن نوعهما وإن قلّا في درجة العقل عنها بخلاف العد
وربه الذي ليس كمثل شيء فلا تسه ولا مياسة بينها فظهر أن
العقل وإن أنكشف له بعض الحسّم الإلهية وأطلعه الله سبحانه
على شيء من أسرارها فلا سبيل له إلى الإحاطة بجميعها ولا يكثرها
فله عرشانه حكيم مصونة وإسرار مكنونة تتلشى انظار الصائر
نوبها وتتمنى هم الأكار عليها فلا يصلوها إلا أن له مع ذلك
حكماً ظاهرة ظهور الشمس في رابعة النهار لا تخفى على أحد من

ذوي الانصار ولا يجهلها غير صبي او من يقارب منزله من فاقد
 البصيرة عي وبين ذلك حسم واسرار ليست كهذه في الظهور
 ولا كالاولى في الاستتار منها ما يعرف يسير من التفكير ومنها ما
 يخوف على كثير من الطر والتدر ومنها ما يكشف بالرياضة
 والمجاهدة والتقوى والعبادة ومنها ما يظهر لبعض الاصنام دون
 بعض الاصنام وما يظهر للخواص ويحى على العلوم يشهد لذلك
 المشاهدة والتجربة بما يعني عن اطالة الكلام في تفصيل المقام وكل
 ما ظهر لنا من ذلك فمن فيض الله وقضاه عما فحسنته
 وعدله فانا كان ذلك كذلك فلا يحسن بنا اذا لم يظهر لنا
 السر في شيء من افعاله حل حلاله باديء بدء ان تقطع الامل
 من معرفته ونأس من روح الله في الوصول الى حكمته بل
 نطلب الحكمة على قدر الاستطاعة ناشغال الفكر واعمال البصيرة
 والاتقاء اليه بحسن السيرة والسريرة حتى يعلمنا ما جهلنا حماياه
 ويبيض علينا من بجار عطاياه فما افاص علينا علمه من ذلك
 شكرناه عليه وما لم يظهر لنا سره صرنا على الطلب حتى يصل
 اليه فيحصل لنا بذلك مريد الاجر والثواب من وحوه اما اولاً
 واستعمال النظر والتفكير في مصوغات الله سبحانه وتعالى والتفكير
 حكمته فقد امرنا بالنظر والتفكير في مصنوعاته كما هيها عن التفكير
 في ذاته وقد تقرر ان السير من فكر الحمان افضل من كثير من
 عمل الاركان واما ثانياً فما الشكر على ما ببيض علينا علمه والله

سجانه يهول (ولئن شكرتم لازيدنكم) واما ثالثا فالصبر على
الطلب وقد قال (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب)
وستنبذ مع حسن الاحر والثوبة في الآحل ما يكشف لنا من
المعرفة والحكمة في العاجل وذلك نعيم الروح ولذة النفس وثمرة
المخاطر ومسرة السرائر ولا ريب في ان معرفة الحكمة او شيء منها
فيما يأتي للعقول الشريفة ان تصل الى سر حكمته الزاهرة من
افعال الله وغمائب مصنوعاته الباهرة ادعى الى تعظيم الله سبحانه
ومجته والخضوع له والاشجاء اليه والتقرب من حضرته والاعتراف
بمحس حكمته واحب لسكون المخاطر واطمئنان القلب وراحة
السر ومزيد التسليم وحسن الرضا بالقضا وكل ذلك لا يجيى ولم
يمكن ما ارتكبت من اطالة المقالة قصداً الى تهيبك فان كل ما
عندي ليس الا من ثمرات تعليمك ولكي لما سألت ذلك السؤال
واوردت ما اوردت من الاشكال حسنت ان يخطر ببالك سوء
الظن في اعتقادي فاردت ان اعرفك بحقيقة ما انطوى عليه
مؤادي ولهذا اطلبت فيما قررت ورجع حاصل ما ذكرت الى
حسنة امور الاول اني اعلم ان كل شيء بقضاء الله وقدره الثاني
ان افعال الله سبحانه لا تخلو عن حكمة وسر الثالث ان العقول
البشرية لا تأتي لها الا حاطة بجميع حكم الله سبحانه واما يمكن
لها الوصول الى بعضها الرابع ان حكم الله سبحانه كما ان منها ما
لا تصل اليه عولنا كذلك منها ما هو في غاية الظهور والوضوح

لا يحتاج الى طول نظر وتدبر ومنها ما هو بين هذا وذاك الخامس
 انا اذا لم يظهر لنا السر والحكمة في امر من اول وهلة فلا تقطع
 بالياس منه بل نظرفيه ويلمس الحكمة له بقدر الاستطاعة
 وجتهد فلا ناس ما في النظر فيما اخذنا بصدده من المقام الذي
 سبه اساق هذا الكلام وهو البحت عن الحكمة في صيق عيش
 الفضلاء وفقر حالم ورعد عيشة الجهلاء وكثرة ما لم فان كان
 عدك في ذلك وجه حكمة فمك ستفيد والافل ينظر كل ما
 يعقله حتى يفتح الله بما يريد فقال الشيخ احسنت فيما ابنت وتطولت
 بما طولت ولكن بقي عليك شيء كان يستدعيه استيعاب البيان
 وانما الكلام ذلك انا اذا نظرنا في شيء من الامور الواقعة
 قضاء الله وقدرته والتسالة وجه حكمة وسر استبسط بواسطة
 العقل على حسب ما يصل اليه الادراك وبعد فيه الفكر هذا
 لا يحلو من مرة بالسهة اليها من سكون الحاضر وارتياح النفس
 كما قلت ولكن لا ينبغي لنا ان تقطع القول به وبحرم بان ذلك
 الوجه الذي لاح لنا هو في الواقع ونس الامر عين الحكمة التي
 ارادها الله تعالى بذلك الامر والسر الذي نبي عليه وقدر بل
 يقول الانسان اظن الحكمة في هذا الامر كذا او لعل السر فيه
 كذا وكذا ويجوز ان يكون له في هذا الامر اسرار وحكم اخر
 وربما كانت الحكمة غير ما ذهبا اليه بالكلية ادلسا معصومين
 من العلط والوم والخطاء فقطع القول في ذلك والجزم به ان لم

يرد به دليل شرعي ونص قطعي اقدام على الحكم على مرادات الله سبحانه والتجهين وهذا يناقض ادب العبودية لما الاحبار باننا نظن كذا فلا ناس به لانه احسار بالواقع وهو صدق لا محذور فيه مع تفويض علم الحقيقة الى العلم الحبير واما ما سالت عنه فلباس فيه اقوال كثيرة منها ان الله لما ررق العلماء ما ررقهم من كمال العقل والمعرفة والفضل جعل للجهلاء في مقابلة ذلك ما معهم من رغد العيش وسعة المال وكثرة الغنى فكان الغنى للجاهل في مقابلة الفضل للعامل لتعادل القسمة ويساوى العريقان في الحكمة ولذلك قالوا دكآء المرء محسوب عليه ومنها ان الله لما ررق الجهال سعة المال تأتي للعلماء ان فكسوا من بعض اموالهم بواسطة علمهم وعقلهم واحياج الجهال اليهم للاستعاضة بعلومهم ولو في بعض الاحيان ولو كان الامر بالعكس وكان المال مع اهل العلم والفضل ما كان للجهال وجه يبالون به من اموالهم فيحصل الحال ويهلك الجهال والله دراني تمام حيث قال ولو كانت الارراق تأتي على النحى

هلكن اذا من جهلن الهائم

ومنها ما يحكي عن ررحمر انه قال وكل الله الحرمان بالعقل والورق بالجهل يعلم ان لو كان الورق بالحيلة لكان العاقل اعلم بوجوه مطلبه والاحتيال نمكسه فدل على ان الامور تجري بتصاؤه وقدرته لا تصع ابن ادم وفكرته فكانت الحكمة به

هذه الهداية الى الله والدلالة عليه وارشاد العقول الى ان الامر كله منه واليه

نكدا اللبيب وطيب عيش الحمائل

قد ارشداك الى حكيم كامل

وما يسب للشافعي رضي الله عنه

لو كان بالحميل الغنى لوجدتني

بنجوم اقطار السماء تعلقب

لكن من ررق المحي حرم الغنى

ضدان مقترقان اي تعزى

ومن الدليل على القضاء وكونه

بئس اللبيب وطيب عيش الاحق

فقال هذه وحوه خطاية ونكات ادبية يستانس بها في

بعض المقال ولا تطرد في جميع الاحوال فكم راي الناس من

عالم غني وقير عي والذي يحظر بالمال ان العلم ليس من

اسباب الفقر ولا الحميل من اسباب الغنى ولا ملازمة من هذه

الامور بل القصة على العكس والعلم احد موجبات العي والسعة

والحميل احد اسباب الفقر والصعة لولا عوارض واسباب اخر

غير العلم وغير الحميل وذلك ان الله سبحانه لما جعل هذه الدار

موضع الكسب والسعي والاحبار ربط الامور فيها باسباب عادية

تحصيل عندها وتوجد معها كحصول الشع والري بالاكل والشرب

وامثال ذلك ما اجري به العادة في خلقه ومن ثم امرنا بالسعي
والعمل لا بالطالة والكسل كما قال تعالى (فامشوا في مآكبيها
وكلوا من رزقه) وامثال هذا مما يطول بيانه ولا يحصى عليك
تفصيله وهذا يوضح ان الاحد بالاسباب والثقلت في طلب الرزق
والتشبث بوحوه تكسه امتثال لامر الله تعالى واتناع لجاري سته
وطلب منه لسان الحال والافعال وهو اصدق من لسان المقال
هو اقرب الى القول فكان التشبث بالاكل طالب من موله
لسان حاله وفعله افاضة الشغ والتشبث بالشرب طالب كذلك
للرقي والمصطي طالب للدف وهكذا الاحد في اسباب الرزق طالب
للرزق والله سبحانه جواد كريم فياص مطلق لا يحل عده ولا
صيق فيما لديه هو يفيض على كل احد ما طله لسان حاله
وفعله الذي لا يدحله ما يدخل لسان القول من الكذب واذا
تمهد هذا الكلام وقرر الغرض في هذا التمهيد قلت لك ان اهل
العلم من لا مال عدم لما قصروا حل افكارهم وعلقوا مستهى
انظارهم على العلم والتشبث بوحوه تحصيله وكان ذلك طلبا له
واستدعاء لافاضته كما ذكرناه ابيض عليهم كما ان من لا علم عدم
من اهل العنى لما سعلوا في تحصيل المال واحدوا ناسانه وكدوا
في طلبه ابيض عليهم ذلك نعم قد يبرق القاعد ويحرم الساعي
المحد لاسباب اخر واسرار وحكم قد تعلم وقد لا تعلم الا ان كلاما
في العمومات والكليات لا في الخصوصيات والمجريات فحق كل

فريق من هذين الفريقين اذا اسف على حرمانه مما عند الآخر
 الا يوحه اللوم الا على نفسه ويرحم الله من يقول
 وعاجر الراي مضباع لرصعه

حتى اذا فات امر عاتب القدرا

فقال الشيخ اراك قد سقت الكلام الى حد اردت به توجيه
 الملامة علي واتهامي بالتقصير في الطلب وان ما نحن فيه من قلة
 المال وصيق الحال اما هو من تقصيري في الاحد بالاسباب
 قالت ينبغي ان لا يكون في هذا ارتياب وها انت قد حصلت
 من العلم ما تعلقت به امالك ووصلت فيه ما لم يصل اليه امثالك
 وانت الان بمحمد الله في صحة من حسمك وقوة من عظمك فاما
 عليك لو احدث لنا فيما يكون فيه حس الحال وراحة البال من
 الرزق الحلال في علمك ان للعبد دنوًّا لا يكفرها صلاة ولا
 صيام يكفرها السعي على العيال فقال الشيخ ومتى قصرت في
 الطلب وكيف لنا بتحصيل الارب فقالت طرق الوصول الى
 الرزق غير محصورة واسانه غير محظورة فمها ما يوصل الى قليله
 ومنها ما يوصل الى كثيره على حسب تفاوت الناس واختلاف
 درجاتهم وتباين حالاتهم واما الصعوبة في معرفة احسن الطرق
 الموصلة اليه بالنسبة الى الشخص والاهتداء لسلوكها فان الاسان
 في حال صعره الذي هو وقت تعلمه لا يتاقي له معرفة ذلك
 لصعف قوته العقلية كقوته الحسية هو اذناك كل على اهله

مصطر للاقياد لم واتاع ارائم فيوجهونه الى ما يوجهونه اليه مما يرونه نافعاً له وهو لا يدري افي ذلك حير له ام شر وعاقته مع له ام ضر فاداً ترعرع وكبر وبلغ اشدّه وملك رمام امره واحد يحكم عقله في التميز بين ما هو نافع له او اضع وصار او اضر والترجح بين ذلك والاختيار لما يراه حيراً له فحيث ان يوافق رايه راي اهله فيما ارادوه له واحدوه سلوك سبيله او يخلط الراي فان حالف رايه راي اهله ولم يستحسن ما اخاروه من اهله كان يكون اهله قد اخاروا له من صعره صعة الكنانة والرمه الاشتغال تعليلها فلما كبر لم يستحسنها طبعه وراى ان الاشتغال بصعة الحياطة او الحياكة مثلاً حير له من الكنانة لكونه راي بعض المستغلين بها احسن حالاً واعم نالاً من بعض المشتغلين بالكنانة فاداً كان كذلك صاع عليه ما قصاه من عمره في تحصيل الكنانة وربما كان ما اخاره كالحياطة مثلاً وان كان اضع له في نفس الامر فرصاً يحتاج الى تعلم ويحتاج التعلم الى وقت قد لا يساعده عليه حاله ثم هو في وقت تعلمه الصعة التي مال اليها هواه لا يمكنه التكسب منها فان ذلك لا يكون الا بعد اتمام معرفتها مع احتياجه في زمن التعلم الى القنّة وقد يشتغل بتعلمها مدة فيطول عليه زمن التعلم فيسأم ولا يجد فيها كساً عاجلاً فيدم والحاصل انه يخل حاله ويغيب امره ويغفل فيما يجار ويكون حالة كما يحكى عن الغراب في الامثال المضروبة انه لم تعبئة مشيته

الموروثة عن ابيه فاراد تقليد بعض الطير في المشية فاخذ يبرن
 مسة على ذلك مسي مشية الاصلية ولم تحصل له المشية التي
 ارادها ونقي يحمل في مشيه كما يراه وهكذا حال من ذكرناه ممن
 حال رايه راي اهله فيما علموه في صغره فلا هو حصل الغرض
 مما اراده ولا انتفع بما كان قد تعلمه بل ربما سبه بالكلية وضاع
 عليه ما قضا فيه من عمره وساء حاله وتحير في امره وربما كان
 من الاعرار مبضم اليه جماعة من الاشرار فيلصقون بعقله ويريدونه
 صلاحاً الى ضلاله وحالاً على حاله فان كان عنده بعض مال
 ورثه عن ابيه احتالوا على ماله ودهسوا به من مكان الى دكان
 واغفلوا معه من حان الى حان الى ان يصح فقيراً معدماً نادماً
 سائماً وان كان من اصله فقيراً حسوا له اموراً فيبذره فل ان
 يحصل منها على الكفاية وربما آت به الى الضيعة وعلى كل
 حال يدم حيث لا يهتدع الدم ونقي على اسوء الحالات الى
 ان يتركه العدم واما ان وافق رايه راي اهله واختار ما الزموا
 سلوك سبيله فانه تعود عليه منفعة ما تعلمه ويحي ثمرته ولا يضيع
 عليه ما قضا فيه من عمره ولا يهمل فاصل بين العلم والعمل
 وهذا يحسن حاله ويطغى الامل واذا قرر هذا على وجه العموم
 فليشتغل الى الكلام على وجه الخصوص فنقول لا شك ان اهلك
 حين ارسلوك الى الجامع الارمر لم يقصدوا لك الا الخير فان
 كنت راضياً بالطريق الذي رسموه لك فلماذا عرضت عن

مقصودهم وزهدت في مرغوبهم فقال لها وكيف ذلك فقالت
 انت اخبرتي ان والدك المرحوم كان فقيرا واماما بمسجد قرجه
 والضرورة اراد حين ارسلك الى الجامع الازهر ان تكون مثله
 لتقوم مقامه فلا يجلو حالك الان من احد امور ثلاثة اما ان تكون
 دونه او مثله او فقت عليه فان كنت دونه كان لك في الإقامة
 وجه الا انك اذا قارنت ما مضى من العرب بما بقي منه وجدت
 الباقي ليس وقت تحصيل وان كنت مثل الوالد او اعظم فلا وجه
 للإقامة حيثن بل الواجب عليك ان تنمو اثره فيما كان عليه
 وتضع رأي والدك فتخلص انت وعيالك من ضيق المعيشة
 وإقامتك في الأرياف على أي حالة احسن لان الثقة هناك اقل
 والموتنة اسر والمواء اتى واحسن والصحة اكمل ومع هذا يتبعك
 اهل البلد بتعليمك لم أمر دينهم وتنفع منهم انت بما تستعين به
 على امور المعيشة مما يقسمه الله ويحريه لك على ايديهم وتستعيد مع
 ذلك ثواب الله لتعليمهم ولا يحصى عليك مريد ثواب التعليم وان
 الله سبحانه كما امر العباد ان يتعلموا امرهم ان يعلموا غيرهم (واد
 اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبينه للناس ولا يكتموه)
 وقد قيل العلم كالشجرة فكما ان الشجرة ربتها ثمرها كذلك العلم
 ربته العمل به وتعليمه وهذا الذي ذكرته لك مني على انك راض
 بما قصده لك اهلك فان كان الامر بخلاف ذلك وانك قصدت
 متصدا لم تقصده ورغبت في امر لم يريدوه فقد ضيعت العمر في

الطلب ولم تترك ثمرة الثعب مع أن من واجب العلم تعليمه للغير
والأكان صاحبه بمن لم يعمل بعلمه وقد علمت الوعيد لمن هذه
صحة يعود بالله من ذلك .

فقال الشيخ انا محمد الله لم اترك تعليم العلم من حين وحدث
في نفسي القدرة على ذلك فاني مواظب على التدريس في الجامع
الارهر لطلبة العلم محتهد في تعليمهم على قدر الاستطاعة

قالت لا يخفى عليك ان احتياج اهل الريف للتعليم اكثر
وليس فيهم مثلك يعلم ' واما طلبة العلم في الارهر فاهم
بجدون كثيراً من العلماء يعلمونهم ولعل فيهم بعض مشاكك
الدين تعلمت منهم فاهل الريف احوج اليك واولى بك فاقامتك
بينهم اسب وتعليمك لم اصوب واعلم انه انا كان في يدك
مال تريد ان تصدق به ووجدت رجلاً فقيراً بين قوم اغنياء
من اهل الحيرة يوالونه سقائهم ويبرونه صدقاتهم وعلمت رجل
احرم مسكين بين قوم فقراء لا يجد من يصدق عليه بما يسلك
رفقه ويحفظ حياته من القوت الضروري من مقتضى الحكمة
وحسن الرأي ان تؤثر صدقتك هذا المسكين الذي لا يجد
من يصدق عليه وترحمه على ذلك القبر المقيم بين اظهر المحسنين
اليه وهكذا حال اهل الريف وطلبة العلم في الارهر من
حيث الاحتياج الى التعلم وهب انك في مصر لا تفوتك هذه
المرية من تعليم العلم الشريف فان غيرها من باقي المرايا التي

ذكرناها للاقامة في الريف

فقال لها قد اطلت في المقام واكثرت علي الملام ولكن
 هناك اعداء واهوال واحطارة لولا ما قشنتك ما سمحت نفسي
 باظهارها لك فقالت له هات ما عندك قال لو علمت حال اهل
 الارياف وما هم عليه من الظلم والاححاف لما رعت فيه ولا رضيت
 به فاهم لا يرحمون فقيراً ولا يوقرون كبيراً ولا يههون قبيلاً ولا
 يهتدون سبيلاً فقهاؤهم دائماً تحت رايهم وامرهم وبهم وان مهموا في
 انفسهم غير ذلك فلهمهم وان وصل اليهم شيء من الدنيا فائماً
 يكون بالاححاج وارقة ماء الحياه هل يرضى هذه الحالة والاقامة
 مع اهل الجهالة من كان ذا فضل وعمة فان اارقة ماء
 الوجه لا يرضى بها الا جاهل وكيف اعلم دم ذلك واقع فيه
 وكل ما اكسسه منهم لا يقوم مقام بعض ما يصيب مني بالاقامة معهم
 لان العلم يريد بالممارسة ويتقص بعدتها مع من تكون الممارسة
 هناك ولا يوجد نقي الارياف الا صاحب ارض فلا يتكلم الا
 في حريتها وبدرها وحصدها او بحار فلا يتكلم الا في انواع الاحشاش
 وما يصلح منها للسواق والسقوف والانواب او صياد السمك فلا
 يتكلم الا في شكته وفي انواع السمك وبركته وهكذا دأبهم من
 اول السة الى اخرها فلا يقيم معهم الا من كان مثله فان اقام
 عنهم عالم ضاع علمه وتدلّت صغاته المحبودة باصداها لان الطبع
 يسري كما قيل

طبع الفتى يُسرق من طبع مَنْ * يصححه فانظر لمن تصحب
 فقالت له اما ما ذكرته من سوء حال اهل الريف هو حجة
 لي عليك لا لك علي فان هذا ان كان كذلك فانما هو من
 شدة جهلهم فهم اذا احوج الى مثلك يقيم بينهم فيقوم تعليمهم
 ونهيبهم ما يجوز وما لا يجوز وتوقنهم على ما ينفع وما يضر واما
 قولك ان من يكون عندهم يصعب علمه فحسبك في هذا قوله
 تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله) واما ما ذكرت من ان من يقيم
 معهم تسري اليه طباعهم ومساوي اخلاقهم وقد حمت ذلك على
 نفسك هذا ليس بالنسبة لك ولا منالك الذين كملت نفوسهم
 ورسخت في المعرفة اقدامهم واستنارت سور اليقين بصائرهم وانطاعت
 على الحق والهدى قلوبهم واما بحاف من ذلك على الاحداث
 والاعرار الذين لم يعلوا من الفضل تلك الدرجة ولا وصلوا من
 الكمال الى تلك العاية اما الكاملون المكملون فلا يؤثر في حسن
 طباعهم سوء طباع غيرهم بل يعلو حتمهم على باطل سواهم ويسطو
 نور معرفتهم على ظلمات جهل غيرهم فان الريح العاصف اذا
 اقتلعت الشجرة والمذرة والصخرة فلا تقتلع الجبل الراجح ولا تزعزعه
 عن مكانه وقد علمت ما علمت من حال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وغيره من الاسباء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم
 اجمعين كيف اقاموا بين قومهم من الكمار والمشركين الضالين
 المضلين يدغوبهم الى الحق ويرشدوهم الى الهدى وباخذون بأيديهم

الى سبيل الحياة ويرشدونهم الى مكارم الاخلاق ويعبرونهم عن
 ذمهم الاحوال وليس حال من احضك على تعليمهم واحضك على
 الاقامة بينهم كحال اولئك الذين كان يقاسي منهم الاسباء ما
 يقاسون وهم يدعونهم الى الله تعالى ويرشدونهم الى الخلاص من
 الهلاك فقال الشيخ اونحى كالانبياء والمرسلين قالت قال الله
 سبحانه (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) وقال حل
 شانه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني) وقال عمر من قائل
 (قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني) فكمال
 اتباعه صلى الله عليه وسلم بالدعاء الى الحق وارشاد الخلق كما كان
 دليه وديده طول حياته وقد اتبعه في ذلك من بعده جماعة
 الحكماء الراشدين وغيرهم من الصحابة والتابعين فهدى الله كثيراً
 من الخلق على يدهم فهم على الحقيقة ورثة الانبياء صلوات الله
 وسلامه عليهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وعلى الحملة
 والتعصیل فقد ظهر من قولك وفعلك مخالفة رأيك لراي اهلك
 فانك لو اقتضت على ما كان حصل عليه الوالد من حط
 القرآن الشريف وبعض حطب ومعرفة ما تدعو اليه الضرورة
 ويكثر ميسر الحاجة اليه من مروع الله لتعت رايهم فيما قصدوه
 ولكلك علمت اموراً جهلوا فكرهت ما احبوه وعدلت عما ارادوه
 وادالم تر ما راوه فاي طريق رصيت لبعسك وما هو المقصود
 الذي تروم الوصول اليه فان كان مرادك من العلم امر الدنيا بها

انت لم تحصل مه على العرص وان كان مرادك الدين والتقرب
الى الله سبحانه فقد قلنا ان تعليمك المخاض اشد الاحياج
للأمور الضرورية من دينهم اوله واقرب الى الله وأكثر ثواباً مما
اراك تنصي فيه عمرك وتشغل به اوقاتك من البحث والحال
والقبل والقال والمحواب والسوال والحل والأشكال واعترض
واجيب وفيه نظرويد عليه وقد يقال ولا يقال وبحو ذلك مما
انت عاكف عليه ومنهمك فيه ومقتصر على تعليمه لجماعة من
الناس في موضع معين من الحامع الارهر لا تتجاوزه ولا تخطاه الى
غيره كما جاء التنزيل والص القاطع بان العلم لا يتجاوز ذلك
الموضع من ذلك الحامع

قال الشيخ قد يوفق الله سبحانه من اعلمهم العلم في ذلك
الموضع فيتعلمون وينشرون في الارض يعلمون الناس ويقومون
هذا المهم

قالت ما الذي يؤمك ان الدين يتعلمون علمك يكونون
مثلك ويسلكون سبيلك في الاقتصار على طائفة في ذلك المكان
المخصوص فيبقى العلم محصوراً فيه والمطلوب انتشاره وتعميم المنع به
وهب اهم لا يكونون على طريقته فاداً سلمت ان الذي اشرت
به عليك افضل مما انت فيه فلم لا تختار الأفضل لعسك أئندلون
الذي هو ادنى بالذي هو خير

قال لا سلم ان ما اشرت به افضل

قالت اسالك عن شيء واشدك الله ان تقول الحق ولا
 تحاول في الخواب قال سلي عما شئت قالت اذا فرض رجل من
 العامة وقع بسبب جهله في عقيدة مكفرة لا يتم معها ايمانه فنيته
 عليها حتى صحت عقيدته وتم ايمانه ورجل اخر منهم كان لا يحسن
 وضوءه مثلاً فصلاته بالضرورة فاسدة فعلمته كيف يتوضأ فصار
 يحسن الوضوء الموقوف عليه صحة الصلاة ورجل من طلبة العلم
 كان يجمل مسئلة من الصرف او النحو او البيان او المطلق مثلاً
 فعلمته ايها حتى اتقنها غاية الاتقان فتوكلت في اي واحد منهم
 اكثر وتعليم ايمهم عند الله افضل

قال الشيخ الحق احق ان جمع اللهم اني اري ان تعليم الاول
 افضل من الثاني ثم الثاني افضل من الثالث

قالت فادالم يتي بيننا نراع في ان الافضل تعليم هؤلاء المساكين
 المخناحين لمعرفة الاوليات المهمة من دينهم وانت ترى الفاجر في
 السوق اذا حبر بين سلعتين من امور تجارته احار ما يعلم انه
 اكثرها له ربحاً وفائدة اذا كان له ادنى غل فان كسب است من
 تجار الاحرة فلم لا تفعل مثل ذلك ولم تحالف العقول فتترك
 الافضل وتقتصر على المفصول حتى انك ترى كثيراً من حيرانا
 ومن حولنا من اهل هذه المحلة جهلاء بكثير من الامور الضرورية
 لم في دينهم فمنهم من لا يحسن الصلاة ولا الوضوء ولا يفرق بين
 طهارة ونجاسة ومنهم من يعتقد بعض عقائد فاسدة مضرة ومنهم

من يقول كلاماً يكرهه وهو لا يشعر ولا نحد من يعلمهم أو ينههم
وتراهم على هذه الأحوال ولا تنالي ما نرهم ولا نهم شامهم وهم جيرانك
وأحوالك وانت تعلم انه لو قصد احدهم الا زهر على الفرض
والتقدير ووقف على دروس العلماء فيه فانه لا يعقل ما يقولون
ولا يتمع بما يقررون فاهم يتكلمون بما لا يفهم من الالفاظ
الاصطلاحية بل انت تعلم ان الواحد منهم لا يدري بفساد عقيدته
او عاداته حتى يسعى في تصحيحها فلو قصدت وجه الله سبحانه
تعلمك وعملت بمقتضى محبة الله ورسوله وملكه وامته لكنت تشق
عليهم وتصح لهم وتواظف في وقت من اوقات الليل والنهار على
مسجد محلنا القريب من دورتنا هذه فتقعد فيه بين المغرب
والعشاء مثلاً وتعد لمن تراه هناك منهم درساً تعلمهم به كيف
يوصأون ويصلون ويصومون وكيف يعدون الله تعالى عادة
صحيحة وكيف يكون البيع صحيحاً وكيف يكون فاسداً ونحو ذلك
من الامور الضرورية لم في دينهم ودنياهم فهم من تصلح على يدك
عقيدته ومنهم من تصح تعليمك عاداته ومعاملته وفي ذلك من
الاجر والثواب والمنزلة عند الله سبحانه ما لا يقدر اللسان على
وصفه وانت اعلم مني قدره مع انه لا يقطعك عما انت بصدده
فلم تعرض عنه وقد علمت ان الدين الصحيحة لله ورسوله ولأئمة
المسلمين وعامتهم فاعراضك عنه لا يظهر له وجه الا اذا قلت
معتمدة على حسن عمورك مغترة بمرط حلك راحية عدم المواخدة

من جهتك ان قصدك بالعلم مجرد التماهي به والتظاهر بالتبحر فيه
والقدرة على التعمق في مسائله الدقيقة والخصوص في بحاره العميقة
فتقول لك نفسك ان تعلم هؤلاء العوام لا يحتاج الى كثرة علم
وجودة فهم فلا يظهر به فصل الاسان وسعة علمه وحدة دهره
فما لك به وليس لك فيه فائدة وامثال ذلك مع ان فيه اعظم
فائدة من ثواب الله ورضاه ورحمته والتقرب من حصرت فلاحده
المنزلة وصلتها ولا مقاصدك من امور الدنيا حصلت ولو اخلصت
لله سبحانه الية والعمل لاثلك الدنيا من حيث لا تحسبها
واتقادت اليك عفوا على ان الاشتغال بامور الدين واتقاء مرضاة
الله لا يباقي الاشتغال بامور الدنيا من وجه الحلال فاعمل
لاحرثك ودياك معاً واتع فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنس
نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك وقد تربيت في
كفالة اهلك في صغرك فعليك ان تعول درجتك وعيالك في
كرك وتسعى لم بما يصلح حاله ويعم ناله من المعاش الطيبة
بالكسب والسعي في طلب الرزق الحلال واتعاء فصل الله سبحانه
وقد قال حل حاله (فانتشروا في الارض واتعوا من فصل
الله) وقال (واحرون بصرون في الارض يتغنون من فصل
الله) وقرأت في كتاب مرشد المؤمنين لمحمد بن عبد الكريم
الحلي محطه نقلاً من مسند الفردوس عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الذنوب دنونا

لا يكفرها الصلاة ولا الركاة ولا الحج ولا العمرة ولا الجهاد بكفرها
 ألم في طلب المعاش وما ثقله مه عن أبي سعيد الخدري رضي الله
 عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الأعمال الكسب
 من الحلال ومه عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ليس خيركم من ترك ديناه لآخرته ولا آخرته لديناه
 حتى يصيب منها جميعاً فان احداها تلفة الاخرى ومه عن انس
 ايضاً من لم يقيم في امر معيشته لم يقيم بامر دينه والفس لا تكور
 متعرة للطاعة حتى يكون بكها الكسرة التي تقوم بها فاداستمكت
 امور قوتها صدقت عدد ذلك وسكنت وتعرعت للعادة فاعدوا
 وروحوا واطلبوا من فضل الله وامثال ذلك في الحديث الشريف
 كثير . وروي ان عيسى عليه السلام رأى رجلاً فقال ما نصنع
 قال اتعد قال من بعولك قال احي قال احوك اعد منك
 وقال لقمان لاسه يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما
 احقر احد قط الا اصابه ثلاث حصال رقة في دينه وضعف في
 عقله وذهاب مروته واعظم هذه الثلاث استحياف الناس به وقال
 عمر رضي الله عنه لا يتعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم
 ارزقني فقد علمت ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وكان يريد ان
 مسلمة بغرس في ارضه فقال له عمر رضي الله عنه اصت استغن
 عن الناس بكون أصون لدمك واكرم لك عليهم وكان اصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ينجرون في البر والبحر ويعرسون

ويعملون في بحيلهم وهم أئمة الهدى وفاعلم يتقدي بما هذا التقاعد
والتقاعس عن الكسب والسعي في طلب الرزق وما لك لا توسع
على عيالك ومالي أراك تصرف جميع أوقاتك في المطالعة
والطالة وهلا قسمت وقتك قسمين قسم تصرفه في العلم والعبادة
والقسم الآخر في طلب الرزق وإذا كنت لا تطيب نفسك بالاقامة
في الريف معاً ذكرت لك فلا بأس عليك إذا تشبثت بها بالسعي
على العيال والكسب من الحلال مع الاشتغال بتعليم الطلبة وبعض
العوام من الجهال

فقال وأي سعي تريدني وما الذي تريه

فقلت العاقل من أقدى ناهل حرفه وأمثاله وحرته
وقد علمت أن كثيراً من أمثالك لم مرتبات ووظائف وإقطاعات
ولا أرى أحداً منهم إلا وهو ساعٍ في طلب الرزق إن كان
فقيراً وفي ريادته أن كان غنياً فلو تصدبت لهذا الأمر وسعيت
فيه فما أظن أن سعيك يصيب عليك فقد قيل من جد وجد
ومن لج ولج فاقصد من تتوسم فيهم الخير من أرباب الكلمة
وتودد إليهم وتعرف بهم فإن عرفوا كنه قدرك ووقفوا على حقيقة
أمرك اعترفوا بفضلك وعطوك ووقورك ولا أرى في ذلك من
محرم ولا مكروه بل ربما كان واجباً فاما مأمورون بالسعي
والناس جميعاً شهم وفقيرهم محتاحون لبعضهم وربما كان احتياج
العي إلى الفقير أكثر من احتياج الفقير إليه لأن الغني يغلب

عليه حب العظمة والترفع والتروغ ولا يشتغل إلا بالأمور المهمة
الكلية ويكل أموره الخيرية لخصاتها إلى غيره فيحتاج للقبيل
ليقوم له بها ثم إن كان ذلك الغني صاحب مروة ومعروف
انقطع القبر إليه ولازمه وإن كان بخلاف ذلك تركه ولاد
غيره وهكذا حال الفقراء والأغنياء مع بعضهم

فقال لما هذا الكلام في ذاته لا شك فيه ولا ريب بعينه
ولكني قد امتخت جميع الوظائف وأصحابها وأحدثت حالهم مع
روسائهم وبطارها فلم أحد وظيفة عارية عن الدل والأمانة
ولو قام صاحبها فيها بالصدق والأمانة ولا يقيم فيها إلا من
عدل عن الحق واتع أهواءه الخلق فإن كل صاحب وظيفة
لا يجلو عن أحد أمرين أما إن يتبع هوى الخلق وأما إن يتبع
أمر الخالق فإن اتع الخلق وقد استوجب غضب الله عليه
وإن اتع الخالق فقد تسب في امتداد السوء الناس إليه
فيكرهونه ويدمونه ويشتمون عليه ويقولون عليه ما لم يقل
ويسبون إليه فعل ما لم يفعل ولا يرالون به حتى يعزل ولا
يحيى إن ألم العزل أضعاف لذة المناصب قال الشاعر

سكر الولاية طيب * وحارها صعب شديد

كم تائه بولاية * ويعرله يفسدو الريد

فأي الحاليتين ترضين وأي الأمرين تريدن وهل تعد
هذا العروطهور الشيب يليق بي أن ادل نفسي وأسعى فيما يوجب

لما غضب الله او اطلاق ألسنة الناس عليّ فتضيع دنياي
واحترق باطن اب الحمال الذي يحس فيه أحسن الاحوال
لسلامتنا فيه من ألسنة الناس بالعرلة عنهم كما قيل
فان تجنبها كنت مسلماً لاهلها

وان تجنبها نار عنك كلالها

فاما وان كما في ضيق من العيش فمتلا كثير وربما كما
احسن من غيرنا وانا اعد نفسي من السعداء حيث روي الله
ملك فكنت موافقة لي في العلم والعمل وفي التحرر من سعادة المرء
الزوجة الصالحة هذه الحالة عدي أفضل من الرتب الموقعة
في العنا والتعب وانا نظرت الى غاية الأمر رأيتها في المحالين
واحدة فكما يموت الفقير يموت الغني ولو تأملنا حال كل منها
في الدنيا لرؤينا بالفقر فان العي في الدنيا دائماً في معاناة رسوم
كثيرة غير مربوطة وملاحظة عوائد غير مصبوطة وحركاته
وسكاته مشهورة واقواله وافعاله ماثورة مذكورة يلتقطها
الناس ويحرفونها عن مواضعها ويحملونها على غير ما اريد بها
ويستنسخون منها شراً وربما كان قد اراد بها حيراً فتسقط
السنة العوام بسه ودمه وعيه وتصبر سيرته في الارفة شائعة
وفي اللاد منتشرة دائمة فلا يهاب بمقام ولا ييم له نظام ولا يدخل
منزله الا وفكره مشغول قد آلمه السم والم به الحول فيبت
سمير الارق بدم الوهم والقلق فابن هو ما نحن فيه الآن ومن ذا

الذي يرضى استدال الله وعاء بلدة راحته وهما
فالت لة ان الذي قدرته بهولك وتحيلته بعلمك مسلم من
جهة واحدة تعارضها جهات متعددة منها ان الدنيا كما علمت
دار تعب فكيف ترجو الراحة فيها ومنها ان الفنى نعمة من نعم
الله بخص به من يشاء من عبادك فكيف يكون سهلاً لدم
صاحبه وصرف النظر عنه وذلك يؤدي الى البطالة المؤدية
الى الفقر الموجب للدلة والمسكنة طول العمر واما قولك انا
في سلامة من السة الناس بالعزلة فحق ان سلمنا السلامة بهذه
الحالة من السة الناس فلا سلامة فيها من أسسة الفقر
والافلاس وابن السلامة وانت تنظر كل وقت الى حالنا وصيق
عيتن عيالنا فكيف يطمئن قلبك بالعزلة واولادك يشكون الم
المحوج والفلة افلا يكون ذلك مشوشاً لعركك مهيجاً لحاظرك
وانك ان كنت منقطعاً عن الخلق في مراكك واموالهم واحوالهم في
قلبك فليست العزلة محرّدة حس الاحسام كما ان الصوم ليس
محرّد الامتناع من الشراب والطعام والآن لكنت متحققة في اهل
السكن والمحرايم العظام وسأذكرها هنا مقدمة أهد بها للكلام ثم
احوص معك في حديث المرام فاقول ان كل انسان لا يرى
الاشياء الا على حسب ما تظهر لة فان وقف على حقيقة امرها
واطلع على ما كمن من سرها ظهرت لة من جميع جهاتها محكم
عليها بما تستحقه في ذاتها وبالطريقة العامة حالاتها والا ظهرت لة

المسئلة من جهة واحدة فيحكم فيها بما تنصيه تلك الجهة دون
 سائر جهاتها وقد قالوا ليس العلم الا ما كشف الغطاء عن
 الأسرار الربانية وإطلع صاحبه على المحكم الالهية ولذا قال أسد
 الله الغالب علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لو كشف الغطاء
 ما اردت بقاء حتى اهم تسبوا صاحب العلم رئيس الجيش
 هذا يفتح القلاع بحيلة ورحله وذاك يملك القلوب برأيه وقوله
 ورئيس الجيش وان كان يكشف عن مكور القلاع والعالم
 يكشف عن حقائق الطباع ويعوض بحار اسرار المخلوقات
 ويستخرج ما استتر من عجايب المصنوعات فكما يستولي رئيس
 الجيش على المالكة تقوته وكذلك العالم يجذب القلوب بسور
 نصيره والمخلق معتقده الى العلم بـ سائر اللاد كاعتقار الطمان
 الى الماء والمسافر الى الراد لانه لا دوام للملك الا بحسن التدبير
 ولا تدبير الا بالعلم والقوة الحيوانية مخدعة للقوة الروحانية
 والاولى مأمورة وتابعة والثانية آمرة ومتبعة فامور الدنيا لا تنظم
 الا بالعلم والعالم بالساسة للعلم كاللسان بالساسة لصاحبه فكما
 ان اللسان يترحم عما في القلب ادلولاه ما علم احد ما في ضمير
 الاخر وكذلك العالم يصح عن حقائق المعلومات وغرائبها ولا
 يحملها على غير ما اريد بها وإظن ان غالب اختلاف الخلق من
 اختلاف نظرم منهم من يظن الى التي في اعم احواله فيحكم عليه
 بما يستخفه ومنهم من يظن اليه من جهة فيحكم على كل جهاته بما

حكم به على تلك المحمة ومن ذلك الوجه كان نملك للغنى فانك لم تنظر الا لما توهته فيه من التعب والمشقة اما لكونك لم تله فلم تعلمه حق علمه واما لكونك لما حرمته كرهته فدمته وان كنت قد علمته ولو انك علمت تمتص علمك وما اعلمه من سعة فهمك لنظرت ايضا لما فيه من العوائد المحمة والمزايا المهمة كالنوسعة على العيال والاقارب ومواساة الحار والصدىق والصاحب واعانة الملهوف واعانة المحتاج وتيسير كربة المكروب وايواء الغرباء وكفالة الايتام وإطعام الطعام والاعانة على نوائب الايام وغير ذلك مما يقع الانام ويوجب خلود الذكر ومريد الاجر على الدوام وانت ترى ما لكثير من الاغنياء الموقفين من المحبرات والصدقات والمبرات والمكاتب والرواتب والمصاطب والمدارس والمساحد والتكايا والمعابد وبحو ذلك مما يطول استمراؤه ولا يمكن استقصاؤه فلو نظرت الى العنى من هذه المحمات لحكمت تفصيله وسعيت في تحصيله ولكك نظرت اليه من جهة واحدة فعنته من احلها وتحميته سبها ومن كان هذا حاله فمثله مثل من يعلم ان النار من ضروريات المعيشة على الاطلاق ويتمتع من ادخالها بيته خوفا من الاحراق فلو تحفظ مما يوجب سريان شررها لاستعملها وامن من شرها فكذلك العنى فانه وان كان قد يؤدى الى بعض مضرات لكن نفعه اكثر من ضرره ولا يكر ذلك الا متجاهل او جاهل وحاشاك وليس الغنى للعلماء

بدعاً ولا شخصيهم له عمتعاً فان العلم بانواعه يستعان به على
 مصالح الدين والدنيا وان الملك لا يستغني عن العلم واهله
 وانما يلزم العالم اذا كان له وظيفة ان يكون مع المخلوق كالطبيب
 الماهر مع المريض فكما ان الطبيب يعاين احوال المريض ويامر
 له بالدواء على حسب ما يراه حتى يحصل الشفاء له فيشفي عليه
 ويشكر فضله كذلك العالم الموظف يكون بين الناس ناظراً الى
 ما تقتضيه طباعهم وامرحتهم وما يناسبها من الاحوال والاقوال
 فيعامل كلأ منهم على قدر عقله وعلى حسب حاله وما يليق
 به من غير عدول عن الطريق القويم والصراط المستقيم فقد
 قيل

احل الناس على اخلاقهم * فيه ثلك اعتناق الشر
 فتقبل عند ذلك قلوبهم اليه ويفقدون بالاحسان عليه
 ويتقدمون بعله وقوله ويخرج من مدمة من خالف بعله بعله
 وهماك يغفر الله ورره ويضاعف أجره لان العامل بعله بمع
 نفسه وينفع غيره وهو بين الناس كالغيث فكما ان الغيث يتنفع
 به المحبون والنبات كذلك العالم العامل تفيدى به ارواح
 المخلوق وتعملون منه ما ينجيهم من غضب الحق ومن كانت
 هذه حاله فالاحسان اليه مثول ودعائه عند ربه مقبول
 فقال الشيخ لا تأص بما قولين ولا شك في كثرة فوائد
 العنى للعاقل الصير الموفق ولكن لو تيسر لي سلوك سبيله ما

قصرت في تحصيله ولو لم يكن من موائده إلا رضاك وإتباعك
وحصول اغراضك لكان هذا لي كافياً في الرغبة فيه والإقبال
عليه ولكن كيف السبيل إليه وابن الثريا من يد المساؤل .
قالت السبيل الى ذلك ان نعمل بعلمك ونتنفع الناس
بفضلك وفهمك

قال الشيخ سحان الله وإي عمل حالت فيه مقتضى العلم
من أعمالي وانت أعلم بجميع أقوالى وأفعالي وأما التعلم فليس لي
اشتغال إلا به ولا تعلق إلا بسببه وتعليمك انت أقوى دليل
والله على ما نقول وكيل

قالت ما لهذا قصدت

قال وما الذي أردت

قالت من أخطأ الطريق صل ومن عدل عن الصواب رل
اذا ما اتيت الأمر من غير ماله

ضللت وإن تدخل من الباب عتدي

ومن عرف مقاصد العلم وصل إلى مطلوبه وحصل على
مرغوبه ومن لم يدر ما يراد من العلم وقع في عناء مستمر ولا
يرال كذلك حتي ينقص العمر فيلزم مرید ای علم ان يعرف قبل
تعمه ثمة علمه وطلله والا كان كراكب البحر من غير دليل فان
لم يعرق لا يصل الا بعد زمن طويل وقد علمت ان جميع
المخلوقات تنقسم الى جوهر وعرض يقوم به ويدخل في العرص

الالوان والاحوال والانفعال ويدخل في الجوهر الحيوان والسات
والمعدن وتحت كل منها أنواع وتحت كل نوع افراد كثيرة
بالغة في الكثرة الى حد يعلب العد ولها في وجودها وبقاءها
وفنائها قوانين عمومية وخصوصية وروابط كلية وجبرية اجراها
عليها الخالق الحكيم القادر حل شأنه ولكل منها في ذاته
واحواله اللاحقة له والمتعاقبة عليه لفظ يعبر به عنه وحاصبة
تقوم به وحكم يحكم به عليه ولا يحيط بهذه الاشياء بجميع
افرادها واحوالها كما هي عليه في نفس الامر الا العلم الحبير الذي
خلقها وصورها وديرها وقدرها وأودع فيها ما أودع من اسرار
حكيمته وغرائب صنعته وعجائب قدرته فعلمه هو العلم الحقيقي
على الاطلاق لا يغرب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وهذا الحد لا يمكن للعقول البشرية
ان تناله ولا تقرب منه بل ثلاثي وتفصل دونه واما علمها
هو قسمان القسم الاول علم حقيقي بالنسبة للاسباب وهو معرفة
ما يتأني للعقول البشرية ادراكه ومعرفة من افرادها واحوالها
الاصلية والطارئة عليها بالصناعة والتركيب والتحليل وطريق
تحصيلها وكيفية استعمالها والانتفاع بها وخواصها واحكامها وحالاتها
وحرامها ويدخل تحت هذا القسم علوم التاريخ والرياضيات
والكيمياء والطبيعة والطب والشرعية ومروعا . القسم الثاني علم
ملحق بالحقيقي ووسيلة له ويسمى علم الالات وهو علم اللسان

فيدخل فيه الصرف والنحو والبيان والعروض واللغات بأسرها
 من اقتصر على العلم الحق بالحقوقي لم يكن عالماً حقيقياً بل
 يكون كمن اكتفى باسم المحيز عن ذات المخبر ومن علم العلم
 الحقيقي كان له أن يجني الثمرة ويأكل البغية وأنت بجهد الله قد
 أحدثت من كلا العاليتين نصيباً وافراً وبلغت إلى درجة شريفة
 فمن ذلك أنك فقيه عارف بالمذاهب الأربعة مستغنى لاصولها
 ومروعا وهذا علمك ومك الذي كنت أكثر اشتغالا به فلا
 أقول لك أترك الله واقطع إلى الطب أو الهندسة أو الملاحه
 مثلاً بل أقول يلزم أن تكون موظفاً بوظيفة تعمل فيها بعلمك
 وتنفع وتتفع فيها بجودة مهمك وشدة حزمك هذا الذي اشترت
 إليه وعولت عليه فتوكل على الله واحتهد في تحصيل وظيفة من
 الوظائف من غير أن تلتفت إلى مربوطها ومرتعها فقد قالوا
 وكادب الحجر يبدو قبل صادق

وأول الغيث قطر ثم بهمل

فإن احتهدت في ذلك وسعيت ولم تصل فاعلم أن الذي
 تعلمته غير ما كان يلزم أن تتعلمه أو أن هذا البلد غير البلد
 الذي بسغي لك أن تقيم فيه فاما أن تغير الفن أو تغير البلد
 وغير ذلك لا أقول وفيما حرم بيننا من المماشة كفاية
 قال الشاعر

على المرء أن يسعى الى الخير جهده
 وليس عليه ان ثم المطالب
 وقال احر
 لا تيأسن اذا ما كنت ذا ادب
 على خمورك ان ترقى الى الفلك
 فيها الذهب الاربر مختلط
 بالتراب ادصار اكليلاً على الملك
 فقال لما دعيني افكر في ابي الامرين اولى وهل بشرح
 خاطري لموافقتك ام لا

المسامرة السادسة
 السامح الانكليزي

وقام من عندها وتوجه الى الجامع كعادته وهو متفكر فيما
 جرى بينه وبين روجه وكان قلبه يميل لم رغوها لادخال السرور
 عليها وعلى اولاده لكن لا يدري كيف يصح وكان يقارن في
 نفسه احوال احد الامرين باحوال الآخر ويقدر ما في كليهما
 من مفعة ترحى او مضره تحذر ثم ترجع عنده الرجل عن اللد
 وكنم هذا الامر ولم يشه لاحد واخذ في أسباب معرفة احوال

البلاد والاقطار تارة بالسؤال من اهلها وثارة بمطالعة كتب
 السياحات والاحار واقام ينتظر العرصة فلم تمض الا ايام قليلة
 حتى اتفق ان رحلاً من مشاهير الانجليز المشتغلين في بلادهم
 تعلم اللسان العربي وقراءة علومه حضر الى مصر القاهرة ولقي
 حضرة الاستاذ شيخ الجامع الازهر واطلعه على بعض رسائله معه
 من الامراء والكبراء تضمن التأييد له وطلب رعايته واهمى اليه
 انه من عشاق اللغة العربية وطلاتها والمتعلقين باهدائها وان
 عنده نسخة من كتاب لسان العرب في اللغة للعلامة محمد بن
 المكرم ابن ابي الحسن الحرشي الانصاري رحمه الله وانه لما
 رآه في هذا الكتاب من كثرة فوائده وعرارة مادته وعظم نفعه
 وجمعه من متفرقات اللغة ما لم يجتمع في غيره من كتبها المتداولة
 يريد ان يطبعه للتجارة فيه وتسهيل تناوله لطالبه فان تحصيله بحط
 القلم لا يتيسر الا للاغنياء واهل الثروة بسبب كبره وضخامته مع
 قلة نسجه وندرته ووجوده وانه حصر الى مصر بقصد تصحيح النسخة
 التي معه من هذا الكتاب لاجل الطبع منها والنفس من حضرة
 الشيخ ان يدلّه على استاد من افاضل العلماء المتبحرين في تصحيح
 الكتب ويقرأ عليه بعض العلوم العربية ويجعل له في نظيره
 ذلك راتاً كافياً يرصيه ويعوض تعبه فان اقتضى الحال في اثناء
 ذلك سفره من مصر الى بلاد الانكليز او غيرها استصعبه معه
 شرط ان يضاعف له مرتبه ويجتهد مع ذلك بمؤنّة ونفقتة

ولوازم سفره حتى يرجع الى مصر فذكر له الشيخ جماعة من افاضل العلماء المتفنين المعروفين بمجدة الذهن وجودة الفهم والتمكن في الدين والعلم ودله عليهم وقال له اجتمع هم وتكلم معهم واسترهم بما امكن من رضي منهم فيه الكفاية وزيادة فاجتمع الانجليري بعضهم وتكلم الشيخ ايضا مع بعضهم فما سمع ذلك احد منهم الا امتنع واعتذر خصوصا حين يسمع بالسفر منهم من اعتذر بكبر سسه وضعف بدنه ومنهم من قال انه لا يطيق معارفة اهله ووطنه ومنهم من رأى ذلك لا يجوز في الدين نظره وكان الشيخ علم الدين في خلة من ذكرهم الاستاذ شيخ الجامع الازهر للرحل الانكليري فسأل عنه واجتمع به في مجالس متعددة فرأى منه ما اعجبه وجذب قلبه من سعة اطلاعه وحضور دمه وجودة قريحته وحسن اخلاقه وكرم طبعه فشغف بحبته ورغب كل الرعة في صحبته وكله ذات يوم في ذلك ورغبه في موافقته على قصده وكان علم الدين في اجتماعاته مع الرجل قد رآه مذهب الاحلاق حسن الصحة سخي الطبع يهودي للسليبي و يظهر ميله اليهم وحمية الحبر لم ومحبة العرب ولساهم وعلومهم فاس به ولم يمر من صحبته فلما كلفه في ذلك قال اني احد نفسي لا تأبى ما ذكرته ولكن امهلني الى العد حتى اتفكر في نفسي فان الراي ادا لم يثبت وثبت فيه كان كالحين المولود لغير وقت ولادته واريد ان استشير اهلي وبعض اصدقائي فاننا

مأمورون في كيبا بالاستشارة في أمورنا

فقال له الانكليزي لك ذلك وسترى مني ان رغبت في
صحتي كل ما يسرك وبرضيتك وبغيبك وموعدنا الغد في هذا
المكان وفي مثل هذا الآن ثم قام وتركه فجلس الشيخ علم الدين
بفكر في نفسه ويضرب احساساً لأسداس ويشاور من يثق برأيه
ومخفته له من الناس فترجح عنده موافقة الرجل على طلبته
وواقفه على ذلك من استشاره من احبته وفي خلال ذلك أحس
رعته بعض طلبته وكانوا يجتهدون ان لا يفارقهم لكثرة افادته
لم وترددوا عليه ورجوعهم في حل ما اشكل عليهم من المسائل
اليه فارادوا ان يجولوا رأيه ويصرفوا عن هذا الامر نظره واحتملوا
رايهم على أن يبدل كل منهم غاية جهده في منعه وصدده عما هو
بصدده فاحتملوا اليه وحلوا حواله وقالوا أدام الله ايها
الاستاذ تمكيك وخرس دنياك وديبك قد سمعنا من بعض
الناس ان هذا الرجل الانكليزي قد استألك الى موافقته على
مراده ومراقبته الى ملاده وغير ملاده فاعطيا ذلك وأكبرناه ورددناه
وانكرناه وقلنا حاشا لله ان يحظر لسيدنا الشيخ سال او يتصور
له شيء خيال ان يرضى بخدمة رجل على غير دينه يعلمه علوم
الشريعة طمعاً في المال او في حال من الاحوال لما نعلمه من ربهك
ووزرك واستقامة رأيك وسلامة طبعك وقد علمت قول الله
سبحانه في التنزيل (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم

أولياء تلقون اليهم بالمودة) الى قوله (ومن يفعله منكم فقد ضل
سواء السبيل) ثم لا يخفى عليك ما في مفارقة الأهل والأوطان
وما جاء من ان حب الوطن من الأيمان ولا يكر ما في ركوب
البحر من الخوف والخطر وما جاء من ان السمر قطعة من العذاب
او العذاب قطعة من السفر ويقال الغرة كربة والقلة مثله لا
سما لذي قلة

ان الغريب الطويل الذيل ممتن

فكيف حال غريب ماله مال

وقالوا عسرك في بلدتك خير من يسرك في غرضك

قرب الدار في الاقتار خير * من العيش الموسع في اعتراش
قال الشيخ علم الدين اما الخدمة فليس مراد هذا الرجل ان
احداه وإنما هو تصحيح كتاب يعم المسلمين نفعه اذا كان يتم طبعه
فان كثيراً من الناس انا من حملهم يهضون ان يحصلوه ولا يجسر
لم ان يالوه سبب كره واحتياج استكثابه الى مدة كثيرة ونفقة
غير يسيرة عاذا طبع كثر تداوله وتيسر تناوله فانا انما احدم العلم
والعلماء بذلك والأعمال بالنيات والله سبحانه مطلع على السرائر
وإذا علمت الرجل شيئاً من العلم فليس المعلم كالخادم فان من
شأن المعلمين التكرم والتوقير ومن شأن الخادمين الاهانة
والتهجير وليسوا سواء وربما كان في تعلم العلم لمن لم يكن على
ديننا فائدة فقد يقف على حقائق ديننا فيحبه ويميل اليه ويرجحه

على غيره فيسلم . فان لم يسلم وتقي على دينه كان في بلاده وإياه
وطيه كالوكيل عما يدافع عن ديننا رد الاقاويل التي
يلقيها بعض علمائهم في حضا وإنا قد احسست في هذا
الرجل رغبة النظر في الأدلة والأصغاء الى الحق والطلب للعلم
ولا ارى في تعليم مثله مأسا وقد قال الله سبحانه في سورة التوبة
(وان احد من المشركين استنار فاجره حتى يسمع كلام الله ثم
الغه مأسه ذلك ناهم قوم لا يعلمون) وقد نزلت في المشركين
الذين تقضوا العهد فسد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم
عهدهم وأمر بتعاليم فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما خرج الى غزوة تبوك وتحلف المنافقون وأرجصوا بالاراحيف
حل المشركون بتصوير العهد فسد اليهم عهدهم وهذا الرجل
الذي تكلم فيه من حملة المعاهدن لنا الدين لم عهد تقصم لهدنا
فليس بمناه اولئك المحاربين من المشركين ومع ذلك فقد جار بتقصي
هذه الآية الشريفة اسماعهم كلام الله عز وجل وهو مسجع العلم
والدين قال الامام محمد بن الحسن الرازي على هذه الآية في تفسيره
الكبير نقل عن ابن عباس رضي الله عنه ان رجلاً من
المشركين قال لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه
اذا اردنا ان نأتي الرسول بعد اتقضاء هذا الاجل لسمع كلام الله
او لحاجة اخرى هل نتل فقال علي لا ان الله تعالى قال (وان
احد من المشركين استنار فاجره حتى يسمع كلام الله) قال

والمقصود من هذا الكلام بيان ان الكافر اذا حاه طالباً للحجة
والدليل او حاه طالباً لاستماع القرآن فانه يجب ايماله ويحرم
قتله ويجب ايصاله الى مأموه ودل هذا على ان الظرفي دس
الله اعلى المقامات واعلى الدرجات فان الكافر المحارب الذي
صار منه مهذباً لما اظهر من نفسه كونه طالباً للظفر والاستدلال
زال ذلك الاهدار ووجب على الرسول ان يبلغه مأمة ثم قال
المذكور في هذه الامة كونه طالباً لسماع القرآن فتقول ويلحق به
كونه طالباً لسماع الدلائل وكونه طالباً للجواب عن الشبهات
والدليل عليه ان الله تعالى علل وحب تلك الاحارة بكونه
غير عالم لانه قال (ذلك بانهم قوم لا يعلمون) وكان المعنى
فأحره لكونه طالباً للعلم مسترشداً للحق وكل من حصلت فيه هذه
العلة وحبت احارته (انتهى) وهذا كاف في جواب ما عرضتم به
من الاعتراض على تعليمه وإما الطمع في المال فالله سبحانه العليم
بمخائيل الاحوال المطلع على بيات القلوب وحيات العيوب على
ان الحالة محرقة والعيشة محرقة وما ارى نفسي ان العس لامارة
بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم وإما قوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا لا تتحدوا عدوي وعدوكم اولياء الى اخر الامة فقد
برلت في حاطب اس اني نلتة لما كتب الى اهل مكة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتجهز للفتح فحدوكم ثم ارسل ذلك
الكتاب مع امرأة مولاة لني هاشم يقال لها سارة كانت قد جاءت

الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لما عليه السلام اسلمة جئت
 قالت لا قال امهاجرة قالت لا قال فما جاء بك قالت قد ذهب
 الموالي يوم بدر ابي قتلوا في ذلك اليوم فاحتجبت حاجة شديدة
 فحث عليها نبي المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فانها حاطب
 واعطاها عشرة دنانير وكساها رداء واستعملها ذلك الكتاب الى
 مكة فخرجت سائرة فاطلع الله الرسول عليه السلام على ذلك
 فمعت علياً وعمرو عماراً وطلحة والزبير حلفاء وهم فرسان فادركوها
 وسالوا عن ذلك فانكرت وحلفت فقال علي رضي الله عنه والله
 ما كذبنا ولا كذب رسول الله وسلم سيئه فاحرجت الكتاب
 من غصص شعرها فحجأوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فعرضه على حاطب فاعترف وقال ان لي ببكة اهلاً ومالاً فاردت
 ان اتقرب منهم وقد علمت ان الله تعالى ينزل نأسه عليهم
 فصدقه وقبل عنده فقال عمر دعني يا رسول الله اصرب عني
 هذا المايق فقال صلى الله عليه وسلم ما يدريك يا عمر لعل الله
 تعالى قد اطلع على اهل بدر فقال لم تعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم
 ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم فنزلت ويؤخذ من هذا
 دليل لما نحن فيه وهوان سارة هذه لما جاءت الى النبي صلى الله
 عليه وسلم ولم تكن مسلمة ولا مهاجرة امر باكرامها وحث عليها من
 كسوها وحملوها وزودوها ويعلم من سياق الحكاية ان المنهي عنهم
 في الآية المحاربون للمسلمين لا كل من حالف بينهم كما يدل عليه

ما بعد هذه الآية من قوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الدين لم
يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تدروا ان تنسطوا اليهم
ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الدين قاتلوكم في الدين
واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن هتولم
فاولئك هم الظالمون) وهذا الرجل وقومه لم يقاتلونا في الدين
ولا اخرجونا من ديارنا ولا ظاهروا على اخراجنا بل حاللونا
وعاهدونا وبصرونا على اعدائنا كما هو معلوم مشهور وسب نزول
قوله تعالى لا ينهاكم الله . الخ كما روي عن عبد الله ابن الربيع
ان اسما ست ابي بكر قدمت اها قبيلة عليها وهي مشركة فلم تغلبها
ولم تادن لها بالدحول فامرها النبي ان تدخلها وتقبل منها وتكرها
وتحسن اليها وفي تفسير الرازي قال اهل التأويل هذه الآية تدل
على جوار البر بين المسلمين والمشركون وان كانت الموالاة مقطوعة
(انتهى) وقد سئل المحافظ جلال الدين السيوطي في حملة اسئلة
وردت عليه من بلاد التكرور هل يجوز صحة الكفار وتقبل
هديتهم فاجاب بجواز ذلك وقد استوصف رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحارث ابن كلفة طبيب العرب دواء فوصفه له وكان
الحارث كافراً ومات على كفره كما نقل عن الاستيعاب لان عد
البر وانا نقرر هذا قلت انكم لا وجه لكم في توجيه الملامة الي على
الاحتماع بهذا الرجل وتعليه بل اقول فضلاً عن ذلك لا ناس
تعلم لسان هؤلاء القوم وغيرهم وان كانوا على غير ديننا في الحديث

الشريف من علم لسان قوم أمن من مكرم وقد جاء ان النبي
 صلى الله عليه وسلم امر كاتبه زيد بن ثابت بتعلم اللغة السريانية
 فتعلم قرامتها وكتابتها وجاء (الحكمة ضالة المؤمن فليأخذها
 حيث وجدها) وجاء (اطلوا العلم ولو بالصين) ومعلوم ان اهل
 الصب كفار وامثال ذلك كثيرة وفوائد تعلمها للغة هؤلاء
 القوم لا تنكر فانا بذلك جيسر لنا الوصول الى ما وصلوا اليه
 من النون والصائغ الكثير المانع وذلك لاننا بواسطة معرفة
 لغتهم يتأتى لنا التكلم معهم واستطلاع ما عديم والوقوف على ما
 لم في تلك النون والصائغ من الكتب والرسائل العديدة ثم
 بخار منها ما نراه نافعاً للادنا ولارمنا لما ولا نأس عليها في
 ذلك فقد جاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخبره سلمان
 العارسي بان قومه وقد كانوا محوساً يصطبعون المحادق في بلادهم
 امر بعمل المحدق في الغزوة المعروفة به وعمل فيه نفسه صلى
 الله عليه وسلم فلا يحسن ما اذا رأيا عديم امرأ نافعاً ان تركه
 لمخالفتهم لما في الدين بل تتفع به وما عليها من دينهم فلما ديسا
 ولم دينهم واما ما يترتب على السعس معارفة الاهل والوطن
 ومكانة الاهوال والمشتقات فلا يعد ما نافعاً به بالنسبة لما فيه من
 العوائد التي ذكرها العلماء واللغاة في كل عصر مما لا يدخل
 تحت حصر قال الشاعر

سافر تجدد عوضاً من تمارفه
 وأصب فان اكتساب المجد في النصب
 فالاسد لولا فراق الغاسما افترست

والسهم لولا فراق القوس لم يصب
 لا سيما اذا كان اكتساب الاساس في اقامته غير كافٍ
 للولائم معيشته فانه يترحم في حقه السعر على الإقامة اذا كان
 فيه رجاء الغنى والكرامة فالسفر مع العز والغنى حضر والمخضر
 مع القلة والذلة سفر قال الزبيدي

القر في اوطاسا عرة * والمال في الغربة اوطان
 والارض شيء كلها واحد * والناس احوال وجيران
 ولا ينال المني الا بالغنى ولا الراحة الا بالتعب ولا تدرك
 معاني الاحوال بمحرد الاماني والامال بل بالتحام الاخطار
 وركوب الاهوال ويرحم الله انا الطيب حيث قال
 تريدن ادراك المعالي رحيصة

ولا تدون العهد من أمر الهل
 وايضاً المسافر في حفظ الله وكمه اذا كان متوكلاً عليه
 ومفوضاً اموره اليه طارحاً نفسه بين يدي قدرته فهو ارفأ به
 من نفسه

أله أكبر من ان تستعد له * بعدته او ترخي دونه سبها
 اذا اصطفاك لامر هيئت لك * يد العاية حتى تبلغ الاربا

وكما يكون التعب أو المرض في السفر يكون في الإقامة
والخضرو من يموت بعيداً عن بلده كمن يموت بين أهله وولده
مجمع ارض الله جعلت لخلقه ورحمته وسعت كل شيء لا
تخص بلداً دون بلد ولا بقعة دون أخرى بل يسغي لكل عاقل
ان يطوف ما استطاع من القاع ليرى ما لاهلها من الاحوال
والعادات وما يترتب على كل حالة وعادة من المصائر والعوائد
ويقارن بينها وبين ما هو حار في بلاده وبين اهل وطنه
ويببهم على ما رأى نفعه وما علم ضرره فاذا رأى اهل جهة من
الجهات اعظم ثروة وقوة وراحة نظر بعين التامل في سابع ثروتهم
وموارد راحتهم وقوتهم عرف بها اهل وطنه واذا رأى اهل
صنع من الارض نكس ذلك اجتهد في معرفة اسانه بالظر
والتامل والمقارنة بين احوال ذلك الصنع وعيره حتى اذا علمها
وتحققها حذر منها اهل بلاده بقدر اجتهاده ويكون اذا احذر شيء
من ذلك محبباً عن عيان ويقين لا عن سماع وتحمين فيحصل
بذلك على فوائد حليمة منها ريادة علمه ومنها اتقاع عيره بما
يعلمه ومنها ما يكتسه من المال ومنها وهو اعظمها رسا ربه
ومزيد ثوابه سعته لعباده وأحب عباد الله الى الله انفعهم لعباده
وكذلك ناتعاه باحوال الناس واعشاره بامورهم واطلاعه في
سياحه على الاسرار المكنونة والقوانين المدبرة المصونة التي در
الله بها أمر المخلوقات واحكم بها صنع الكائنات من وقف على

مريض الخالق راد في تعظيمه وتقرب اليه بالطاعة والامثال
 لاوامر ونواهي واستمسك بحال حبه ومراضيه اذ كلما انكشف
 العطاء ورالت ظلمة المحمل انكشفت الأسرار المودعة في الاشياء
 فيزيد تعظيم مودعها والاجتهاد في التقرب الى مدعها من سافر
 واطلع على احوال غير بلاده كمن عاش زيادة على عمره لانه
 يعلم بالاسفار اضعاف ما يعلم بالاقامة او بمطالعة الاحبار كما
 قالوا مثل ذلك فمن طالع كتب اخبار البلاد واحوال اهلها
 فهذا أولى لان علمه بالمشاهدة والظر وذلك علمه بالسماع والحر
 واما ما ذكرتم من حب الوطن فليس حبه خاصاً ببلادته وعدم
 مفارقتها وليس المقام به دليلاً على حبه ولا الرجل عه دليلاً
 على نفسه فكم من مقيم ببلدة وهو لها كاره وراحل عنها وهو لها
 محب ومن احب الوطن حقيقة سعى في نعمه ونفع اهله بما امكده
 سفراً او حضراً وقد شرحت لكم بعض ما اراه في السفر من
 القوامد المحبيلة والمرايا الخلية وفي علمكم كثير مما وقع للانبياء
 والمرسلين والصالحين والفاضلين والاولياء والصالحين من المنغلات
 والاسفار في القرى والامصار وما جاء في القرآن والافكار من
 المحت على السير في الارض للظر والاعصار فكفوا عن الملامة والله
 الامر في السفر والاقامة فلما سمعوا كلامه وعلوا مرأه قطعوا
 املهم من تجويله عن قصده وانصرفوا من عنده فقام من وقته
 ومضى الى بيته فدخل على زوجته وحكى لها ما صار من امره وما

دار في سره وسالها عما تراه

فقات اذا عرمت فتوكل على الله

يس ارتحالك في كسب الغنى سفرا

لكن مقامك في ضرر هو السفر

فقال لها اذا قلت ما اشترطه هذا الرجل من السفر معه

الى بلده والى اي بلد اراد فقد تطول مدة السفر ويمتد اسد

العراق فهل يلزم تعيين المدة ام لا

ف قالت ارى ان تعيينها وعدمه على حد سواء وربما كان

عدم تحديدها اولى لانه متى حصل على ما يرغبه منك كانت

اقامتك معه في بلده او في غيرها موكولة لرأيتك وارادتك فان

كتمان مدة الاجتماع على طبع حسن وخلق جميل مستحسن وفعلت

ما يجذب قلبه اليك ارداد حه لك ورعب في طول عشرتك

واجتهد في نعتك فطول المدة وقصرها يجمع ما يقع بكما في

مدة العمل من السؤل والعمل فان وجدت في الاقامة معه

خيراً فافعل ما تطول به المدة من تشويقك للعلم والاجتهاد

في تعليمه والصنع عن رلاته والاضضاء عما عساه ان ينفع من هفواته

اذا كنت في كل الامور معاتفاً

صديقك لم تلق الذي لا نعاته

فمن ذا الذي ترضي سجاياه كلها

كفى المرء نبلاً ان تعد معائبه

فحسن الخلق تدوم المودة وسوء الخلق تكون المباغضة
والماعدة قتل ما يرجح رنتك وأفعل ما يجلب قيمتك فمن قوّم
لسانه ران عقله ومن سدّد كلامه انا ان فضله كما هو معلوم
لديك ولا يحى عليك فاعنم صفوا الزمان وانتهر فرصة الامكان
وان وجدت الحيرة في قصرها فافعل ما يوصلك الى الخلوص
من ضررها لكن يكون ذلك باللطيف والمعروف والظرف لا
بالشدة والعسف فقد يدرك باللطيف ما لا يدرك بالعنف وكل
ذلك لا يعلم الا بعد الاحتجاج ولا عزة بما يؤخذ بالظن والسمع
لان الحب كما علمت حالة للنفس تسعت عند مشاهدة المطلوب
وتضعف عند موات الامر المرعوب لا سيما اذا وقع بين المتحابين
ما يجلب عظام المحبة من قول او فعل ولو من احد المتحابين وربما
أدى الى بغض وعداوة واما ما يكون من امر الفراق هذا عليها
جميعا شيء شاق لكن كما يقال الضرورات تبيح المحظورات وانا
نظرا لما يترتب عليه من المانع فلا محذور فيه ولا مانع اذ ركوب
الاهوال افضل من دل السؤال والصبر درج يهوي بمن درج
الى الفرج ومتى كانت مكائنتنا متصلة والاحار بيننا متواصلة
دامت المحادثة واستمرت وحلت عيشتنا بعد ما مرت واطلع كل
ما على ما في ضمير صاحبه وبذلك يحصل الاطمئنان ويسترجع
المحاطر وينشرح الحمان فقد قالوا ان المراسلة نصف المواصلات
ولا يحى عليك ان البعد حالة تحدّد في نفس المتحابين زيادة

شوق تؤدي الى انتشار الافكار وكثرة التذكار فيكون بين
المتحابين حل ود متصل لا يقطعه بعد وعملان ذلك هو المكتابة
علامة القطيعة من الصديق ان يوحى المحاب ولا يتدي بكتاب
واو ان لا ترى في هذا كله غير ما ارى فافضل الرأي ما لم
يعوت فرصة ولم يورث عصاة فاحلس الدهر احلاساً فطالما سر
ثم اسأ الى غير ذلك من المرغبات ثم قانت له اني ارى ان
تستحب اكر اولادك لتكون تربته على يدك وبشاهد الملالد
التي تصدوها وغرونها ويكون تحت نظرك فتحسن ادبه فقد
قيل من ائب ولده صغيراً سرّاً وكبيراً وربما تحتاج اليه في
بعض امورك ولكن هذا اما يكون رأي صاحبك ورصاه فاعرضه
عليه وانظر ما يراه فسمع ذلك منها وقبله وباتنا ليلتها فبحادبان
أهداب الحادثة والطرفي اطراف هذه الحادثة الى ان ادسر الليل
واقبل النهار فقام ومضى لموعده الانكليزي فوجده في انتظار
فاحبه بانه رضي بملازمته وصحته سرّاً بذلك لما كان اشرب
قلبه من محبته ثم مصبا الى حصن شيخ الجامع ليعرض الأمر عليه
ويبرأ الشروط بينها على يديه فمثلا عنده وقلابه واخرا بما
دار بينها أولاً وآخراً من الكلام واهما يريدان اتمام الشروط على
يديه لهذا المرام

فقال لا بأس ولا ضير والله يقضي بكل خير ثم اثنى على الشيخ
علم الدين بحاسب فصائله وعرفه بانه من اكار علماء الزمان

وأفاضله وإن اللطف أحصى خصائله والبهاة بعض شجائله
 والبلاغة طوع لسانه وإامله والعلوم العربية نصب ناظرة والفنون
 الأدبية رهن خاطر وإنه بين العلماء مرفوع المكاة معروف
 بالصدق والاستقامة والأمانة لم يسمع به قدح قاذح ولا يبلغ ما
 فيه مدح ماذح وقال الانكليزي استوص به لأجل خاطري
 ولما يستخفه وكل ما وصفته به سيظهر أن شاء الله صدقه وهلم
 ما تريد ليقرر ويعسط بالكثانة ويحمر

قال الانكليزي اما أكرام حفظ الشيخ على العين والرأس
 وله عدي كل ما يسره ويرضيه ويحمله على الرعة في دوائر
 صحبتي وأما ما وصفت به حصرت مزاياه ومحله فاني قبل أن
 اجتمع به ما ذكرته لأحد إلا أنني عليه غاية الثناء ومدحه باحسن
 انواع المدح فلما اجتمعت به بعض مرات يسيرة ظهر لي فضله
 ورائعته وجلالة قدره وإن كانت معرفتي بالعلوم العربية قليلة
 فإن القليل يدل على الكثير والقدم يدل على المسير وأنا كنت
 قد اقيمت في بعض بلاد المغرب نحو أربع سنين تعلمت فيها
 طرقاً من العلوم العربية ثم حضرت الى هذه الديار المصرية
 ولأن أكثر اقامتي في القاهرة والاسكندرية إلا أنني في كل سنة
 اتوجه الى بلادي لو غيرها من البلاد الأوروبية أقضي فيها زمن
 الصيف بسبب شدة الحرارة فيه في أرض مصر وأرعب أن يصحبي
 الشيخ في السفر والإقامة في مدة اقامتي بمصر يتردد عليّ كل

يوم في وقت معين فإذا سافرت كان معي فان شاء تردد عليّ
 في أوقات معينة كحالنا بمصر وإن شاء لارمني ولارمته ليلاً ونهاراً
 حيث كان لا يعرف هالك أحداً غيبي وفي أوقات اجتماعنا بصبح
 كتاب لسان العرب معي وأقرأ عليه شيئاً من العلوم العربية
 وله عليّ في نظير ذلك مدة أقامتنا بمصر عشرون حنيفاً أنكليزياً
 وفي مدة السفر اجعل له ضعف ذلك وهذا ما عدا مصاريف
 التقلات والسكنى والمؤنة فكلها عليّ لا يلزمه منها شيء وقد
 قرب وقت سفرنا فان الصيف قد حان وأوانه فليتها له فارتضى
 الشيخ بذلك وطابت نفسه به غير انه طلب ان يكون معه اسبه
 في السفر فرضي الانكليزي وقال لا نأس بذلك وعليّ مؤنته
 ايضاً ففرح الشيخ علم الدين وفرّ ناظره وسرّ الانكليزي ايضاً
 وطاب خاطره وانقأ على ذلك وكنتا بينهما المكاتبة اللارمة وشكر
 الشيخ علم الدين حصرة شيخ الجامع وقل يده واطبب في الشاء
 عليه وانشده

واحيت لي دكري وما كان حاملاً

ولكنّ بعض الذكر أنه من بعض

ثم قام مع الانكليزي وتوجه به الى داره ليعرضها وانقأ على
 تعيين الوقت فصار الشيخ يتردد عليه كل يوم في الوقت المعين
 يقيم معه مدة من النهار في تصحيح الكتاب وقراءة بعض العلوم
 العربية والمحادثة فيما تستدعيه المناسبة وما يساق اليه الكلام مع

اللطيف والادب والكمال فطابت الصحة وراحت المحنة وتمكنت
 الالفة وارتفعت الكلفة وصار كل منها يكثر التردد على الآخر
 ويسال عنه اذا غاب ويأس به اذا حضر وفي اثناء ذلك كان
 الشيخ يستعد للسفر ويشارك ما يلزم له ولولده ليسافر معه حسبا
 اتقيا عليه الى ان قال له الانكليزي قد عزمنا على السفر في اليوم
 الغداني فارحوك ان تشرف داري صبح ذلك اليوم في الساعة
 العالانية وليكن معك ولدك الذي تريد ان يكون معك حسبا
 اتقيا عليه تحديني في انتظاركما لسير معاً فوعده الشيخ بذلك وعاد
 بالحجر الى روحه

فالت له على بركة الله تعالى وفي حطة ورعاية ودعت له
 بالسلامة والعز والكرامة والعود اليها بالصحة والعافية والراحة
 والرفاهية واكدت عليه في عدم انقطاع مكاتباته عنها ومكاتبات
 ولده فوعدها بذلك ولما كان اليوم الموعود ودعها وودع نفيه
 اولاده واحواته ووصاهم بتقوى الله والاعتماد عليه في كل امر وقرأ
 (والعصر ان الانسان ليهي حسر الا الدين اموال وعملوا الصالحات
 وتواصلوا بالحق وتواصلوا بالصدق) ثم اخذ ولده الاكبر معه وكان
 اسمه برهان الدين فمضي به في الساعة المعينة الى دار الانكليزي
 فوجده في انتظارهما مسلم هو وولده عليه ثم توجهوا جميعاً الى محطة
 سكة الحديد

المسيرة السابعة
سكة الحديد

فلما وصلوا المحطة جلسوا برهة ثم ان الانكليزي اخذ الوري المعتاد بعد ان دفع الاجرة المقررة للسعر من مصر الى الاسكندرية في سكة الحديد ولم يكن سقى للشيخ ولا لابه فيها سعر فلما دق الحرس اول مرة قال الشيخ ما هذا وما المراد به . قال الانكليزي هذا يدق ثلاث مرات للتنبيه على قرب وقت المسير ليستعد كل من اراد وبأخذ محله حيث يريد ان يجلس وبعد الثالثة يسير يكون المسير ثم استصحب الشيخ واه وزل بها في عربة من عربات الدرجة الاولى فجلسوا فيها ينظرون من طاقمها الى ان سارت فلما اشتد السير وراحت السرعة اضطرب قلب الشيخ بعض اضطراب وداخله شيء من الخوف لكونه لم يسقى لئذ بذلك عادة كما قدما الا انه كان قد سمع بها وراى معه غيره من الناس غير منزعين فعلم انها حالة معتادة فزال روعه وسكن قلبه وحلس مطمئناً معتمداً على خالق الوري وأشار للعربة يقول
سيرى على اسم الله واسم الذي

علامة الايمان ان يذكر
وكذلك رهبان الدين ابن علم الدين في اول الامر كاد

يزعمه الحال لعدم اعتياده إلا أنه تسمى بوالده وغيره وتقرس فيه
 ابنه الخوف فازال رعه وسكن قلبه وقعدا بهظران فيما يليها من
 الشبايك الى ما يمران به من الجيوات متفكرين في عجائب الكائنات
 والامكيري بهظر اليها فاراد ان يعلم ما لديها وقد عرف انها اول
 مرة فيها ركبا سكة الحديد ورايا هذا الاثر الباهر والاحتراع الجديد
 فقال للشيخ ايها الاستاد كيف ترى قال وماذا ارى ارى ان
 الارض تطوى كطي السجل للكتاب وهذه العربات بها عليها كما
 قال الله وترى الجبال تحسبها حامدة وهي تمر مر السحاب وهذا
 الدخان قد انتشر في الجو كالسهم اذا انفطرت وتطايير الشرر في
 الهواء كالبحر اذا اثرت وكثير الرحام كالمحلاق اذا حشرت وقد
 ضشت اوراق المسافرين كالصحف اذا نشرت فتذكرت هذه
 الاحوال أهوال القيامة فسأل الله في الدنيا والاخرة حسن
 السلامة قال عفيا تفكر

قال الشيخ اتفكر في هذه الباهرة المحارة لهذه العربات واتامل
 فيما لها من الحركة العجيبة وشدة السرعة الغريبة التي حملت
 الأغرار من بعض العامة على ان يقولوا انها انما تسير بقوة خماة
 من الجن والشياطين مستعين لها بواسطة العرائم والبحر والطلاسم
 وامثال ذلك مما حملهم عليه غرابة الامر وعدم علمهم بحقيقة السر
 وقد عرفت انها تسير بواسطة النار التي ارى كثرة دخانها وامواج
 شررها المتطايرة ورأيت قبيل ركوبنا رجلاً مشتغلاً باضرارها

وتتقد لمرها في تلك الساحرة ولكني لم اعرف صورة استعمالها في
 هذه الحالة وكيفية الاستفاد بها في تحريك تلك الآلة فانا اجعل
 في هذا الامر العظيم فتاح التحمين واراني لا اصل في علم حقيقته
 الى محبة اليقين فاني ما رايت ولا اشتغلت به قبل هذه المرة بسبب
 اشتغالي بعلوم اللغة العربية واحكام الشريعة المطهرة وكان قد
 حطرتني ان اوجه السؤال في ذلك اليك اعلى احد علمه لديك
 ولكن خشيت ان اتعب خاطرك وما اريد ان اشق عليك

فقال الانكليزي احرك اولاً ايها الاستاذ ان لطفك وكرم
 اخلاقك وحسن معاملتك لي مع عظم فضلك ورعة فطرتك
 قد جعلت في قلبي لك منزلة عالية ومحة عظيمة فجهلي انتهج
 بقضاء ما تريده والقيام بما تأمر به من غير ان احد نفسي ادنى
 حرج حتى لو كلتني بما فيه مشقة في نفس الامر فارجوكم الا
 تكتم عني امراً تريده ولا تخشتم من شيء تسأل عنه لانك على
 سفر قد كلفتك به الى بلاد لا تعرفها ولا تعرف اهلها فانا اريد
 راحلتك واشراح خاطرك في ذلك سروري وراحتي وهذا الذي
 سالت عنه ليس في بيانه مشقة علي ولا كلفة وانا واب كمت
 لم اشتغل بهذا صناعة الا ابي عاشرت المشتغلين به وقرأت بعض
 الكتب المصنفة فيه وصار لي به معرفة كافية لامثالي وهو من
 واسع وفيه كتب كثيرة مطولة ولكني احكي لك منه على سبيل
 الاجمال والتلخيص ما لا يمل سماعه لتقطع به مسافة الطريق

وبعد هذا اذا عرفت لغتنا وتعلمت رغبتك بالتعرج فيه والتوسع في معرفته فالامر اليك

قال الشيخ قد سررتني سرّك الله بما يجعل فيه اسعادك وكافاك على ما وجهت اليه فولدك فارشدني عما سالت عنه تولى الله ارشادك

قال الانكليزي اما تحرك تلك الآلة بالار بواسطة قوة بخار تحلله حرارة النار من ماء موضوع في اناء محكم ينفذ منه البخار في مافذ معلومة الى آلات مخصوصة فيحركها

قال الشيخ سم اعلم ان الحرارة اذا سخنت الماء حطت منه اجزاء تكون بخاراً وترتفع منه وتختلط بالهواء وينقص قدرها من الماء كما يشاهد عند غليان القدر وكما يعلم من تجفيف الثوب في الشمس فان حرارة الشمس تحلل منه الاجزاء المائية وترتفع في الهواء ويبقى الثوب حافاً ولكني اريد زيادة الشرح والايضاح

قال الانكليزي من المعلوم ايضاً انه اذا وضع مقدار من الماء في اناء محكم الغطاء من كل طرف بحيث لا يكون فيه مسدود وكان فيه حرارة فارغ من الماء واوقد تحته النار تصاعد البخار المتحلل من الماء بجملة النار الى ذلك الفراغ الذي في اعلى الاناء سواء كان فراغاً محصاً ام لا ليس فيه شيء من الهواء الجوي او كان فيه مقدار من الهواء المذكور فاذا استمرت النار تحت ذلك الاناء فلا يزال يتجدد بخار يتحلل من الماء ويختلط بالموجود منه من

قبل وباردياد البخار تزداد قوة تمدده حتى تصل الى حد معين بينه وبين درجة حرارة الماء نسبة معلومة فعند ذلك تثبت قوة البخار على ذلك الحد ولا تتجاوزه ويتقطع تولد بخار جديد من الماء وهذا الحد الذي ذكرناه يسمى القوة النهائية للبخار عند اهل الفن ويقال حينئذٍ للفراغ المحس في البخار انه تشع

قال الشيخ قد قلت في كلامك ان البخار يصعد الى ذلك المحل الفارع من الماء سواء كان حرلًا محضًا او كان فيه شيء من الهواء المحوي وقد قيل في وجود الحلاء المحس وعدمه كلام كثير وخلاف طويل مذكور في المواقيت وغيرها ليس هذا محله ولكن اريد ان اعرف هل وجود هذا الهواء له فعل واثر في القوة النهائية المذكورة ام لا

قال الانكليزي ليس لذلك الهواء اثر في القوة المذكورة وانما يضعف سرعة تحلل البخار ويجعله بطيئًا فاذا كان ذلك المحل الحالي من الماء فارغًا من الهواء المحوي فلا يجد البخار ما يراجه ويصادمه فيتخلل بسرعة شديدة حتى يصل الى قوته النهائية في مدة قليلة بخلاف ما اذا كان فيه شيء من الهواء فان سرعة تحلل البخار تكون اقل من الحالة الاولى لان الهواء المذكور يضغط على وجه الماء فاذا تحلل البخار وطلب الارتفاع الى الاعلى وحد الهواء المذكور معارضة فيدفعه ويهاجمه حتى يتخلله ويدخل بين احزانه فيتأخر هذا السبب

وفي هذه الحالة يكون الضغط على الماء حاصلاً من البخار والهواء المذكورين معاً فإذا كان الاناء الذي فيه الماء وتحت النار مكشوقاً لا يصل البخار إلى قوته النهائية أصلاً فإنه كلما تولد منه مقدار انتشر في الجو واختلط بالهواء الموجود فيه فلا يبقى مقدار منه مجتمعاً في محل واحد محبوساً به حتى يصل إلى القوة المذكورة ثم كلما تحلل من الماء بخار وانتشر في الجو نقص بقدره من الماء إلى أن لا يبقى في الاناء شيء ويشاهد في أثناء ذلك أن سرعة تولد البخار تزداد على حسب ارتفاع الحرارة بمعنى وصلت الحرارة المذكورة إلى حد تكون فيه قوة البخار الحاصل عنها قدر ضغط الهواء قدر ضغط الهواء المحوي كانت سرعة تحلل البخار أعظم ما يكون لأن البخار حينئذ لا يعارضه مانعة من جهة الجو فينفذ فيه بغير عسر ويشاهد في الماء قفازع تعلو على وجهه وهذه الحالة هي ما يعرف بحالة الفوران أو الغليان ومن هنا يهيم أن حالة الفوران للماء تحصل إذا كانت القوة النهائية للبخار المتأصلة لدرجة الحرارة ليست أقل من قوة الضغط الواقع على سطح الماء سواء كان هذا الضغط من الهواء أو من البخار أو منهما معاً وقد علم أيضاً أن البخار كلما انتشر وتفرقت أحراره وتحلل بسبب اتساع المحل الموجود فيه ضعفت قوته وكلما انعكس وانضم إلى بعضه لضيق محله زادت قوته إلى أن تصل إلى القوة النهائية فإذا وضعنا مقداراً من البخار في إناء ليس به ماء ورأينا قوته أقل من القوة

النهائية فصغرنا حجمه بان كسناه وحسنه سيفي محل اضيق ما كان فيه رادت قوته ولا تزال ترداد قوته من تضيق حجمه بتضييق محله الى ان يصل الى القوة النهائية فان كبرنا حجمه توسيع محله ضعفت قوته وهكذا فالحاصل ان قوته تكون بالنسبة العكسية للمحل المحسوس فيه فكلما زاد المحل نقصت القوة وكلما نقص كبر رادت القوة الى ان تصل الى الدرجة النهائية وهكذا الغارات

قال الشيخ فاما وصل البخار الى هذه القوة النهائية فصغرنا حجمه بتضييق محله بعد ذلك هل يزيد تلك القوة
قال الانكليزي متى وصلت القوة الى تلك الدرجة فلا تتجاوزها بل تثبت عليها ولا تريد عنها وإنما اذا صغرنا الحجم بعد ذلك استحال جزء من البخار الموحود الى ماء فلو كبرنا الحجم بعد ذلك عاد ثانياً ذلك الماء بخاراً كما كان

قال الشيخ قد سبت ما ذكرته على كون المحل المحسوس فيه البخار ليس فيه ماء هل تغير تلك الحالة اذا كان فيه ماء
قال الانكليزي لا تغير القوة النهائية بوجود الماء وإنما اذا استحال جميع الماء الموجود بخاراً بعد ذلك تريد القوة نقل الحجم وتقص بريادة كالغارات

وقد وقف اهل الفن بخارب عديدة على تعيين القوة النهائية لبخار الماء المقابل لدرجات الحرارة من الصفر الى مائتين

وثلاثين درجة وجعلوا لها حداول تروح اليها اربابها المشتغلون
بالالات البخارية وعادتهم ان يسسوا قوة البخار الى الجوفين قال قوة
البخار الملافي جو واحد واثان لو ثلاثة مثلاً وهكذا
قال الشيخ وكيف ذلك

قال الانكليزي من المعلوم ان هذا الهواء الهوي الذي
نعيش فيه وسنستفه معدود من الغارات وهو موجود في جميع
المحلات كبيرة وصغيرة مرتفعة ومنخفضة ومحيط بكرة الارض من
جميع جهاتها ممتد فوق رؤسا الى بعد عظيم الا انه محدود لا
يزيد عن ستة وثلاثين الف متر وليست كثافته طفاة وثقلها في
درجة واحدة بل هي متفاوتة بحسب قربها من الارض وبعدها
عنها فكل ما كان منها الى الارض اقرب كان اثقل واكثف
سبب ثقلها وثقل ما فوقها من الطبقات عليها وكلما كان منها
عن الارض ابعد كان اخف والطف

وجميع الاحسام الموحدة في الهواء عليها ضغط من الهواء
بحسب حرما وقد قدر ذلك بالحساب وحرر فعمل ان كل مقدار
سائمت من سطح ابي جسم عليه صغط من الهواء الهوي قدر ثقل
كيلوجرام وثلاثة وثلاثين جراماً

قال الشيخ ما معنى سائمت وكيلو حرام وجرام هذه الفاظ
لا اعرفها لاهي ليست عربية

قال الانكليزي سائمت هو جزء واحد من مائة جزء من

المتر اي عشر عشر المتر هو ذراع وثلاث بالذراع المعاري
المستعمل في مصر في مقاييس الاسية و كيلو جرام معناه الف جرام
والجرام يقرب من ثلث درم فكل مقدار ساتيمتر اي عشر عشر
المتر من سطح اي جسم من الاحصام عليه ثقل ٢٤٤ درم مصري
من ضغط الجو وهو ثقل عمود من الزئبق قاعدته ساتيمتر واحد
وطوله ستة وسبعون ساتيمترا و قدر عمود من الماء قاعدته ساتيمتر
وطوله عشرة امتار وثلاث لان الرئق اقل من الماء ثلاثة عشر
مرة وستة اعشار مرة فلو ضربا طول عمود الزئبق المذكور وهو
ستة وسبعون من مائة في ثلاثة عشر وستة اعشار لحصل عشرة
امتار وثلاث

فادا كان الضغط الواقع من البخار او الغاز على قدر
ساتيمتر من سطح ماء مثلاً مساوياً للضغط الواقع من الجو على
القدر المذكور يقال ان قوة هذا البخار او الغاز تساوي جواً واحداً
واذا كان قدر ضغط الجو مرتين قبل ان قوته حوان وهكذا

ولسهولة الاعمال حرراهل العى جداول يعلم منها درجة
الحارة المتعالة للقوة النهائية المقدرة قدر معلوم من الجو فالحوا الواحد
يقابله مائة درجة والحوان (١٢٠) درجة وستة اعشار وهكذا
الى ثمانمائة وعشرين حواً يقابلها (٢٢٠) درجة وتسعة اعشار

قال الشيخ قد يوجد في كتب القدماء بعض مسائل تتعلق
بفعل الحارة في الماء والاجسام وبعض احوال البخار لكما لم نجد

فيما كيفية استعماله هذه الصورة الجارية الان وإنما كان يستعمل قديماً فوق الاسان والحيوان في نقل الانتقال وإدارة بعض الآلات كالسواقي والطواحين وكذلك استعملت قوة تيار الماء في إدارة بعض الآلات واستخدمت قوة الريح في سبر السعير في الابحر والاهر وإدارة الطواحين الهوائية ومحو ذلك اما استعمال قوة البحار فيما ذكر بهذه الصورة فلا نعهد له ذكراً فيما وصل اليها من الكتب القديمة هل تذكر تاريخ الاهتداء لاستعماله

فقال الانكليزي غاية ما أمكن الوصول الى معرفته ما كان جارياً في ذلك بالاعصار القديمة ان اول من تسمه لاستعمال قوة البحار هارون الاسكندري المصري وذلك انه صنع كرة معوجة تدور على محور افقي دورة رحوية وجعل فيها انايب على حط واحد حولها وجعل اطراف هذه الانايب معوجة الى جهة واحدة يتي قوي البحار في خوف تلك الكرة يخرج من تلك المعوجات فاجب حركتها تدور على محورها كما تدور الرحا وهذا ايضا يحصل بالماء لو وضع في تلك الكرة بدل البحار هذا غاية ما أمكن الاستدلال عليه ما حصل في الارمان القديمة

ثم في سنة ١٦١٥ مـ الميلاذ اعني سنة ١٠٢٤ من الهجرة استعمل رجل من العرسوية قوة البحار في رفع الماء الى الاعلى وذلك بان صنع وعاء كروياً يعبره بالدست والفزان وحمل له اسوتين لكل منهما حفية تنفع وتقل على حسب الارادة واحدى هاتين

الانوسيين في اعلى الوعاء ليصب منها الماء وهي قصيرة والثانية طويلة متصلة باسطه صاعدة الى فوق متصلة بحوض مرتفع حيث يراد ايهال الماء . فيوضع الماء في ذلك الوعاء الكروي من الانبوبة المعدة لصبه ولا يبلا كله بل يبقى اعلاه فارغاً لاجل تجمع البخار فيه وتوقد النار تحت الوعاء فيتحلل منه بخار يرتفع الى ذلك الموضع الفارغ فاداً اشتدت قوة البخار ضغط على الماء فيندفع الى الانبوبة الطويلة المتصلة بالمحوص ويرتفع فيها بسبب شدة ضغط البخار طيه حتى يصل الى الحوض العالي وينزل فيه وكلما نقص الماء في ذلك الوعاء الذي تحته النار وضع فيه ماء جديد وهكذا حتى يبلى الحوض

ثم في سنة ١٠٢٩ من الهجرة حمل احد الطليابين للدست الذي توقد تحته النار انبوبة ممتدة الى قرب طارة راسية لها كفات وان شئت قلت ريشات او الواجه مثلاً كما في الطارة التي تشاهد في مركب البار اعني الطارة التي يسير بها مركب البار ويهاال لها جرح وعجلة وتلك الانبوبة متوجهة الى الكفات المذكورة ولها حنفية تنفتح وتغلق بالاختيار فتوقد النار على الدست وفيه الماء فيتحلل منه البخار فاداً اشتدت قوته تنفتح حنفية الانبوبة فيبثي فيها البخار ويخرج منها قوته متوجهة الى الكفة التي تقابله من كفات الطارة فيدفعها قوته فتأزله وتالي الكفة التي بعدها ويدفعها كذلك وهكذا فتدور الطارة بسبب ذلك . وتلك الطارة متصلة

فصيب طلومة موضوعة في هر متحرك فضيب الطلومة بواسطة دوران الطارة فيخرج الماء بواسطة الطلومة من الهر الى اعلاه وذلك كان المقصود من هذه الآلة

وفي سنة ١٠٧٤ من الهجرة كتب بعض الناس نبذة ذكر فيها انه اخترع آلة يجسر بها رفع الماء من اسفل الى اعلى بواسطة البار وهي عبارة عن دستان كرويين مركبين على قرن وفي كل منهما ابوية واصلة الى قرب اسفله نافذة مه وكل من الانويتين متصل بانبوية افقية وكل من الدستان في اعلاه انبوية قصيرة غير ما ذكر يصب منها الماء في الدست ولها حمية طائفة وضع للماء في احد الدستان الى قرب نصفه مثلاً واوقدت تحته النار فيولد منه البخار ويضغط على الماء فيمضي في الانبوية الموصلة باسفل الدست ويرتفع فيها الى اعلاه وهذه الآلة مثل الاولى التي استحدثت سنة ١٠٢٤. وإنما هذه فيها دستان يستعملان بالتعاقب وفي كل منها يستعمل حر من الماء الى بخار يضغط على باقي الماء فيرفعه الى الاعلا

وفي سنة ١١٢ من الهجرة استحدث رجل من الروسوية يسمى (بان) آلة ذات مكبس يضغط عليه البخار فيرفعه وذلك ان هالك وعاء على شكل الاسطوانة مفتوحاً من اعلاه مسدوداً من اسفله وفيه مكبس محكم مائي للوعاء المذكور قابل للحركة من اسفل هذا الوعاء الى اعلاه وعكسه وفي اعلى المكبس فصيب تعبّر

عه بالساق فيوضع في الوعاء الاسطوانى المذكور مقدار من الماء قبل وضع المكس ثم يوضع المكس ويكأ عليه باليد فينزل الى ان يمس الماء الموجود في الوعاء فيخرج الهواء الموجود من تحت في سطح المكس يسد بعد ذلك وتوقد النار تحت الوعاء المذكور فيتولد البخار ويضغط على المكس فيرتفع الى اعلى الوعاء ويرتفع معه ساقه السابق ذكره وفي راس هذا الساق جبل ربط به طرفه وهذا الجبل يمر فوق بكرتين وطرفه الثاني طويل بحيث يمكن ان يربط به شيء ثقيل يراد رفعه وغير ذلك فاذا ارتفع ساق المكس كما ذكر يوسط في محله بمسار يثبت به ثم تطلب النار من تحت الوعاء الاسطوانى المذكور فتحصل البرودة ويتقطع البخار الدافع للمكس فاذا رفع حيث يد المسار المسك للساق سقط المكس الى اسفل الوعاء بسبب ضغط الهواء عليه وسقوطه بسحب معه طرف الجبل المربوط به فيرتفع الثقل المربوط في الطرف الثاني من الجبل ويحس ذلك

ثم اشتعل الناس فحسب هذه الآلة وغيرها من الآلات السابقة حتى صارت تستعمل في اعمال حسبة كثيرة البيع واستحدثت آلات جديدة لرفع الماء احسن من الاولى بحيث صار الماء الذي يراد رفعه الى الاعلى يوضع في آنية غير التي تحتها النار فتميزت الآلات الجديدة على القديمة هذه المرة ولكن مع هذا كان يضيع جر كثير من النار يذهب سدى وذلك انه عند توجيه النار الى

الماء ليصغط عليه كان يدوب في الماء جرّ كبير من البخار فكان لا يرتفع الماء إلاّ اذا تشع بالحرارة بحيث لا يقل ذوبان بخار حديد فيه وحينئذ يصعد عليه البخار الوارد ويعمل فيه بكل قوته فيرتفع وهذا السبب كان يصعب جرّ كبير من البخار كما ذكر واستمر هذا المحدثور الى ان اجتهد (نان) المذكور في ازالته حتى ظهر بالفرص سنة ١١١٩ من الهجرة بان جعل البخار الوارد من الدست يصعد على مكبس كالسائق ذكره موصوع فوق الماء المراد رفعه فتمى ضغط البخار على المكبس صعد المكبس على الماء فيخرج سيرة اسوة مخصوصة يرتفع فيها الى حيث يراد رفعه

ولم يقتصر المذكور على ذلك بل احدث آلة تسمى آلة الامن تكون فوق الدست لمع البخار من ان يصل الى شدة يهترق بها الدست الذي هو فيه وسيجي ذكرها

وراد في تحسين الآلة المعدة لرفع الماء حتى جعلها تصلح للاستعمال في اعمال كثيرة وذلك انه بعد رفع الماء الى حوص موصوع على ارتفاع مخصوص جعل لذلك الحوص اسوة يصب منها الماء على طارة ذات كمات كالطارة السابق ذكرها في الآلة المستحدثة سنة ١٠٢٩ فتدور تلك الآلة بقوة وقع الماء الساقط على كماتها وامتنع بدوران هذه الطارة في ادارة غيرها

ومن ذلك الوقت اخذت تلك الآلات في الاشتهار واشتعل خلق كثير في بلاد فرنسا والانكليز تحسين امرها والريادة فيها

وأكثر مزاياها حتى وصلت الى ما وصلت اليه من التحسن والجودة وكثرة المنافع ودخلت في كثير من الصنائع والمعامل والمصانع وأسقاء المزارع والمحراث وطحن القمح والسفر بمراكب النار في البحر وعلى سكة الحديد في البر حتى صار التجار أكثر مساعد للنوع الانساني فزادت به قوته وسرعته حتى عمل به ما كان يعد من المنفع عمله بالوسائط الاولى

فقال الشيخ نعم قد عمل بواسطة هذا التجار اعمال كانت تعد من المتعنت في العادة ولا تصورها احد من الناس فمن ذا الذي كان يصور قبل ان يظهر هذا الامر انه يذهب من القاهرة الى الاسكندرية ثم يعود الى محله في يوم واحد ولكن اريد من اطلعك ان تحترق عن اول وقت استعملت فيه هذه السكة الحديدية ان كان على ذكر مك ثم ثم معروفك ان تشرح لي صفة الآلات التجارية المستعملة الآن في سكة الحديد وغيرها مع بيان كيفية استعمالها على سبيل الاحمال والتقريب تمهيداً للاكرام فاتم ما مسنت به واحسن * بما المعروف الآن بالتنام

قال الانكليزي حياً وكرامة اما استعمال السكة الحديدية اعني السفر بواسطة آلات التجار فوق قصان من الحديد توضع على الارض كما تشاهده فلم يكن الا مد عهد قريب فان اول تحربة عملت في ذلك وبحث كانت في سنة ١٨٢٣ للميلاد الموافقة لسنة ١٢٤٦ من الهجرة في بلاد الانكليز وقبل ذلك كانت حرت

آلة بخارية في سنة ١٢١٦ قصد استعمالها في السير على الارض
 المعتادة فلم تنجح وظهرت صعوبات كبرى من حصول الاحتكاكات
 الكثيره فتمتعت وبعد ذلك اشتغل الفكر بوضعها فوق قضبان
 من حديد واستعمالها في محاجر الفحم الحجري فظهر منها فوائد وثمرات
 كثيره ولكن كانت سرعتها قليلة لثقل كفاية المقدار المتحصل من
 البخار فان كل دورة كاملة من دورات العجل تحتاج الى كمية من
 البخار تساوي ضعف حجم الاسطوانة البخاري فيها تأثير القوة
 الفعالة فلها بقيت سكك الحديد مدة لا تستعمل الا في نقل الفحم
 الحجري وبعض بضائع قليلة

وفي اثناء ذلك كان كثير من ارباب الفن يجتهدون
 ويصنعون في استنساخ طريقة جيسر بها زيادة مقدار البخار لما
 يترتب عليه من الثمرات الكبيرة والعوائد العامة فكان الفخر في ذلك
 لرحل من العرسوية استنبط بعكس طريقة حسنة موصلة الى هذا
 الغرض وذلك بوضع حلة انابيب في الدست متصلة ببيت النار
 تنفذ فيها النار والحرارة فيكثر سسها تسخن الماء ويرداد
 بذلك مقدار البخار الى الحد المطلوب وبعد ذلك عملت هذه
 الطريقة في آلة اشها (ستيمسون) الانكليزي في معمل لة
 وجريت فنجحت . ومن وقتئذ اشتهرت وكثرت السكك الحديدية
 وصارت تزيد وتمتد في كل مملكة من الممالك الى ان صارت
 مستعملة في اكثر شوارع الارض المعمورة وقد كانت الآلات التي

علمت من قبل لا تزيد سرعتها عن ثلاثة آلاف متر في الساعة الواحدة وكان ما ينقل من البصاعة في المرة الواحدة لا يزيد عن ثمانين طنًا ومعني بالطن ويقال له طونيلاته ايضاً ما يساوي مقدار اثنين وعشرين قطاراً مصرياً وبعض كسر قليل من قطار فثلاثون طنًا تساوي ألفاً وسبعائة وعشرين قطاراً هذا غاية ما كان يمكن نقله بواسطة الآلات القديمة مرة واحدة وإما الآن ولما حل هذه الآلات من الاتقان والتحسين صار يمكن أن ينقل بها في المرة الواحدة لعاية ثمانمائة طن سرعة عشرين ألف متر في الساعة الواحدة هذا في قطارات النضايح وإما قطارات المسافرين فيمكن لها حملتها عن هذا المقدار أن تسير في الساعة الواحدة ستين ألف متر فأكثر إلى ثمانين ألف متر فإس سرعة الآلات التجارية تزيد وتنقص على حسب الأثقال مثل الحيوانات فان كانت الآلة تحرك ثمانمائة طن في سرعة عشرين ألف متر في الساعة الواحدة فلا تحرك في سرعة ثمانين ألف متر مثلاً إلا عشر هذا المقدار فإذا وصلت السرعة إلى مائة وستين ألف متر مثلاً فإنما تسير بنفسها ولا تحرك شيئاً مطلقاً

وأما صفة الآلة التجارية في سكة الحديد وغيرها وكيفية استعمالها فاشرحها لحضرتكم على وجه التلخيص والاختصار والتفريب فاقول الغالب بما عدا باخرة سكة الحديد من الآلات التجارية أن يكون الاناء المولود فيه الجار معصلاً عن الآلة وإما باخرة

سكة الحديد فيكون فيها اناء البخار مع الآلة ويرى الجميع كثرة
واحد ويقال له ها وانور البر وهو الذي تشاهده امام القطار
بحر هذه العربات على قصان الحديد الموضوعة فوق الحسر على
متنصى قواعد معلومة تخص بتحديد سعتها وميلها واختلاف اتجاها
سيرها على جسر واحد او جسور متعددة متصلة بعضها موصلة الى
بلاد مختلفة ولتكم على ناحية سكة الحديد وغيرها

فاما غيرها من الآلات المستعملة لسير السفن وري المزارع
وإدارة المعامل المعروفة بالورش ونحو ذلك فعمل البحار فيها
(وهو المعروف بالدست والقران) يكون موضوعاً فوق الفرن
بحيث يكون أكثر سطحه مماساً للبار حتى يحصل مقدار كثير من
البخار من غير اتلاف وإسراف في الوقود المستعمل وهو الفحم الحجري
في الغالب ولا يكون شكل الدست والفرن كما اتفق بل يكون
بمتنصى قواعد وقوانين هندسية لا بد من رعايتها والإجراء بموجبها
لحصول البخار فإذا أوقدت النار في الفرن تحت القران غلى الماء
الموجود فيه فيتولد منه البخار ويدخل في أنابيب من المعدن مخصوصة
يخرج منها الى أوعية أسطوانية من احزاء الآلة تسمى الاسطوانات
لكل منها غطاء محكم وفي باطنها مكاس محكمة على قدرها كالتى
تقدم ذكرها ولكل مكس ساق ممتدة نافذة من غطاء الاسطوانة الى
خارجها فإذا دخل البخار في تلك الاسطوانات حرك ما فيها
من المكاس الى جهة اتجاهاه فإذا ورد من الأسفل الى من جهة

قاعدة الاسطوانة دفع المكس الى اعلاها وإذا جاء من الاعلى اي
من جهة غطاء الاسطوانة دفع المكس الى الاسفل في الحالة الاولى
يصعد المكس من جهة قاعدة الاسطوانة الى قرب غطائها وفي
الحالة الثانية يهبط الى قرب قاعدتها وهكذا تستمر المكاس صاعدة
وهابطة بتكرار ورود البجار عليها ودفعه لها من الاسفل الى الاعلى
ومن الاعلى الى الاسفل وفي حركاتها هذه تعلو وتسفل معها سيقانها
المحارحة من اعطية الاسطوانات كما مر ذكره انما هناك قطعة
مستطيلة ذات شكل مخصوص سميها القب تشبها لها ثقب
الميران موضوعة بحيث يمكن ان تتحرك حول مركز وسطها كحركة
قب الميران يعلو واحد طرفها ويسفل الاخر ثم يعلو السافل
ويسفل العالي وساق كل مكبس من المكاس المذكورة متصل راسها
باحد طرفي هذا القب وقد رتب البجار للبرد على هذه المكاس
بحيث يجعلها تتحرك على التعاكس بمعنى انه اذا كان احدها صاعدا
كان الاخر هابطا ثم يهبط الصاعد و يصعد الهابط وهكذا . وبحركة
المكاس هذه الحركة التعاكسية يتحرك القب المذكور بالتسوية لحركة
سيقانها المتصلة رؤوسها بطرفيه كما ذكر فيصعد طرف القب مع
الساق الصاعدة ويهبط مع الهابطة وهكذا . وبحركة طرفيه تتحرك
معها قضبان ثالثة فيها متصلة بمجاور موضوعة على الارض او غيرها
توصل تلك القضبان حركة القب المذكور الى هذه المجاور
فتجعلها تتحرك حركة دورية كحركة سهم الساقية فتدور هذه الدورة

بأقي العدد الموجودة لما بينها من الاتصال ولكل آلة تركيب مخصوص موافق للغرض المطلوب منها ولها أشكال مختلفة وأنواع كثيرة بحسب ما يطلب منها فليس ما يطلب لأجل العزل والحماية أو صناعة الحديد مثلاً كالذي يطلب لسير السفن ولأما يراد به إدارة عدد كثيرة وكبيرة كالذي يراد به إدارة عدد قليلة وصغيرة بل كل على حسب ما يلزم له

وأما بواحر سكة الحديد فيكون فيها الآلة والقران والفرن جميعها مجتمعة مع بعضها في هذا الدست المستطيل الأسطواني الذي تراه أمام القطار موضوعاً على فرش من المعدن فوق المحل بكيفية معلومة ليس هنا محل شرحها

الجهة المؤخر من الدست حيث يقف سائق الوابور فيها بيت النار وهو الفرن وهناك جميع الآلات التي تدل على قوة تمدد البخار والتي يوقف بها الوابور حالة سبه وعكسه وفي جهة مقدم الدست أي أوله من الجهة التي يسير إليها يوجد بيت الدخان وفوقه تلك المدحة القائمة التي تراها يبعث منها الدخان إلى الجو ويبس بيت النار وبيت الدخان المذكورين بيت الماء وفيه أنابيب من الحاس كثيرة يبلغ عددها مائة فأكثر إلى ما بين وثمانين وهي متصلة ست النار وبيت الدخان مارة من بيت الماء الموجود بينها كما ذكر

وهذه الأنابيب موضوعة قرب بعضها وبينها أخيلة صغيرة

ببلاها الماء فتصير الانابيب المذكورة مغمورة فيه

ثم فوق الدست مما يلي جهة الساربيت البخار وهو الذي تراه نائثاً فوقه كالمحذبة على ظهره ويقال له طبوشه فيوضع الماء في الفرن اي في بيت الماء السابق ذكره ولا يملأ جميعه بل يترك جزء في اعلاه فارغاً من الماء ليتولد فيه البخار ومنه يصعد الى الطبوشة المذكورة وتوقد النار في الفرن فيسخن بيت الماء المتصل به وتدخل الحرارة مع الدخان في تلك الانابيب فتسخن ايضاً وتشتد بها سخونة الماء لكونها معمورة فيه فيتولد البخار بسرعة ويحصل منه مقدار كثير يكفي للطلب ويجتمع في الطبوشة كما مر ذكره فتشتد قوته وفي اعلى هذه الطبوشة من داخلها م انبوبة طويلة تمتد منها الى بيت الدخان مارة من بيت الماء من اعلاه في البحر الذي يكون فارغاً من الماء وضعت كذلك لئلا تكون في الماء تردد وتضعف قوة ما يكون فيها من البخار وحمل بها في اعلى الطبوشة لئلا يدخل فيه بعض الماء عند غليانه فادا اجتمع البخار واشتدت قوته كما ذكر يدخل في تلك الانبوبة من فيها الذي في اعلى الطبوشة فيسير فيها الى بيت الدخان وهناك يوصل في انبوتين يوصل منها الى اسطوانتين في حائبي بيت الدخان احدهما جهة اليمين والاخرى جهة اليسار وفي كل منها مكس فادا دخل البخار في كل اسطوانة دفع المكبس الذي فيها محركة الى جهة اتجاه قوته ومحركة المكبين تحرك عدد متصلة بها

وأصلة الى محور العجل الكبير الذي في وسط الفرش فتحركها
 حركة مستديرة على الحديد الموضوع فوق الارض فتسير الآلة كلها
 عليه وتجر خلفها العربات المرتبطة بها وبعد ان يتم البحار فعله
 المطلوب منه بصرف من تلك الأسطوانات بواسطة انابيب توصله
 منها الى المدحة فيخرج منها قوة وصوت تسمعه مدة سير الوبور
 تساعد تلك القوة على اشتعال النار لانهما تحلب اليها الهواء وفوق
 القزان آلة تسمى آلة الأمن تبين تغير مقدار الماء الموجود فيه
 للاحتراز من زيادة قوة البحار عن المقدار اللازم فان قوة تمدد
 البحار تزيد وتنقص بحسب زيادة الحرارة وتقصها والفرانات انما
 تعمل لتحمل قوة محددة اذا رادت عنها قوة البحار فيحرق القزان
 ويكسر ويحصل خطر كبير وصرر عظيم فعائدة آلة الأمن الاحتراز
 من ذلك الخطر والصرر والقرب من سائق الوبور آلة اخرى
 يظن اليها في كل وقت يعرف بها مقدار تلك القوة التي هي الأساس
 في سرعة السير فان كانت رائدة عن الحد حبها وان كانت
 ناقصة فعل ما يقويها . ثم آلة اخرى يسد بها الانسوبة الموصلة
 للبحار الى الأسطوانات حين يريد توقيفها ويفتحها حين يريد
 تحريكها وجميع تلك الآلات لها مقادير محددة وانعاد معينة
 بحسبان طويلة ولها اشكال موافقة لما يراد منها وتتركب مع بعضها
 على مقتضى اصول وقواعد مقررة طويلة الشرح يوحد بيانها في
 كتبها الخاصة بها يطلبها من يريد التجري في معرفتها وانما هذا بيان

احتمالي لصفتها على قدر الكفاية لتصورها لمن لا يريد الاشتغال بها
وانخاذها حرفة

وقد كان استعمال سكك الحديد وانتشارها في مدهاء ظهورها
قليلاً لجهل الناس امرها فكان الموجود منها سنة ١٨٣٩ من الميلا
اي سنة ١٢٥٥ من الهجرة في بلاد الانكلير (٢٢٣٣) كيلومتر
وكل كيلومتر الف متر وفي فرنسا (٥٧٢) كيلومتر وفي باقي
اوروبا (٨٣٤) كيلومتر وكان اكثر هذه السكك مستعملاً في
نقل الفحم ثم احدث في الارتفاع والانتشار بالتدريج ورغبت فيها
اصحاب الاموال لما علم من كثرة فوائدها وثمراتها فاعقدت شركات
بين كثير من الناس اجتمعت فيها اموال عظيمة واشتغلوا بها
فكثرت واشتهرت ولما مضى عشرون سنة من اثناء ظهورها
كان الموجود منها في اوروبا وفي باقي الجهات (٧) كيلومتر
وفي سنة ١٢٧٣ من الهجرة احصي وقد ما حصلت المقابلة على
اشيائه وعقدت مشارطاته الى ذلك التاريخ فبلغت (١١٥٣٩٥)
كيلومتر منها في اجاروبا من بلاد امريكا (٢٣٣٧١٠) كيلومترات
وفي بلاد الانكلير (٢١٥٥٥) كيلومتر وفي بلاد فرنسا (١١٦١٥)
كيلومتر وفي المانيا (١٨٠٨٤) كيلومتر وفي باقي الجهات
(٢٠٤٣١) كيلومتر وكان الذي تم من ذلك واستعمل الى التاريخ
المذكور (٧٧٢٣١) كيلومتر منها في بلاد الانكلير (١٤٠٢٥)
كيلومتر وفي امريكا (٣٩١٩٨) كيلومتر وفي المانيا (١١٩٧٥)

كيلومتر وفي فرنسا (١١٦١٥) كيلو متر والباقي في سائر جهات
اورونا وغيرها ومن ذلك في القطر المصري (٥١٨) كيلو متر
ثم تم بعد ذلك باقي ما عملت مشارطاته وراى عليه كثير غيره
وانا قايسا بين هذه المقادير وبين اهل الجهات المذكورة برى ان
كل مليون من الاهلين اى الف الف يقابله ٢٠٠ كيلو متر
من سكك الحديد في بلاد ايجارويا والف كيلو متر في بلاد الانكلير
وخمسائة كيلو متر في فرنسا ومانيا وما من يوم الا ويجد فيه
انشاء سكك جديدة توصل بعض البلاد لبعضها في كل يوم في
تجديد وكل وقت في مزيد

فقال الشيخ ان السكك الحديدية في مصر عملت على نفقة
الحكومة وهي تقوم بما يلزم من مصروها وتأخذ ما يتحصل من
ايرادها هل التجاري في سائر الجهات مثل ذلك

فقال الانكليزي التجاري في البلاد الاوروبية على خلاف
ذلك فان انشاء سكك الحديد فيها يكون على نفقة شركات
تتألف من شركاء قليلين او كثيرين على حسب حالة السكة
المطلوب انشاؤها والقود اللزم صرفها عليها هم يصرفون عليها
ويأخذون اجرة ما يحمل فيها من المسافرين والضائع التجارية
وغيرها بتمتضي اقوانين موضوعة فيها حدود مقررة لا يتعدون على
تعيدها وذلك لاجل راحة الناس وعدم تمكن ارباب تلك الشركات
من اطلاق التصرف بما يجمل بالغرض الاصلي وهو تسهيل امر

القل والسفر لجميع الناس مع الراحة والامن باجرة اقل مما كانوا يصرفونه على ذلك في غير سكة الحديد

وقد قدر عدد المستخدمين في سكك الحديد في كل مبريا متر ابي عشرة من الكيلومتر فوجد ٧٥ شخصا في بلاد الانكليز و ٧٣ شخصا في بلاد المانيا و ٧١ في فرنسا لكل شركة من الشركات المشتغلة هذه الاعمال تستعمل في الاقل نحو (٢٧٠٠) شخص وذلك عبارة عن جيش كل افراده مستعملة في توسعة دائرة الثروة الشريفة ومتعيشة في ساحة الشركات المذكورة فلو حسبنا مقدار جميع المشتغلين بخدمة سكك الحديد التي ذكرناها لوحدناه يقرب من مليون ابي الف الف من الناس

ولو نظرنا الى ما يصرف في هذه السكك لوحدناه يبلغ مبالغ تتجاوز حد المهود فقد وجد متوسط ما يصرف في اشياء كل كيلومتر في بلاد الانكليز نحو (٢٣٧٣) جنيه انكليزي وفي بلاد المانيا (١١١٢) وفي امريكا (٥٠٤) جنيه وفي فرنسا (٢٠١٢) جنيه من هذا (٢٤) جنيه ثمن الارض و (٥٦٠) جنيه ثمن التضييب من الحديد و (٢٤٠٠) جنيه ثمن الادوات ومصاريف الحرس والتركيب والباقي في الباقي ويختلف المصروف كثرة وقلة بحسب الكميات فيكون في قرب المدن كثيرا جدا فقد لم صرف قدر مليون جنيه انكليزي في المرور من مدينة ليون وصرف على محطة باريس نحو (١٢٠٠٠) جنيه

انكليزي وغالب المحطات النهائية يلزم لها مصاريف هائلة فان
 بعضها يحتاج من الارض الى ما يقرب من مائة فدان مصري
 فلو قدرنا متوسط هذه المقادير وجعلناه قيمة كل كيلو متر
 واحد في جميع الجهات وحسبنا به الجميع نجد ان ما صرف في
 اشاء ما سبق ذكره من السكك يبلغ تقريباً نحو ١٧٣٠,٠٠٠,٠٠٠
 جنيه انكليزي فإياك لو حسبنا مصروف العامل التجاري فيها
 اعمال الات هذه السكك وادواتها

قال الشيخ فهل جميع السكك في جميع الجهات على سق
 واحد ام هي مختلفة

قال الانكليزي ليست على سق واحد في جميع الجهات ففي
 بلاد امريكا نجد غالب السكك على حط واحد فيه ميول ابي
 امحارات كبيرة وغالب المحطات فيها من الخشب والاصل في
 ذلك رعاية قلة المصرف وعدم الاسراف وفي بلاد الانكليز وفرنسا
 جميع السكك على حطين والمحطات واسعة مشيدة صرف عليها
 مصروف كثير والاصل في ذلك رعاية كثرة رغبة الناس . وفي
 بلاد الالمانيين بعض السكك حط واحد وبعضها على حطين
 ولكن منذ قريب راوا لزوم جعلها كلها على حطين وبالحملة
 فاختلاف السكك تابع لدرجة تمدن البلاد ودرجة عمارتها وثروة
 اهلها

قال الشيخ ارى هذه السكك قد صرف عليها اموال هائلة

علم ما ذكرت ولكن رجحها بالضرورة اعظم فان ارباب الشركات
التي ذكرتها انما اشتغلوا بها طلبا للربح والمكسب فهل حسب ذلك
او قدر

قال الإنكليزي قد حسب مقدار المتحصل من اجرة السكك
المذكورة سنة ١١٧٣ فكان في بلاد الانكليز اجرة المسافرين
(١١,٢٦٠,٠٠٠) جنيه واجرة البضاعة (١١,٠٠٠,٠٠٠) جنيه ايضا
فيكون مجموع المتحصل من الاثنين (٢٢,٢٦٠,٠٠٠) جنيه وفي
بلاد فرنسا اجرة المسافرين (٥,٥٢٠,٠٠٠) جنيه واجرة البضائع
(٦,٤٠٠,٠٠٠) جنيه فيكون مجموعها (١١,٩٢٠,٠٠٠) جنيه
وفي المانيا كانت اجرة البضائع ثلثي المتحصل كله فادنا قايستا بين
طول السكك والاحرة الحاصلة منها نجد انه يحصل على كل
كيلومتر واحد في بلاد الانكليز ١٦٤٨ جنيه وفي فرنسا ١٩٤٠
جنيه وفي المانيا ١١٦٨ جنيه كل ذلك باعتبار الجنيه الانكليزي
وما يصرف سويًا على سكك الحديد يختلف باختلاف البلاد
والاشغال المرتبة لكل سكة بها والقاطنين بادائها هو في بلاد فرنسا
اربعة واربعون من كل مائة من اصل المتحصل وفي بلاد الانكليز
خمسة واربعون في المائة وفي المانيا اربعون

وسكك الحديد في بلاد النمسا جارية على طرف الحكومة
كما في مصر ويصرف عليها سنويًا خمسة وعشرون من المائة من
اصل المتحصل وذلك في السكك الموجودة في جهاتها الشمالية

وأربعة وخمسون من المائة في سكك جهاتها الجنوبية وخمسة وستون في جهاتها الشرقية وأربعة وتسعون في جهاتها الغربية فقال الشيخ اظن ان رح سكة الحديد لها كثير جداً سبب كثرة ما يتقل بها من المسافرين والضاعة فقد سمعت انه يسافر في اليوم الواحد من مصر بحوطة قطارات ومثلها من أسكندرية بعضها مشحون بالناس المسافرين وبعضها بالضاعة وهذا غير جهات الفروع وجهة الصعيد

فقال الانكليزي لادري حاصل ايراد السكة بمصر ومصرفها فان هذا انما يعلم من نتائج تعمل عنه في كل سنة وما رأيت شيئاً من ذلك يتعلق بمصر وقد كان خطر مالي ان اسأل من حضرتمك عنه

قال الشيخ ومن اين لي علم ذلك وهذه المرة اول مرة ركبت فيها هذه السكة فاني بحسب احوالي المعاشية واشغالي اليومية ما كنت احد موجهاً للسفر ولا خرجت من مصر منذ دخلتها المرة واحدة لامرهم وذلك ان والدي توفي وترك ايتاماً فذهبت واحضرتهم ولم اسمح الى السفر قبلها ولا بعدها فلما لم يكن لي حاجة الى السفر في كل وقت لم يكن لي تفكر في مثل هذه الامور التي هي من لوازمه على انا في بلادنا ليس لنا عادة بالبحث عن مثل هذه الاحوال حتى ان من يضطر ما الى كثرة السفر لاتحد له عناية بمعرفة ذلك وإنما يعرف مقدار الاحرة التي يدفعها في السكة

وفي غيرها كاللذبة والمرك مثلاً ومخارما هو الأرجل من غير
 ان يبحث عن ربح صاحب السكة او الدانة او المركب مثلاً فهذه
 عادتنا وطريقتنا وان كان هذا الامر ربما عابه علينا غيرنا بالنظر
 لعادتهم وعلى الجملة فليس عدي شيء من معرفة ربح هذه السكة
 او خسارتها فان كان عندك علم بمقدار ارباح سكك الحديد في
 غير هذه البلاد فارجوك ان تبين لي منه نبذة ربما يمكن لنا ان
 تقيس احوالنا في هذه البلاد على غيرها

فقال الانكليزي ليس الحال في جميع الجهات واحداً فاعدنا
 في بلاد الانكليز كان الربح في بعض السنين اربعة في المائة تقريباً
 وكان مرة سبعة ومرة تسعة في بعض الجهات بعد طرح جميع
 المصروف من اصل المتحصل وفي فرايبورغ مرة خمسة ومرة ستة
 ومرة تسعة كذلك وفي المانيا بلغ الربح رهاء عشرة في المائة وفي
 بعض جهاتها نحو اثنين وعشرين في المائة وفي ايجازويا بلغ الربح
 في بعض جهاتها عشرة وفي اخرى اثني عشر وخمسة عشر في المائة
 وليست تدوم هذه الارباح على قدر واحد ووجد معين بل تزيد
 وتقص بحسب الاسباب ومتنضيات الاحوال وكذلك المصاريف
 قال الشيخ اني ارى محلات جلوس الناس في هذه السكة
 محملة متفاونة في العرش والزينة والروتق فما وجه ذلك هل هو
 بحسب اقدار الناس ومراتبهم ام كيف يكون
 قال الانكليزي ذلك بحسب يدفعونه من الاجرة فان

العربات المعدة لركوب المسافرين في سكة الحديد تكون على ثلاث درجات أحداها وهي أعظمها وأكثرها اجرة الدرجة الأولى وهي التي نحن فيها . ثابتهما الدرجة الثانية وهي دونهما وأقل منها اجرة . ثالثها الدرجة الثالثة وفي دون الثانية وأقل منها اجرة فكل من رغب في واحدة من هذه الدرجات يدفع ما قدر لها من الاجرة وينزل فيما وثم عربات من غير هذه الدرجات الثلاث معدة لنقل الدواب والصايع وغيرها

قال الشيخ الظاهر ما رأيت أب الذين ينزلون في الدرجة الثالثة أكثر

قال الانكليزي نعم هذا هو الواقع وقد قرأت مد قريب كتاباً له بعض العرسوية حديثاً في أحوال السكة الحديد يقول فيه قد دلت التجارب على أن كل مائة من المسافرين في سكة الحديد يكون منهم ٩ فأكثراً إلى ١٢ في الدرجة الأولى ومن ١٦ إلى ٢١ في الثانية ومن ٦١ إلى ٧٣ في الثالثة وتحصل اجرة الدرجات الثلاث يكون فيه نحو ثلاثين في المائة من الدرجة الأولى ونحو أربعة وعشرين في المائة من الدرجة الثانية والباقي من الدرجة الثالثة وهذا في فراسا وإما في ألمانيا فللدرجة الأولى خمسة في المائة وللثانية ٢٣ وللثالثة الباقي وقد قسم متوسط الاجرة على مقدار طول السكة فوجد أنه يقع منه لكل كيلو متر من اجرة كل انسان ستة سنتيمات وثلاث سنتيم في فراسا و٨ وثلاث في

بلاد الانكليز والسنتيم عشر عشر الفركت والفركت ثلاثة فروش
 وارعة وثلاثون نصفاً فضة بالمعاملة الديوانية التجارية بمصر وكل
 عشرين فرككاً تتو واحد وما يتحصل من اجرة البضاعة اكثر مما
 يتحصل من اجرة المسافرين فادا نسبنا احدها للآخر وجدنا اجرة
 المسافرين في بلاد الانكليز نحو ٤٧ من المائة وفي بلاد فراسا نحو
 ٤٤ وفي المانيا نحو ٣٨ تقريباً وليست هذه المقادير ثابتة على الدوام
 بل تتغير باسباب كثيرة وعلى الحملة محاصل البضاعة آخذ في
 الريادة دائماً وعليه مدار سكك الحديد فانها لا تحتاج الى ما يحتاجه
 المسافرون من كثرة السرعة وريادة المصرف وقد احصى ما يتل
 من البضاعة بواسطة سكك الحديد في جهات فراسا سنة ١٢٥٩
 من الهجرة وبلغ ٢٥٠٠٠ طونيلاته وبلغ في سنة ١٢٦٧ من الهجرة
 ١٢٢٠٠٠ وبلغ في سنة ١٢٧٣ للهجرة ٢٢٧٠٠ طونيلاته والان
 يبلغ ما يتل في السنة الواحدة في فراسة نحو (١٢٠٠٠٠) (١٢٠٠٠٠)
 وفي انكلترة نحو (٦٢٠٠٠٠) طونيلاته

وهذا نتيجة احداث مروع جديدة وتقليل شيء من مقدار
 الاجرة فقد كان يؤخذ أولاً على كل طونيلاته ستة عشر مستيماً في
 كل كيلو متر من السكة والان لا يؤخذ الا سبعة سنتيمات وذلك
 في بلاد فرسا كما حققه صاحب الكتاب المذكور

والذي دعا اصحاب الشركات الى تقليل الاجرة انهم راوا ان
 ما صرف في انشاء سكك الحديد من الاموال مع ما يحسب عليها

من الفائدة يدخل في المصروف السوي قدر ١٢٠٠ جنيه في كل كيلو متر ولا يقص هذا القدر الا زيادة ما يقل من البضائع وغيرها ادلو كان المنقول من البضاعة مائة الف طونيلاته مثلاً وكان المصروف على كل طونيلاته ثلاثين سنتيماً في كل كيلو متر فلا يريد مصروها عن ثلاثة سنتيمات اذا كان المنقول قدر الاول عشر مرات فعلموا ان تقليل الاجرة يستوجب كثرة ورود البضاعة وزيادة الربح ثم رأوا ان كل طرد من طرود البضاعة يحتاج الى بعض اعمال كالورن والتحرين والكتابة ومحو ذلك وهذه الاعمال لا يحتاج اليها الا في المحطة التي يشحن منها والتي يرسل اليها ولا دخل لطول المسافة وقصرها في ذلك ومصاريف هذه الاعمال وان كانت تختلف باختلاف المحطات الا انها يمكن تقديرها ١٢٠ سنتيماً لكل طونيلاته فان كان طول المسافة عشرة كيلومترات فلا تكون الا اثني عشر سنتيماً لكل كيلو متر فان كانت مائة كيلو متر فلا يكون لكل كيلو متر الا سنتيم وخمس فان بلغت المسافة ٢٠٠ كيلو متر كانت قليلة جداً فهذا رأوا ان ينفقوا اصحاب البضائع المرسلة الى مسافات بعيدة بعض اعتبار على غيرهم في خفة الاجرة استجلاً لزيادة رغبتهم ووجدوا في ذلك زيادة الربح والمكسب وكذلك التجار الذين لم ارساليات منتظمة اعطوهم من الاعتبار ما منحوه لاصحاب البضائع المرسلة الى المسافات البعيدة ورأوا في ذلك ربحاً

كثيراً وثرة عظيمة

ثم اهتم رأوا ان كثيراً من العربات تكون في معظم المسافة فارغة ويذهب مصروف ثقلها سدى. ووجدوا مصروف القطار يبلغ ١٥٠ سنتيماً في كل كيلو متر فاذا كانت البضاعة المحمولة ٢٥ طونيلاته مثلاً كانت الاجرة الحقيقية على حسب ذلك ستة سنتيمات لكل كيلو متر فان كانت البضاعة ١٥٠ طونيلاته كانت الاجرة في كل كيلو متر سنتيماً واحداً فكما كان المقول اكثر كانت قيمة الاجرة اقل من ثم رأوا ان المسألة التي يلزم التنبه لها هي مع الفوارع ما أمكن توصيلها الى هذا الغرض بتقص احمدة اللوارج الأولية كالتحجير والتحجير مثلاً لتقل الى البلاد البعيدة والقريبة والكيفية التي استعملوها في تقدير الاجرة لمثل ذلك هي اهم عرفوا فرق ثمن الصنف بين الجهة التي يرسل اليها وحملوه هو الاجرة للصنف

فحصل لهذه التدبيرات وامثالها ثمرات عظيمة وموائد جمة فزاد ربح اصحاب الشركات وراد ايضاً امتناع الناس سكك الحديد ريادة تذكر

وبينما هما يتحادثان في هذا الكلام وكانا قد وصلا الى قريب محطة بركة السع اد وقف القطار في غير موضع وقوفه وسمع في اخريات القطار جلبة وبعض اصوات مختلطة وبظر الشيخ فاذا بعض الناس ينزلون من محلاتهم وهو لا يدري السبب في ذلك

فسأل بعضهم فاخبروه ان احدى العربات وجدت فيها نار والباس
من خدم السكة مشغولون باطعامها مخاف الشج وقال لولده
والانكليزي قوما ما تنزل .

فقال الانكليزي لانهف يا مولانا ولا تخرج فهذا امر يصكر
حصوله في سكك الحديد ولا ضرر فيه ولا خطر وسرى هذه
النار اطفأت في بعض دقائق من الزمن وفي الواقع لم يمتض
برهة قليلة حتى اطفأت النار وسار القطار كما كان فاطمان
خاطر الشج ولكنه اخذ يلوم على من يستعمل الدخان حيث
ظن ان ذلك منه وينسب التصبر الى خدم السكة لعدم
الفهم لمعه

فقال الانكليزي ليس هذا يا مولانا من استعمال الدخان
وانما هو من شدة احكامك الدناجل واللم وليس من احد وهذا
اصغر خطر يحصل في السكة ولها اخطار كثيرة غير هذه يعود
بالله منها ولكنها الآن اقل مما كان يحصل في السابق بكثير فلا
يجعل الا في النادر وذلك بسبب ما نحدد لسكك الحديد والآتم
من التحسين رعاية لسلامة المسافرين

قال الشيخ كان فيما سلف من الزمن قد حصل هاء في
سكة الحديد عدد كثر الريات امر هائل شاع دكره وانتشر
خبره وعظم خطره ومات به خلق كثير فاكثر الناس وتشد
بسبه من ثم سكة الحديد ويهيل امرها والتعرض على تركها

وتفضيل المراكب عليها ثم تنويع ذلك

قال الانكليزي من ذأب الخلق ان يشتغلوا بالامور عند وقوعها ويتركوها اذا تقادم عهدها ولو تأملوا في الامور حق التأمل وقارنوا بين المحوادث الواقعة وبعضها لحكموا بالصواب ولكنهم يحيطون فيها حط عشواء فيمكنون من غير روية ولا تدبر فمن ذلك حكمهم على سكة الحديد بجاذبة مضرّة حصلت او بعض حوادث وتفصيلهم غيرها عليها سبب ذلك من غير حصر ولا نظرا لما وقع من الاحطار والمحادث فيما دهموا لتفضيله ولو نظروا بعين الحقيقة لرجحوا سكة الحديد على غيرها فابها اقل خطراً وأكثر مزية واخف ضرراً

قال الشيخ وما آية ذلك

قال الانكليزي قد علم من دعائر الاحصاء انه في مدة سنة عشرة سنة آخرها سنة ١٢٧٣ من الهجرة ركب سكة الحديد في امريكا من المسافرين ٢٢٤٠٢٧٨، ٧٠ شخصاً مات منهم بمحادث السكة ١٨٧ وانجرح ٣١٥٥ ومن سنة ١٢٥١ الى سنة ١٢٧٣ من الهجرة سافر سلك الحديد في فراسا ٢٢٤٠٣٤٥٠٧٦٩ من الناس مات منهم ١١١ وانجرح ٤٠٢ ومن سنة ١٢٦٨ الى سنة ١٢٧٣ للهجرة قتل سكة الحديد في روسيا ٨١٣٠٥٥٢٠٥٥٢ شخصاً مات منهم اثنان وانجرح اربعة فيكون جميع من ذكر من المسافرين في تلك الجهات ١٢٢٠٩٦٠، ١٣٥٠ مات منهم ٣٠٠

وانجرح ٢٥٢١ فيكون قد مات من كل ٤٥٠٠٠٠٠ من
 المسافرين شخص واحد وانجرح من كل ٢٨١٠٠ منهم شخص
 واحد وهذا قليل جداً بالنسبة لما حصل في غيرها فقد علم انه
 مات في ارض فرانسة بسبب العربات المعتادة التي تحرقها الحيل
 ١٠٢٣٤ شخصاً في ظرف ستة عشر سنة آخرها سنة ١٢٧٣ هجرية
 وما حصل من الحوادث في شركة السبع العرساوية المسماة
 مساجري ايمريال يدل على ان السكة اقل خطراً من غيرها بكثير
 فان حملة ما تملئة سفن الشركة من المسافرين في ظرف تلك
 المدة اغتني ستة عشر سنة قد بلغ ٢٩٨ ٧١٠ شخصاً بلغ
 عدد من مات منهم ٢ وعدد من حرج ٢٢٨ فيكون
 قد مات واحد من كل ٢٥٥٤٦٢ من المسافرين وحرج واحد
 من كل ٢٩٨٧٢ منهم وهو أكثر من الحاصل في سكك الحديد
 قدر ١٢ مرة

فمن هذه المقارنة يظهر ما ذكرناه من قلة اخطار سكة
 الحديد عن اخطار غيرها من الطرق المستعملة في النقل والسفر
 ونسبة هذه الاخطار الى ما حصل من العوائد كسنة المعلوم
 الى الموحد

مثلاً كان المستعمل في بلاد اوروا للنقل والسفر قبل ظهور
 سكة الحديد المراكب والعربات المعتادة وكانت لا تقطع في اليوم
 الامسافة قليلة فكان يحصل سبب ذلك للمسافرين تعب كثير

ومشتات عظيمة لاسيما اذا كانت السفر الى جهات بعيدة يلزم
تقطعها امام عديدة واكثر ما كانت تقطعه هذه العربات في
اليوم ٤٠ كيلومتراً وهو ما ينقطع بسكة الحديد في ثلاثة ارباع
ساعة ولا يخفى ما في ذلك من العوائد العظيمة والراحة التامة
ومن ثم كثرت حركة الناس منذ وجدت سكة الحديد ورادت
عن الاول بكثير فصارت في بعض البلاد ثلاثة امثال ما كان
قبل وفي اخرى مثليه وفي جهات امريكا كما احدثتها سكة
الحديد وكانت قبلها غير موجودة

وقرأت في الكتاب الذي سق ذكره ان الذي كان يحصل
من قتل الناس بالعربات المعتادة في الجهة الشرقية من فرانسه
في السنة الواحدة ٢٤٠ جيبه وبلغ بوجود سكة الحديد ١٠٨٠
حيه فلما رتت قطارات مخصوصة للنزهة واتسع اقل احرة من
القطارات المعتادة راد ذلك حتى بلغ ١٦٠٢٦٠ حيه

فادا فرضا ان المسافرين في السنة في سكك الحديد في
جميع مملكة فرانسه مثلاً وم ٧٥٠٠٠٠ من الناس يسافرون
مسافة ٤ كيلومتر فلما ان كل واحد منهم توفر له ثلاث
ساعات كانت تضي في السفر والحركة فان هذه المسافة يقطعها
الواحد في ساعة وتقطعها العربات المعتادة في اربع ساعات بحملة
ما توفر لجميعهم ٢٢٥٠٠ ساعة فادا فرضا ان الساعة
لكل منهم قيمتها نصف فرنك كان المتوفر لم في السنة

١١٢٥٠٠٠٠٠ فرنك أي ٤٥٠٠٠٠٠ جنيه وقبل حدوث
سكة الحديد كانت نفقة المسافر الواحد من راد وغيره في كل
كيلومتر واحد تقرب من ١٢ شتبا وهي الآن لا تزيد عن
سعة شتبات ونصف تتوفر لم بهذا السبب أيضا ٤٥٠٠٠٠٠
جنيه فيكون جملة ما توفر لم من هذا وذاك ٩٩٠٠٠٠٠
جنيه

تسهم الشيخ وقال لو كان السفر على الدابة كالخمر والجمل
مثلاً لكان مقدار الوفرة بالضرورة أكثر لأن سير هذه الدواب
أقل سرعة من العربات المعتادة فإياها لا تسير في الساعة أكثر
من مائة فإذا كانت المسافة بعيدة لم يكن اللازم للمسافر في مونة
نفسه وحده بل يلزمه أيضاً مونة دابته وأجرة حرسها إذا
بات في إحدى المدن

فقال الأنكليزي إذا كان المسافرون على الدواب بالعدد
الذي قدرناه لأرض فماسة كان الوفرة قدر ما مر ذكره سع
مراث وأكثر وما حصل بواسطة هذه السكك من السهولة
والسرعة في النقل قد رابت حركة التجارة وكثر نقل البضاعة
وحصل منها ربح عظيم وبعد أن كان الحاصل من أرباحها لا
يبلغ ثلث المتحصل من جميع المنقولات وصل بواسطة السكك
إلى ثلثيه وإلى ثلاثة أرباعه في بعض المحطات ثم صار المتحصل من
البضاعة قدر المتحصل من المسافرين ثم راد عنه وما زال يرداد

حتى صار قدره مرتين وثلاث مرات

وقد علم من نتائج الحساب في سنة ١٢٨١ هجرية ان مقدار
النضايح المنقولة في ارض فرسا الى مسافة الف متر كان يقرب من
اربع مليارات طونيلاته اي اربعة الاف الف الف ولو قدرنا ان
هذا القدر كان يمثل بالكمينيات التي كانت مالوفة في السابق
وكانت ثلاثة مليارات منه تنقل بالعربات العادية ومليار واحد
يقل بالسفن في البحر قلنا ان نقل ذلك بواسطة سكة الحديد
بدل الوسائط السابقة قد حصل منه وفر عظيم وذلك لان اجرة
النقل بالوسائط المذكورة على كل طونيلاته مسافة الف متر تكون
من اربعة عشر سنتيماً الى ستة عشر فاداً حسب سبعة فقط كان
الوفر في كل طونيلاته اربعة سنتيمات ونصفاً فان سكة الحديد
يؤخذ فيها سنتيمان ونصف فقط فيتوفر لاصحاب البضاعة في السنة
الواحدة من المنقول بالعربات المعتادة (٤٨٠٠) حنيه ومن
المنقول في البحر ايضاً فهو على كل طونيلاته اربعة سنتيمات فينتج من
ذلك (١٦) حنيه فيكون مجموع ما توفر ما ذكر لاصحاب
البضاعة في السنة الواحدة (٦٤) حنيه ويلزم ان
يضاف الى هذا ايضاً مقدار النقص الذي حصل في اجرة المنقول
بالراكب بعد حدوث السكة غير ما ذكر لاهلها كانت السبب فيه
فاداً حسناً ذلك باعتبار ما نقل في البحر سنة ١٢٨١ هجرية يبلغ
(٢٦٨٠) حنيه فيكون مجموع ما وفرته السكة على اهل

الملكة المذكورة في سنة واحدة نحو (٢٠٠٠٠٠٠) جنيه
وقد علم بالاستقراء والاستقصاء ان حال الطرق الاولى لم
تتغير وحركة المراكب لم تنقص كما يرعى بعض الناس بل رادت
فقد كان الموجود سنة ١٢٥٧ هجرية في ارض فرسا من سكك
الحديد (٨٨٤) كيلومتر وكان متوسط عدد العربات العادية
الموجودة (٢٤٣) ولما بلغ طول سكة الحديد (٤٩٥٢) كيلومتر
في سنة ١٢٦٩ هجرية كان عدد العربات العادية (٢٤٤) ولما
وصل طول السكة الى (٨٦٧٩) كيلومتر سنة ١٢٧٥ هجرية
كان عدد العربات (٢٤٦) ولما بلغ طولها (١٢٠١٨) كيلومتر
سنة ١٢٨٠ هجرية كانت العربات (٢٢٧) من هذا
ظهر ان سكة الحديد لم يحصل منها ادنى ضرر لمن كانوا متحدثين
القل بالعربة العادية صاعة بل حصل منها مسعة عظيمة لخلق
كثير استخدموا في اشغالها واعمالها وربحت اصحاب الاموال منها
ربحاً عظيماً فاهم بعد ان كانوا لا يبالون في السنة الا اثنين في
المائة ربحاً صاروا يوضع اموالهم في سكك الحديد يحصل لهم ربح
عشرين في المائة

وحيلة ما يحصل من سكك الحديد في بلاد الانكليز لاربابها
المشاركين فيها على جميع ما ينقل بها يبلغ (٢٠٠٠٠٠٠) جنيه
ولو فرض انطالها بالمرّة والرجوع الى الطرق الاولى لم ان يصرف
حيث على ما كان ينقل بها انا نقل بالوسائط الاخرى

(٦٠٠٠٠٠٠٠) جنيه فقد وفرت سكك الحديد على اصحاب
المقولات (٤٠٠٠٠٠) جنيه فضلاً عن ان الذي يتقل بها
لا يمكن ان يتقل غيرها

فقال الشيخ الحق ان فوائد سكة الحديد عظيمة وثرائها كثيرة
وليست منافعها خاصة بالتجارة بل نعم غيرها من الصناعة والزراعة
والعلوم والفنون والعادات والاخلاق والسياسة والعمران والمدنية
فناثمها للصناعة مثلاً انها يسهل بواسطتها نقل المصنوعات من
بلد الى بلد ومن مملكة الى مملكة فيكثر استعمالها وتداولها ويزداد
صانعوها وتعظم رغبتهم فيها فيجسّن حالها وهكذا فائدها في الزراعة
تسهل نقل حاصلاتها من الحبوب والثمار وغيرها فيزيد نفعها
ويزيد زيادته رغبة الناس فيها واعتناؤهم بها وهلم جرا

فقال الانكليزي نعم ذلك كما ذكرتم ولكن ليست منفعتها في
الزراعة خاصة نقل حاصلاتها فقط بل تنفع كثيراً بنقل ادواتها
ولوازمها ايضاً كالسماد (الساج) مثلاً فقد نقل منه بواسطتها الى
المزارع باجرة واهية مفادير كبيرة نشرت على الارض القوية والضعيفة
فوقبت الثانية وراحت قوة الاولى وكثر محصولها وقد كانت
القادورات والفضلات في المدن الحالية عن الزراع تطرح خارجها
تتراكم حولها وتكثر فيها العفونة تتسبب هوانها فيضر صحة اهْلِها
فلما نشأت سكة الحديد وحففت الاجرة في نقل امثال هذه الاشياء
صارت تؤخذ من المدن تنقل الى بلاد الريف ومحلات الزراعة

فصارت نافعة بعد أن كانت مضرّة وصحّت بها بقاع كثيرة من الأرض كانت قفرة مهجورة غير منزّعة ولا مسكونة فعمرت وعرّبت بالبساتين والأشجار بعد أن كانت لا يرى فيها إلا أرض يابسة كالحة خالية مما يروق العين ويشرح الصدر

وقد كان ما نقل من هذه المادة سكة الحديد إلى المحطة الشرقية من أرض مراسة في سنة واحدة فقط وهي سنة ١٢٨١ ١٥٥٠٠ طونولاته ونقل من طين الزراعة المعروف بالطين الحلو ٢٠٠٠٠٠ طونولاته

فقال الشيخ لو تشبه لنا الأمر أهل بلادى لحصل منه فوائد جليلة وثمرات عظيمة لأهل القرى المصرية فإن احتياجه أرضهم إلى السماد أمر غير خفى ولا مسكر حتى أنهم نقلته وكثرت حاجتهم إليه تراهم يهدمون بيوتهم القديمة ويسمّدون بها أرضهم ويصرفون مصاريف كثيرة لجلب السماد من محلات بعيدة بمشتات عظيمة ومن المعلوم أن مدينة القاهرة المحروسة بسبب كثرة سكانها وما بها من الدواب وإصاف الحيوان يحصل فيها كل سنة من هذه المادة مقدار كبير وكذلك المدن الكبيرة مثل أسكندرية وغيرها من المدن القريبة لسكة الحديد يحصل فيها من ذلك مقدار عظيمة ليس يتنفع بها في شيء فضلاً عن ضررها فلما اتخذت طرق مستحسنة في نقله باحراً قليلة لا تمتعت السكة باحتره وأهل القرى باستعماله في مراعيهم وسلم أهل المدن من ضرره الحاصل من

افساده للهواء بتطاوله على بعضه

فقال الانكليزي لكل شيء وقت ولكل وقت حكم ولا بد ان يأتي زمان يحصل فيه ذلك فان الامور لا تقع دفعة بل تجري على التدرج وكما لسكة الحديد من فائدة غير ذلك ومنها تسهيل من شيء فلا نسي فائدها في مساواة اسعار الاشياء في الجهات المختلفة بينها وقد كانت جهات كثيرة لا تأتي لها ارسال محصولاتها الى بعض البلاد البعيدة ليعجز ثأمن مناسبة فتيسر لها الآن ذلك بواسطة سكك الحديد واستعادت ما حصل لغيرها من الهلاك والثرثرة واقطع بورود محصولات الجهات الى بعضها ما كان يكثر حصوله في الازمان السالفة من القحط وما كان يبعثه من المرض

وقد كان محصول ارض فرنسا من سنة ١٢٢٦ الى سنة ١٢٥٦ هجرية ٨٠٠٠٠ هكتولتر من الحبوب ثم صار يريد بوجود سكك الحديد حتى بلغ في سنة ١٢٥٨ هجرية الى ٩٧٠٠٠ هكتولتر ثم زاد حتى بلغ ١١٦٠٠٠ هكتولتر من هذا انه حصل منها فائدة عظيمة لمحصول الحبوب ورراعتها وزرع بعض اشياء كانت من قبل لا تزرع او كانت محصولاتها قليلة جداً

وقد سلك الحديد كان سفر الحيوانات التي تحتاج للاكل والزراعة صعباً شاقاً محتاجاً الى مصروف كثير فسهل ذلك

بوجودها وعمرت بلاد وقرى كثيرة بما جلب اليها من هذه
الحيوانات اتسعت دائرة رعايتها وكثرت محصولاتها بكثرة المهاد
وزاد عدد الناس فيها زيادة مقدار المحصولات فنمت الثروة
في كثير من النواحي كانت خراباً منذ قرون عديدة وقد بلغ عدد
الحيوانات المقتولة في ارض حواسة سكة الحديد في سنة واحدة
٢٨٧، ٢٤٥ من جميع الاصناف

وهناك بعض جهات معيشة اهلها من الصيد والتمسك
وكانوا قتل سكك الحديد لا يمكن لهم قتل شيء مما يحصل لهم
الى بلاد يتعمقون فيها يبيعونه فكانوا لذلك في فقر مدقع وبؤس
شديد ولما ظهرت سكك الحديد أمكن لهم قتل ذلك الى المدن
العامة والحواسر البعيدة وبيعه ثمن مناسب اتمتعوا به فخلصوا
من شدة العاقبة وحسنت احوالهم

وكان في جهات كثيرة من الارض نواحي غير صالحة للزراعة
فيها السخ و الرمال ومناقع الماء فكانت غير مسكونة ولما مرت
بها سكك الحديد استغرد كثير من الناس على كثير منها فحرقوها
وفعلوا ما يلزم لاصلاحها من التسميد والردم وبحول ذلك حتى
صلحت يمرر عودها واتنعموا بها فخرجت من الخراب الى العارة

وقد تبسر بواسطة هذه السكك للعلماء واصحاب الحرف
والصنائع التقل الى السلاط العديدة والاطلااع على امور كثيرة
امكنهم بها تطبيق القواعد العلمية على العمل ورسومها في ادماجهم

واستحتاج نتائج علمية جديدة كثرت بها الفنون واتسعت العلوم
وهذا فصلاً عن احلاطهم ببعضهم والمناكرة بينهم في امور مهمة
من العلم الى غير ذلك من المزايا العظيمة التي يطول تعدادها
ولا ينتهي نفعها

فلما انتهى الكلام بها الى هذا الموضع كأننا قد وصلاً الى
طبطا وعرف الشيخ واسه رمان الدين قرقاً ما تيسر من القرآن
الكريم واهديا ثوابه الى صاحب المقام بها سيدي احمد البدوي
رضي الله تعالى عنه

المحاضرة الخامسة طبطا

فقال الانكليزي هذا البلد يسمى عدد بعض الناس طبطا
وبعضهم يسميه ططدا ولم اعلم اصل ذلك
فقال الشيخ سمعت من لم يزيد الشهرة في عصرنا بالمعرفة والحكمة
باللسان المصري القدم وإتقانه قراءة وكتابة وفيما ان اصل اسمها
في اللسان المذكور طبطا ططا بين مفتوحين بينها ياء مفتوحة
ايضاً ومعناه في ذلك اللسان بلدة الحمد قال ثم حرقه القبط

وقالوا طندنا بفتح الطاء وسكون النون وكسر الدال وتشديد
 التاء فمن قال طططا يسكون النون هو تخفيف طططا بفتحها وأما
 طندنا هو كما تصرف القسط فيه.

فقال الأنكليزي اني ارى لهذا السيد عند الناس اعتقاداً
 عظيمها وعجه شديدة وتعظيماً كثيراً وإقبالاً على موالده هل
 فيه وبين نيكم سب معلوم او قرابة متصلة ام لا فان كان على
 ذكر ملك شيء من علم ذلك فمن على سيانه

فقال الشيخ نعم اذكر لك ما طلق بنا في وشي في حافظتي
 من ترجمته وبعض خبره ما قرأته في كتب كثيرة ككتاب
 المقرئ وحسن المحاضر للسيوطي والطبقات للشعراني وهذا
 غير الكتب المختصة بترجمته وحكاية مناقبه ككتاب الخواهر السنية
 لعبد الصمد وكتاب يونس المعروف بأربك الصوسي وغير
 ذلك وهذه نفة من ترجمة امره على سبيل الاجمال

هو ابو القتيان الملقب الشريف العلوي سيدي السيد احمد
 البدوي اس علي بن ابراهيم بن محمد بن ابي بكر بن اسماعيل بن
 عمر بن علي بن عثمان بن حسين بن محمد بن موسى بن يحيى بن
 عيسى بن علي الهاذي ابن محمد الخواد بن حسن العسكري بن
 جعفر بن علي الرضا ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ابن
 محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين سبط رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بن الامام علي بن ابي طالب بن عبد

المطلب حد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو ينتهي نسبه عليه
صلى الله عليه وسلم في جده الاقرب عند المطلب بن هاشم
نسب كان عليه من شمس الصبحى

نوراً ومن فلق الصباح عموداً

وكان سلفه كما قيل قد حرجوا من مكة حين قدم اليها
الحجاج بعساكر الشام من طرف عبد الملك بن مروان الاموي
لقتال عبد الله ابن الربيع فعلق الحجاج على بن الربيع وصلبه
وجعل يتسلط على الاشراف فرحل منهم خلق كثير فكان من
رحل الشريف محمد الحواد ابن حس العسكري احد اجداد السيد
الدوي جمع بني عمه ومن يعر عليه من قومه وحرج هم من
مكة فساروا وصاروا يتنقلون من بلد الى بلد حتى دخلوا بلاد المغرب
سنة ٧٣ من الهجرة فاستوطنوا مدينة فاس واحبهم اهلها وتزوجوا
منها واقاموا بها ما شاء الله تعالى وفيها ولد ابراهيم بن محمد المجد
الادنى للسيد وتزوج ناسه ابي السلطان بها وقثد فأولدها علياً
والد السيد وعيره فلما كبر الشريف علي بن ابراهيم تزوج من
أكابر الناس واهل الحسب فاطمة بنت محمد بن احمد بن عبد
الله بن مدين ابن شعيب ام السيد فأولدها ثلاثة اولاد وثلاث
بنات وكان اخر اولادها سيدي احمد الدوي رضي الله عنه
ولد في رفاق الحجر بمدينة فاس سنة ٥٩٦ من الهجرة ثم رحل
به ابوه علي بن ابراهيم مع سائر اولاده واهله سنة ٦٠٣ هجرية

يريد الحجار الحج في طريقه مصر واقام معهم بها مدة ثم سافر بهم
 الى الحجاز فحجوا سنة ٦٠٧ واقاموا بمكة وكان عمر سيدي احمد البدوي
 احدى عشرة سنة وعرف من بين احواله بالبدوي من كثرة ما كان
 يتلمذ وليس لثامين لا يفارقها وكان يعرف في صغره باحد الراهد
 واخذ تحت كنفه اكر احوته حسن بن علي واقراء القرآن العظيم
 فحفظه وجوته ونفقه على مذهب الامام الشافعي محمد بن ادريس
 رضي الله عنه واشتهر في مكة بالشجاعة والفروسية ثم انه حدث
 له حال في نفسه فتغيرت احواله ولزم الصمت والعساة واستمر
 مقياً بمكة الى ان مات ابوه سنة ٦٢٧ هجرية ثم سار منها مع اخيه
 حسن في شهر ربيع الاول سنة ٦٣٣ راحلاً الى العراق ودخل
 بغداد وجال في البلاد ولقي اكر الاقطاب والعلماء العارفين
 ثم عاد اخوه المذكور الى مكة ولحق به هو فقدم مكة
 ثانياً ولزم الصيام والقيام بها الى ان رحل منها الى مصر وبل
 ناحية طيطا في رابع عشر ربيع الاول سنة ٦٣٧ فدخل دار شخص
 من مشايخها يعرف بابه شحيط فصعد الى سطح داره فاقام به
 لا يفارقه لا صبيماً ولا شتاء مدة طويلة واعواماً كثيرة وكان له
 امامان يصليان به وكان انا حين الليل يقرأ القرآن الى الصبح
 ولم يزل هناك الى ان توفي رضي الله عنه يوم الثلاثاء ثاني عشر
 ربيع الاول سنة ٦٧٥ وعمره ٧٩ سنة عَدَدُ جَلِّ قَوْلِنا (الْمَدَد)
 وكان طويلاً غليظ المسافين عمل الدراعين اكحل العينين كبير

الوجه عظيم الوجتين ولونه بين البياض والسمرة وكان في وجهه ثلاث قط من اثر المجدي واحدة في خده الايمن واثنان في الأيسر اقنى الأنف على انفه شامتان من كل ناحية شامة اصغر من العدسة وكان بين عينيه جرح موسى حرقه به ولد اخيه الحسين في الأنف حين كان بمكة في صغره وكان في حياته معظماً معتقداً عند الناس محبواً فيهم مشهوراً في الافاق تعلقوا به ووقار وكان الملك الظاهر ابو الفتح بيبرس البندقدار يعتقد به وبالغ في تعظيمه وكان السيد قد اخذ طريق الصوفية عن الشيخ عبد الجليل بن الشيخ عبد الرحمن البسابوري وكان هذا الشيخ يجمع على اخيه الشريف حسن فلما كبر سيدي احمد جبعه عليه فالتسه خرقه التصوف واحد عليه العهد كما تلقاه عن مشايخه واحداً عن واحد الى اس بن مالك الصحابي رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان ياخذ الشيخ على مراده العهد والبيعة على الطاعة والمتابعة لكتاب الله وسنة رسوله والحمد لله ولرسوله وبأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ويكون له عوناً على العلم مرشداً له في الاعمال والاحلاق وسائر الاحوال فيكون الشيخ للمريد كالربي للطفل والوالد للصالح الشفيق للولد المطيع وقد اتحد سيدي احمد الخرقه الحمراء شعاره وشعار اتباعه وقال لحليته سيدي عبد المتعال اعلم اني اخترت هذه الزاية الحمراء لنفسي في حياتي وبعد مماتي وهي علامة لمن

بمشي علي طريقنا من بعدي فقال له سيدي عبد المتعال فما
 شروط من يحملها قال شرطه ان لا يكذب ولا يأتي بما حشة
 وان يكون خاص الصرع عن محارم الله طاهر الدليل عفيف
 النفس خائفا من الله تعالى عالما بكتابه ملازما للذكر دائم الذكر
 وقد ورد في صحيح الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لس حلة حمراء وورد ايضا انه قدم لواء بني سليم يوم فتح مكة
 على الالوية وكان احمر واما خلفاؤه وتلامذته واصحابه الدين
 اهتموا به على السطح فسموا السطوحية فكثير جدا اكرم حليته
 الشيخ عبد المتعال وهو صاحب الثوب الاحمر الذي يلبسه الخليفة
 في المولد في كل سنة وهو الذي بنى بمقام سيدي احمد الدوي
 المنارة ورب الساط وتخلع بعد السيد فشيده اركان البيت
 وقصده الساس للزيارة من الافطار العبيدة الى ان توفي يوم
 السبت الموافق لعشرين خلت من شهر ذي الحجة سنة ٧٢٢ هجرية
 ودفن قريبا من قبة السيد ومنهم الشيخ علي الريدني وهو من
 اجل تلامذته ويقال انه كان قد ارسل اليه هدية من طرف
 سلطان وقته فماال قلبه الى الشيخ واحبه ولزم مجلسه واقطع اليه
 فلما مات دفن تجاهه وكان يقول لما اجمعت سيدي احمد
 رآجه في عيني اعظم حرمة من السلطان ولما نزل السلطان
 لسيدي احمد يزوره وجدني في خدمته فقال لي هنيئا لك يا علي
 وتلامذته كثير جدا يطول تعدادهم واجتمع به من العلماء خلق

كثير منهم العلامة الشهير قاضي القضاة شيخ الاسلام تقي الدين
بن دقيق العيد سمع شهرته وكثرة اعتقاد الناس فيه فمضى اليه وصعد
اليه السطح فوجد رجلاً مغطى بثوب كالمغشي عليه فلما رآه قال
في نفسه سبحان الله ما هذا الاعتقاد من الناس في هذا الرجل
وما هذه الشهرة وليس فيه ما يوجب ذلك وما هو الا محنون
من المحابين فرفع اليه السيد رأسه وكشف وجهه وانشد
مجاين الا اب سر حوهم

عزيز على اغنايه يسجد العقل

فلما كلمه عرف الشيخ قدره وعظمه واعذر اليه وقبل يده
ويحكى ان ابن دقيق العيد قبل ان يجمع به ارسل الى
الشيخ عبد العزيز الدبريني يقول له امتحن لي هذا الرجل الذي
اشتغل الناس بامره واسأله فان وحدته من اهل العلم والفضل
فاطلب لي منه الدعاء وارسل عرفني باحواله فمضى سيدي عبد
العزيز الى ططا وكان المولي بها القاضي علاء الدين وكان
خليفة المحكم العزيز فمضى اليه الشيخ عبد العزيز واحبره وسأل عن
عمل السيد فوصف له فمضى اليه واستأذن الشيخ عبد المتعال فانذن
له فصعد الى السيد وسلم عليه فرد عليه السلام وسأله ما شاء الله
من المسائل فاجاب عنها باحسن جواب وقال سلني عما شئت
فاني احييك فعظم في عيه واعذره وارسل الى قاضي القضاة
بعله وكان الشيخ عبد العزيز بعد ذلك اذا سئل عن السيد يقول

هو بجر لا يدرك له قرار وما تقل عن السيد البدوي يرويه عن
الحسن المصري قال ست مسائل من جواهر الحكمة اولها من
لم يكن عنده علم لم تكن له قيمة في الدنيا ولا في الآخرة الثانية
من لم يكن عنده حلم لم ينفعه علمه الثالثة من لم يكن عنده معاش
لم يكن له في ماله نصيب الرابعة من لم يكن عنده شفقة على
عباد الله لم يكن له شعاعة عند الله تعالى الخامسة من لم يكن
عنده صبر ليس له في الامور سلامة السادسة من لم يكن عنده
تقوى ليس له منزلة عند الله تعالى قال في الجواهر السنية ولما
توفي السيد رضي الله عنه عظموا قبره وسوا عليه وسننوه وقامر
بامر تلامذته من بعده صاحبه الشيخ عبد المتعال فسمع طيبة
السيد وعمر بعده طويلاً نحو سنة ٥٨ واشتهر اتباعه بالسطوحية
وحدث لم يعد مدية عمل المولد البوي عنده وصار يوماً مشهوداً
يقصد من الواحي العبيدة (انتهى)

المحاضرة التاسعة الموالد والاعیاد والمآتم

ويؤخذ من بعضه بالمولد السوي ان اصل المولد المعتاد عمله
للسيد البدوي مولد للنبي صلى الله عليه وسلم كان يعمل عنده وقد

كانت وفاة السيد رضي الله عنه في ١٢ ربيع الأول كما مر وهو وقت عمل المولد الشريف مولد النبي صلى الله عليه وسلم وسمعت من بعض المشايخ في أصل عمل الموالد للسيد أن السيد لما توفي كان كثير من تلامذته متفرقين في البلاد لأنه كان في حياته أبا حواء المرید بواسطة الشيخ عبد المتعال نظر إليه وأمره أن يقيم في بلدة من البلاد يعينها له فلما سمعوا بوفاته حضروا بأتباعهم ومن معهم إلى طسطا ليعروا فيه حليته الشيخ عبد المتعال وكانت طنطا وقتئذ قرية صغيرة فلم تكتسب هذه التجموع فصرخوا خيامهم خارجها حيث يعمل المولد الكبير وأقاموا في تلك الخيام ثلاثة أيام فلما أرادوا الرجول شيعهم الشيخ عبد المتعال وودعهم فقالوا له هذه عادة مستمرة أن شاء الله تعالى بحضرها ما كل عام في هذا الميعاد إلى ما شاء الله فلما جاء العام القابل حضروا للميعاد ثم حضروا في الذي بعده واستمرت هذه العادة فشاء من ذلك المولد الكبير وكان في الأصل ثلاثة أيام وراود بعد ذلك إلى أن وصل إلى ما هو عليه الآن كما أن مشاء ركب الخليفة الذي يكون في آخر المولد هو ركوب الخليفة الشيخ عبد المتعال مع جماعته لتوديع هؤلاء المشايخ ثم صار يزداد فيه إلى أن وصل إلى ما وصل ثم أن أحد المشايخ المتبعين إلى السيد وهو الشيخ الشرسلاوي حضر مرة في غير وقت المولد إلى طسطا لرؤية السيد مع تلامذته وجماعته فأقام بها بعض ليال كان يشغلها هو وجماعته بالادكار والعبادات ومن عادة

الفقراء واصحاب الطرق انهم متى وقع لهم الشيء مرة اتخذوه عادة
 وواطبوا عليه فاتخذ الشيخ الشريلائي المذكور ذلك عادة عاودها
 بعد ذلك سنة بعد سنة فاستمرت ونشاء عنها المولد الصغير وكان
 يعرف بالمولد الشريلائي باسم هذا الشيخ وكذلك كان منشاء المولد
 الرجعي فان بعض المشايخ وهو الشيخ الرجعي يداله ان يحدد العامة
 الموضوع على مقام السيد الدوي فاتخذ لها مقداراً كافياً من
 الشاش المصنوع باللون الاحضر وحصره مع حمأته ومريديه الى
 طسطا وحملوا به في ركب وموكب من المشايخ والمريدين والفقراء
 الى مقام السيد فلقوا الشاش الحديد في محل التديم واتخذوا ذلك
 عادة استمرت كذلك فشاء عنها المولد المعروف بالرجعي باسم
 الشيخ المذكور ويعرف ايضاً بمولد لف العامة تحدد فيه العامة
 المذكورة في كل عام ويوثي بالشاش الذي يتخذ لها في ركب عظيم
 يوصل به الى المقام هكذا كان منشاء هذه الموالد فكانت تكرر كل
 سنة في الميعاد الذي احدثت فيه وقررت مواعيدها باعتبار الشهور
 القبطية لا العربية لكي لا يتغير ميعاد كل منها عن وقته من
 فصول السنة رعاية لاوقات الليل والري حتى لا يقع المولد في
 وقت قلة الماء هلك الجمة او كثرت وابعار الارض به للري ولتل
 هذه الاسباب قدمت واخرت مواعيدها في بعض الاوقات
 تنبيهات واوامر من الحكومة رعاية لمتنضيات المصالح والاحوال
 والحاجي عليه الاب ان يكون المولد الكبير في اول شهر مسري

والمولد الصغير في أول شهر برمودة والمولد الرجبي قبل المولد الصغير بمائة يوم ولا يكون في هذا المولد ما يكون في غيره من البيع والشراء هو مولد مختصر بالنسبة لغيره كما يعرفه من رأى هذه الموالد ولا أريد أن أطيل عليك بصفتها ووصف ما يكون فيها فلعلمك رايها أو بعضها في أثناء إقامتك هذه البلاد

فقال الإنكليزي نعم حصرت مولد السيد غير مرة وشاهدت ما يكون فيه من كثرة البيع والشراء وفرط الرحام وإجماع الناس وتواردهم من الأفاق فرأيت امرأة عظيماً وموسماً جسيماً فكتبت أتذكره ما كان لقدماء المصريين مثل ذلك من عوائدهم في أعيادهم وموالمهم لأسباب ركة الحليفة التي تكون في أحر المولد فانه تلك العوائد أشبهه بالعادات الشرعية والأمور الدينية الإسلامية وقد كان لقدماء المصريين مثل هذه الموالد أعياد ومواسم كثيرة متنوعة لم فيها عوائد مختلفة لم يذكرها أحد من قدماء المؤرخين إلا هيردوتس التهبر الذي ورد على مصر في قديم الأيام فتكلم في موثقاته على بعض أحوالها وعادات أهلها وتكلم في ضمن ذلك على بعض هذه المواسم وما كان يعمل فيها وإما غيره من المؤرخين السافيين فلم يذكروا على شيء من ذلك ولهذا لم يصلنا من علم أحوالها إلا القليل والمواسم التي تكلم عليها المؤرخ المذكور كانت تعمل في مدن متفرقة في جهات مصر من

البلاد البحرية والقلبية وكانت تلك المواسم دينية وسياسية وكان يحضر في كل منها الملك أو من يوب عنه من عائلته وكذا الملكة وخلق كثير من الناس فهي أشبه بالأسواق التي كانت للرومانيين أخذوها عن اليونان وأخذها اليونان عن المصريين فالي المصريون ينسب أحداثها كما ينسب إليهم أحداث كثير من الأمور النافعة للأمم كما أعاده المورخ المذكور ومن المدن التي كان يحتفل فيها لهذه المواسم مدينة بوناست التي أثيرها الآن تل سطة قرب مدينة الرقاريق من إقليم الشرقية ومدينة سايس وهي الآن صا الحجر بإقليم الغربية ومدينة هيليوبوليس التي تسمى الآن عين شمس (وهي المطرية) ومدينة بوتو وأثيرها الآن تلال موحودة في ساحل البحر الأحمر ما يلي بحيرة البرلس ومدينة كان اسمها نارميس والآن لا يعلم محلها ولا أين كانت من الجهات البحرية أو القلبية

وكان مجتمع في كل من هذه المواسم خلق كثير ربما كان أكثر مما مجتمع الآن في مولد السيد وكان لم غير هذه مواسم أخرى كبيرة تعمل على رأس كل ثلاثين سنة مرة وكان يحصل لمن تقع في رمه من الرعاية فخر عظيم وصيت كبير سببها وكان يصدر عنهم في هذه المواسم كثير من الفحش والمجون والمسكرات وجميع هذه المواسم كانت مرتبطة بأوقات الزراعة وحركة الشمس في منطقة الخروج وبها تضمن ثلاثة فصول الزراعة في كل

ولول اعيادهم كان عند شروق كوكب الشعرى في اشعة الشمس ووقته في اول شهر توت وهو اول شهورهم وفيه كانت تدبج سنانة قرباناً الى (ايزيس) المقدسة عديم ومحرج القسيس من معبد مدينة ابو هياكل مقدسهم محمولة في هودج على اعناق جماعة من القسس يختلف عددهم من اثني عشر الى ستة عشر بالنسبة لثقل الهيكل وهكذا كان يحصل في جميع المواسم

وفي هذا الشهر يعبد بعد ان يصير القديراً بعض ايام كان يعمل موسم طوط ويقال انه ادريس عليه السلام وان هذا الشهر تنهر واسمه ماحود من اسمه

وكان من العادة في هذا الموسم اكل العبن وشرب العسل ويقال بعد اكله ما احلى الحق

قال الشيخ الشيء بالشيء يذكر قد كان لبط مصر بعد فداء المصريين في هذا الشهر عيد عظيم وموسم كبير من مواسم لهم ومواقيت اسهم وهو عيد الورور كانوا يشعلون فيه البيران ويرش بعضهم بعضاً بالماء واستمر ذلك حارياً في مدد الملوك الاسلاميين ايضاً وكان يبيع احياناً ويرخص فيه احياناً وكان للحفلاء الفاطميين اعشاء به ورسوم جارية فيه . قال القاضي الفاضل في متحدثات سنة ٥٨٤ يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم النور القسطنطيني وهو مستهل توت وتوت اول سنتهم وقد كان بمصر في الايام الماضية والدولة الحالية (يعني دولة الفاطميين) من مواسم بطالاتهم

وموافقت ضلالتهم فكانت المتكرات ظاهرة به والنواحي صريحة فيه ويركب فيه أمير موسوم بأمير الوروز ومعه جمع كثير وجلس على الناس في طلب رسم رتبة ويرسم على دور الأكابر بالمحمل الكبار ويكتب مائشير ويهدب مرسمين كل ذلك يخرج يخرج التفاؤل ويقع بالسور من الهبات ويجمع المغنون والماسقات تحت قصر اللؤلؤة (أحد قصور الخليفة) بحيث يشاهد الخليفة وبأيديهم الملاهي وترتفع الاصوات ويشرب الخمر والمر شراباً ظاهراً بينهم وفي الطرقات ويتراش الناس بالماء . وبالماء والخمر . وبالماء مروحاً بالاقذار . وإن غلط مستور وخرج من بينه لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ويستحق محرمته فاما أن يهدي نفسه وإما أن ينفذ ولم يجر الحال على هذا ولكن قد رش الماء في الحارات وقد احيا المتكرات في الدور ارباب الحسارات وقال في تجديدات سنة ٥٩٣ وجرى الامر في الوروز على العادة من رش الماء واستخدم فيه هذا العام الترام بالمص والتصاعع بالانطاع وانقطع الناس عن التصرف ومن ظفر به في الطريق رش بمياه محسة وخرق به (اه) كلامه وما زال يوم الوروز يعمل فيه ما ذكر من الترام بالماء والتصاعع بالخلود وغيرها الى ان كانت اعوام نضع وثابين وسبعائة وامر الدولة بديار مصر وتديرها الى الامير الكبير رقوق قل ان يجلس على سرير الملك وجسى بالسلطان مع من لعب الوروز وهدد من لعبه بالعقوبة فانكف الناس عن اللعب في القاهرة

وصارط يعملون شيئاً من ذلك في الخيلجانات والبرك ونحوها من مواضع التنزه بعد ما كانت أسواق القاهرة تمتلئ في يوم النورور من البيع والشراء وتعاطى الناس فيه من اللهو واللعب ما يخرجون به عن حد الحياء والاحتشمة الى الغاية من العجور والعمور وقما انتهى يوم نورور الأ وقتل فيه قتيل او أكثر ثم نطل ذلك وقال بعضهم يذكر ما كان يحصل في النورور من اشعال النار ورش الماء

كيف انتهك بالورور يا ملي
وكل ما فيه يحكي واحة
تارة كليب السار في كدي
وتارة كتوالي دمتي فيه

وكان للقط في هذا الشهر عيد آخر وهو عيد الصليب يعمل في سابع عشره وسبب حدوثه عدم ان هيلانة ام قسطنطين كانت قد سارت الى بيت المقدس في طلب اثار المسيح عليه السلام وباء الكنايس واقامة شعائر الصراية فيقال ان الاسقف مقاريوس دنا على حشة رعم ان المسيح صلب عليها وكان ذلك في اليوم المذكور فاتحدوا عيداً وسموه عيد الصليب وكان لهذا العيد بمصر موسم عظيم يخرج الناس فيه الى نبي وائل بظاهر مسطاط مصر ويظهرون في ذلك اليوم بالمكرات من انواع الهرمات ويرلم فيه ما يجاور الحد لما قدمت الدولة العاطمية الى

ديار مصر وسوا القاهرة واستوطنوها وكانت حلقة العزيز بالله امر في يوم عيد الصليب سنة ٢٨١ مع الناس من عادة الخروج الى بني وائل ثم بطلت تلك العادة وكان للعلماء الفاطميين مرد عناية باول ليالي السنة ليلة اول المحرم في كل عام وكان لم باول يوم من السنة ايضاً عناية كبيرة فيه يركب الخليفة ربه المنعم وهيبته العظيمة وتغرق فيه الدنانير ويغرق من السعوط الذي يعمل بالقصر لاعيان ارباب الخدم من ارباب السيوف والاقلام تقرير مرتب خرفان شواء وربادى طعام وحامات حلواء وخمر وقطع منقوخة من سكر ولرر بلن وسكر فيتناول الناس من ذلك ما يحل وصيه ويبسطون بما يصل اليهم من تأمل في هذه الاعياد وحدها اشبه شيء باعياد قدماء المصريين

قال الانكليزي نعم وربما كان بعضها مأخوذاً منها ومن حملة اعياد قدماء المصريين عيد كان يعمل في سادس يوم من شهر ربه وهو عيد حمل ايزيس بولدها هارنوكرات يشيرون بذلك الى وضع بدور الررع في الارض بعد برول ماء النيل فيها

وفي هذا الموسم كان يوضع في عتق صورة ايزيس طلسم يحموه الصوت الصحيح على قول وكلمة الحق على قول آخر وبعد هذا الموسم كان يعمل في الثامن والعشرين من شهر ربه المذكور موسم عصا الشمس وكانوا يصون بذلك تقدم الشمس

في العر وشخص حرارتها وضعف قوتها ولذلك جعلوها كاهها
 احتاجت الى عصا تتوكأ عليها وكان يعمل في هذا الموسم بمركب
 تحمل فيه صورة عجلة صغيرة يدورون بها حول المعبد سبع
 مرات وكانوا يقولون بذلك ان ايريس تبحث على حثة اورريس
 زوجها واعظم مواسم هذا الشهر موسم (امون را) وكان يعمل
 في مدينة نارميس في ثامن عشر الشهر وكان من عاداتهم فيه
 ان القسس في الليلة المتقدمة عليه تاحد هيكل قديسهم وتضعه
 في ررح مذهب في موضع مقدس لم قريب من المعبد وفي العد
 يقربون القرابين وبعد الفراغ منها قرب روال الشمس يقيم بعض
 القسس عند الهيكل ويقومون عند باب المعبد ويأيدهم العصي
 والمساوق لتصد مع ادخال الهيكل المذكور في المعبد فاذا جاء
 الوقت المحدود حمل القسس الهيكل واحضروه الى الباب ومعهم
 حلق كثير بالعصي والمساوق لادخاله المعبد برغم الواقفين به
 لمنعهم فاذا حادوا وحاولوا باب المعبد مقلداً فيقع بينهم وبين من به
 من القسس وغيرهم مصارعة وقتال كثير ويخرج فيه كثير من
 الناس ويسيل دمهم ولا ينقطع القتال من بينهم الا بدخول
 الهيكل في المعبد واستقراره به في مكانه وزعمت القسس انه لم
 يكن يحصل لاحد صرر من تلك الجروح كما قتله هيردوط
 المؤرخ

وكان المصريون يشبهون هذه الاحوال فيما يرمونه الى ان

هوروس بن ايريس اراد الدخول على امه ليرى بها فمتعه حراسها
 عن مرآته فجميع احبائه واصحابه حتى يعلمهم ويصل الى عرضه
 وسر ذلك هو ان حرارة الشمس المعبر عنها هوروس تريد ان
 تدخل الارض المزروعة وهي المعبر عنها بايريس لتخصبها وفي
 سابع عشر شهر هاتور كان يعمل عيد وفوق اورريس في قبضة
 تيفون عدوه والثاني في الشهر ولذا كان هذا اليوم عدهم معدوداً
 من ايام الحس وفيه يكون ماء النيل قد انخفض وانحصر عن
 ارض الزراعة وانحصر في محراه بين حافته وكانت مدة هذا
 الموسم اربعة ايام كان فيها المصريون يدورون بشور قرويه
 مدهمة وعلى طهر قطعة قماش من القطن او الكتان مصبوغة
 باللون الاسود

فكانوا يشيرون بالشور الى اورريس ونقطة القماش المذكورة
 الى ارض مصر لان لوها بعد انحسار النيل عنها يكون اسود
 وكان المصريون في هذا الموسم يطهرون الحرن والكندر
 اولاً لنقص النيل وثانياً لغلبة الريح الجنوبية وهي المكثي عنها
 فيكون عدم على الريح الشمالية في ذلك الوقت وثالثاً لتغير طول
 النهار بطول الليل ورابعاً لتجرد الارض من الحصرة
 وكان الموسم المذكور يعمل في المدن المعروفة الان باسم بوسيد
 فاما كان فيها معابد اورريس ومن اسمه اخذ اسم هذه المدن
 بعض تحريف وتعبير

وكان الحزن في هذا الموسم عمومياً عند النساء والرجال لحزن
ايريس على روحها اورريس وكانوا يكثرون فيه الصلاة والصيام
والقران فيه من محول القروس عادتهم ان لا يؤخذ من القران
بعد دجحه الا الحمد والامعاء والحمدان والكتمان والرقعة ولحم الكمل
واما ما عدا ذلك من الحنة فبلا من الدقيق والعسل مع الريت
والنيس والافاويه والعنقاير الطيبة الرائحة وتحرق بالنار ويريدوها
اشتعالاً نضب كثير من الريت عليها

وفي ذلك الوقت تكثر النساء من الصباح والوايح والبكاء
والعويل وبلطن وجوههن وصدورهن وقطعن شعورهن وبعد
ذلك يأكل الناس ما احدثوا من لحوم القرابين كما مر ذكره
ويحرقون

وكان يحضر هذا الموسم بعض من مصر من اليونان ويعلمون
اعمالاً فطيرة وعادة شبيعة وهي ان يخرج الرجال بعضهم بعضاً
جروحاً كبيرة وتنشق النساء المحادس بحجارة حادة حتى يخرج الدم
اطهاراً اشد الحزن والحرع ثم انطل المصريون هذه العادة قبل
حروج العبرانيين فان موسى عليه السلام كان قد مع ذلك
وحرمه على قومه والطاهر ان هذه العادة قديمة فانها وجدت عند
اهل امريكا والهند ايضاً

وفي الثالث والعشرين من الشهر المذكور كان موسم دمن
اورريس يشيرون بذلك الى احساس الليل في محراه ومبدا زراعة

المخريف

وفي اليوم الاول من شهر كيهك كان يعمل موسم عظيم في
مدينة اسنا لمقدسهم بها

ومن رسومهم في هذا الموسم ان يظهروا جميع اواني المعد
وخلية ويقرروا بالمحرم والبيد وغيره من المشروبات وبالأور
ومحول القروشائر المرووعات جميعها على اختلاف انواعها

فقال الشيخ هذا الشهر كان فيه للقبط عيد عظيم يسمونه
عيد الميلاد ويقولون انه اليوم الذي ولد فيه المسيح عليه السلام
وكان يعمل بمصر في التاسع والعشرين من كيهك فيجئون ليلته
وستهم فيه كثرة الوقود بالكائس ويريئها وكان يرقى فيه ايام
الدولة العاطية ارباب الرسوم من الامراء والكتاب وغيرهم
الحامات من الحلاوة القاهرية وكذا الحلاب والراييه والسكك
وكان يباع في هذا الموسم من الشموع المزهرة بالاصباغ الملحبة والتمثيل
الديعة باموال لا تنحصر فلا يبقى احد من الناس اعلام وادنام
حتى يشتري من ذلك لاولاده واهله وكانوا يسمونها العوانيس
واحدها فانوس ويعلقون منها في الاسواق بالخوانيت شيئاً يخرج
عن الحد في الكثرة والملاحة ويتنافس الناس في المغالة في
اثامها حتى ربما بلغ مصروف الواحدة منها الخمسمائة والالف
درهم ثم تطل ذلك في حلة ما تطل من عوائد الترف كما تطلت
رسوم قدماء المصريين فهل تعلم من اعيادهم القديمة غير ما

دكرته

قال الانكليزي كانت لم اعياد ومواسم كثيرة منها موسم كان يعمل في الساع من شهر طوبه وهو مولد رجوع اريس من بلاد فلسطين وكانت القرابين فيه من فطير يرسم فوقه صورة فرس البحر مسلسلاً في القيود وكان يرخص لاهل مدينة عين شمس في اكل لحم التماسيح في هذا اليوم خاصة

وبعد هذا الموسم بايام كان يعمل موسم لتعويض مداكير اوزريس بثلها من الخشب والظاهر اهم كانوا يشيرون بذلك الى غرس الاشجار فانه يكون بعد هبوط النيل

وفي تاسع عشر هذا الشهر كان يخذ في مدينة صا الحجر عيد كبير مشهور بالوقفة التي كانت تعمل فيه وكان المصريون يشيرون بذلك الى روال الظلمة التي كانت عامة للارض بموت اوزريس وكان هذا العيد معتاداً في بلاد الصين والعم ايضا كما كان عند المصريين

وكان لم في هذا الشهر موسم اخر لتجدد تحسد اوزريس فكان الشمس في الليل يدهنون الى مصب النيل في البحر في موكب عظيم وخلق كثير حاملين هيكل اوزريس مربياً بجميع ما يمكن لم من انواع الرينة والحلى وفيه قدح صغير من الذهب يملئونه من النيل في وقت معين وعند ذلك يقول التسييس وجميع الحاضرين بصوت عال ها هو جسد اوزريس قد عثرنا به

وكأهم كانوا يشيرون بذلك الى رجوع الشمس وكان يحد كل واحد منهم صورة هلال يصنعه من الطين معوثاً بآء الليل محلوفاً بعض الاشياء الركية

فقال الشيخ قد ذكرت بما ذكر ما حكاه مؤرخو الاسلام من عوائد القبط في عيد العطاس وما كان يقع فيه من الوقدة وغيرها وكان يعمل بمصر في حادي عشر هذا الشهر قال المسعودي وليلة العطاس بمصر شان عظيم عداها لا يامر الناس فيها وهي ليلة الحادي عشر من طوبه قال ولقد حضرت سنة ٢٢٠ ليلة العطاس بمصر والا حشيد محمد بن طنج امير مصر في داره المعروفة بالخنارة في الحزينة الراكة لليل والليل بطوفها وقد امر فاسرج في جانب الحرية وحاب العسقاط ألف مشعل غير ما اسرج اهل مصر من المشاعل والنشع وقد حضر شاطيء الليل الوف من المسلمين ومن المصارى منهم في الزواريق ومنهم في الدور الدانية من الليل ومنهم على سائر الشطوط لا يذكرون كل ما يمكنهم اطهاره من المأكول والمشارب والملابس واللات الذهب والفضة والخوهر والملاهي والعزف والتصف وهي احسن ليلة تكون بمصر واشملها سروراً ولا تغلق فيها الدروب ويغطس اكثرهم في الليل ويعتقدون ان ذلك امان من المرض (انتهى)

وكانت هذه العادة في زمن الملوك السالفة يرخص فيها خبثاً

ونفع حياً

قال المسيحي في تاريخه من حوادث سنة ٢٦٧ مع الصاري
من اظهار ما كانوا يفعلونه في الغطاس من الاجماع ونزول الماء
واظهار الملائكة ونودي ان من عمل ذلك في من المحصرة

وقال في سنة ٢٨٨ كان الغطاس فضرت الحيام والمضارب
والاسرة في عدة مواضع بشاطئ النيل وبصت اسرة للرئيس مهد
من ارهم الصرافي كاتب الاستاد رجوان واوقدت له التتموع
والمشاعل وحضر المغنون والملمون وجلس مع اهله يشرب الى ان
كان وقت الغطاس يعطس وانصرف

وقال في سنة ١٤٠١ وفي ثامن عشر حمادى الاولى وهو عاشر
طوبه مع الصاري من الغطاس فلم يعطس احد منهم في البحر ا
وقال في حوادث سنة ١٤١٥ وفي ليلة الاربعاء رابع دي
القعنة كان غطاس الصاري محرق الرسم من الناس في شراء
الواكه والصان وغيره ونزل امير المؤمنين الظاهر لقصر حده
العريز بالله في مصر لظفر الغطاس ومعه الحرم ونودي ان لا يخلط
المسلمون مع الصاري عند برولم في النيل وامر بان توقد النار
والمشاعل في الليل وكان وقيداً كثيراً وحضر الرهان والتسوس
بالسلطان والبيران فتمسوا هناك طويلاً الى ان غطسوا فين كثير
من هذه الرسوم ورسوم القدماء في اعيادهم ومواسمهم مناسبة
ظاهرة

قال الانكليزي نعم وكان من مواسم قدام المصريين عيد
مشاهدة ايريس لاورريس وكان في شهر امشير فان هذا الشهر
وقت ظهور الرعاة الخريجة فوق وجه الارض
وكان لم في شهر رموده عدة اعياد احدها عيد تطهير ايريس
قل الذر

الثاني عيد الحصب وكان وقته في سادس عشر هذا الشهر
وفي هذا اليوم كان يجعل في هيكل اورريس مذاكير مصوغة من
الحشب على صورة اعضاء الناسل للالسان وكانت احياناً تصنع
من غير الحشب

وفي الموكب الذي يعمل في هذا الموسم كانت النساء تحمل
مثل ذلك وتدور به في الارقه

وفي العد من اليوم المذكور عيد دخول اورريس في القمر
يعنون بذلك اجتماع الشمس والقمر عند الاعتدال وكان المصريون
يسمون القمر الديا

الثالث في ثامن عشر الشهر المذكور وهو موسم ولادة

هوروس

الرابع موسم قدبستهم بيت في مدينة بوناست ومحلها الان
تل بسطه واصل هذا الاسم بوناست وهو احد اسماء نيت المذكورة
ولها اسماء والقباب كثيرة منها هذا ومنها ايريس وديان ايضاً والظاهر
انها هي دميانه او حميانه التي يعمل لها الى الان في جهة البرية

المولد المشهور في شهر رمودة المذكور وأن لفظ حميائه أو نجبيائه
أصله لفظ ديمان الساق ذكره وهذا المولد الناقص إلى الآن هو مولد
بيت القديم وهو عيد حصاد الرروع وكان يبدأ به في خامس يوم
من رموده ويضجع له خلق كثير من النساء والرجال كما يكون
الآن في مولد حميائه

وكان قدماء المصريين يأتون هذا المولد من سائر أقاليم
مصر في مراكب يكترونها لذلك ويكون النساء مع الرجال في
المراكب ومعهم الطبول والدعوف والمراير وغير ذلك ويكثرون
في طريقتهم العسا والرقص والمغنى وكلما مروا بلدة خاطب من في
المركب من النساء كل من رأيه في الدرمنة بالفاظ قبيحة وكلام
فظيح وبصحك المجمع من ذلك وكان من في الدرمنة بعد
أن يرقصن ويغنين ويتكلمن بما يحظر سألن من المصانع يرمعن
ديونهن ويظهرن من أحسامهن ما لا يجوز الحياء ذكره ويتصرفن
وكذلك كان فعلهن عند زيارتهن للثور ايس وكان الرجال
لا يستمعون منهم هذه الأمور المغايرة للأدب والحياء وكان
يستهلك في هذا الموسم من البز قدر ما يستهلك في باقي أيام
السنة كلها وكان يجمع فيه قريب من سبعة آلاف من الناس
على ما حكاه هيردوت المورخ وكانوا جميعاً يفعلون ما أرادوا من
اللذات والشهوات ولا حرج عليهم فيما كانوا يأتونه وقتئذ بها
فسقوا أو فحروا أو خرجوا عن جميع حدود الأدب

هال الشيخ كأن ما كان معاذاً في هذه الأعياد من الفخس
والتهتك سرى الى الأعصار الأخيرة فجرى فيها نظيره من المنكرات
واللوثات فقد كان يحصل في القرون الماضية في الشهر الذي
يملو هذا موسم كبير يكون فيه شيء كثير من ذلك وهو موسم عيد
الشهيد وكان يعمل بمصر في ثامن شمس القنطري

وكانوا يرعون أن الليل بمصر لا يزيد في كل سنة حتى
يلقي المصري فيه ثابوتا من خشب فيه اصبع من اصابع اسلافهم
الموتى ويكون ذلك اليوم عيداً ترحل اليه المصري من جميع
القرى ويركبون فيه الحبل ويلعبون عليها ويخرج عامة أهل
القاهرة ومصر على اختلاف طبقاتهم ويصون الحميم على شطوط
اليل وفي الجزائر ولا يتي مغر ولا معية ولا صاحب لهو ولا
رب ملعوب ولا نغي ولا محنت ولا ماحن ولا خليع ولا طانك
ولا فاسق الا ويخرج لهذا العيد فيجتمع عالم كبير لا يحصيه الا
حافهم وتصرف اموال لا تحصر ويحاهر هناك بما لا يحصى من
المعاصي والفسوق وتورقن وتقتل اناس ويبيع من الخمر خاصة
في ذلك اليوم ما تريد قبته على مائة الف درهم وكاب اجماع
الناس لعيد الشهيد دائماً ساحية شبرى من صواحي القاهرة وكان اعتماد
فلاحى شبرى دائماً في وفاة الخراج على ما يبيعونه من الخمر في
عيد الشهيد ولم يزل الحال كذلك الى سنة ١٢٧٢ فبعه الأمير
بيبرس الجاشنكير وشدد به معه وكان عنده رجل كاتب من

القط يعرف بالناج من سعيد الدولة قد احتوى على عقله
واستولى على جميع اموره فمشت اليه القط في ذلك فتكلم مع
مخدومه بيبرس وقال له متى لم يعمل العيد لم يطلع الليل انذا
ويحرب اقليم مصر ويحود ذلك من التمويه وتسبق المكسر فثبت
بيبرس واصر على رأيه واستمر في معه وقال للكاتب المذكور
ان كان الليل لا يطلع الا بهذا الاصع فلا يطلع وان كان الله
سبحانه هو المتصرف فيه يطلع فطل العبد من تلك السنة ولم
يرل منقطعاً مدة ست وثلاثين سنة فلما كانت سنة ٧٣٨ وعمر
الملك الناصر محمد بن قلاوون المحسري بجر الليل ليرى قوة
التيار عن بر القاهرة الى ناحية البحيرة فطلب منه الامير بلغا
الجبائي والامير الطسعا المارديني ان يجرحا الى الصيد ويعيا
مدة فلم تطب معه بذلك لشدة عرامه بهما وتمتلكه في حهما
واراد صرفهما عن السعرة فقال لهما نحن نعيد عمل عيد الشهيد
فيكون تفرحكما عليه ابره من حروحا الى الصيد وكان قد
قرب اوان العيد المذكور فاعاده في وقته واجتمع له الناس من
كل جهة وتحاوروا بانواع المكرات توسعاً حرج عن الحد
وعم الناس منهم ما لا يمكن وصفه واستمر عمله بعد ذلك الى سنة
٧٥٥ مع وقرر انطاله وحرج المحاحب والامير علاء الدين علي
بن الكوراني والي القاهرة الى ناحية شري هدمت كبيتها
واحد منها الاصع في صدوق واحصر الى الملك الصالح واحرق

بين يديه في الميدان ودري رماده في البحر حتى لا يأخذه الصاري
فطل عيد الشهيد من وقتئذ وانقطعت تلك العادة التي ذكرني
بها ما قد حكيت من رسوم القدماء فان الحديث ذو شجون
والكلام يجر بعضه بعضاً فارجوك ان تتم لي ما تعلم من هذه
العادات والاعباد فاني ما سمعت بها ولا طئنت اهلها كانت معتادة
في تلك الايام العتيقة

قال الانكليزي كان لم في هذا الشهر اعني شهر شنس عيد
حمل ايريس هربوكرات وكان لم في شهر نوته عيد يقربون فيه
بطير مرسوم عليه صورة حمار مسلسل يشيرون بذلك الى تعلق
اورريس على تبعون والعادة ان اهداء البيل في الريادة يكون في
هذا الشهر فكانوا يرعون ان ريادة ماء البيل في هذا الشهر انما
هي ما سكنه ايريس من الدموع في بكائها على اورريس روحها
وهذا العيد هو الذي ذكره هيرودوط المورخ انه مولد الشمس الذي
كان يعمل في مدينة عين شمس فاه في هذا الاوان يحصل
الانقلاب الصيفي وهو عبارة عن اهداء الشمس في النزول بعد
انتهائها في الصعود وقد حافظ القسط على عادة الاحتمال لليلة
النقطة التي تكون في الليلة الثانية عشرة من هذا الشهر

وكان لم موسم في شهر مسرى وهو مولد هربوكرات وكان
يعتبر عدمه للسكوت وكانت اثارته حلقة صغيرة توضع على الفم
ولعل هذا العيد هو عيد وفاء البيل ومن عاداتهم في هذا الشهر

قتل كلاب شقرو كان المصريين والرومانيون واليونان يتقربون
 بذلك الى كوكب الشعرى في اليوم الثاني من ممري وكان لم
 عبد كبير يعمل في مدينة بوتو ولكن سكت عنه المؤرخون ولم
 يبيحوا وقته ولما ذكروا انه كان لاورريس وايريس ابوتو
 وكان يتقرب في هذا الموسم بالخبز ولم يكن الاكل من لحمه
 مباحا عند المصريين الا في هذا الموسم فاسم كانوا يقولون ببجاسته
 ومن مسه كان يلزمه ان يعتسل في الحال حتى ان المشتغلين
 بتربية هذا الحيوان كانوا يبيعون من دخول المعابد وكانوا لا
 يتزوحون الا من بعضهم ولا يعلم سبب الترحيص في الاكل من
 لحمه في هذا الموسم ولا ذكره هيردوت المورخ

وكيفية تقرب القرمان منه ان ياخذوا طرف الدنق والطحال
 والطن وفوقها الدهن ويحرقوا الجميع وكان الفقراء يصنعون
 صورة من الطين ويحرقونها

هذا غاية ما وصلنا من اعياد قدماء المصريين ومواعيدهم
 التي حرمنا الى الكلام عليها ذكر موالد السيد البدوي واحشاد
 الناس لها واجتماعهم فيها وما يكون بها من الاحوال والعادات
 التي في حملها ما هو اشبه شيء بعادات قدماء المصريين فيما
 ذكرناه من موالدهم واعيادهم وقد رأيت بعض المشايخ يتكلم
 عليها ويدعوا لما يحصل فيها من المخالفة للشرع ويبقى انطالها
 لذلك ورأيت بعض الناس يقول لو لم يكن فيها من الضرر

الاتعطيل من يكون بها من الناس، عن استعمالهم ومصالحهم المعتادة لكفى فما تراه أنت أيها الاستاذ في ذلك

فقال الشيخ من نظر في الشيء من جهة من جهاته ولم يستقص جميع احواله وسائر خصوصياته وربما حكم عليه بالدمر والمدح من تلك الجهة ولو نظر الى غيرها تعير حكمه وهكذا حال من حكيت عنه ممن تكلم في مولد السيد فانه نظر الى شيء مما يحصل فيه فحصر فيه نظره ووقف عليه حاطره فتكلم بحسبه ولو امكن النظر واحال العكس واستعمل الروية لقال غير ما سمعته منه فان مولد السيد وان كان قد يحصل من بعض الناس الذين ينجسونه فيه بعض امور تحالف الشريعة الشريفة كما لا يكر وهذا هو الذي نظر اليه من حكيت عنه ولكن لا يحكم على الشيء في ذاته بحكم حالة واحدة من حالاته لا سيما اذا كانت له احوال كثيرة وانت تعلم ان كل وقت من الاوقات وكل بلد من البلاد وكل جيل من الاحياء لا يخلو من ان يقع فيه بعض امور تحالف الشرع والطبع ولا يحكم على عموم الناس او البلد او الوقت بحكم من يحصل منه ذلك وليس ما ذكر من هذه الامور المخالفة مخصوصاً بمولد السيد فانها تقع في كل موضع كما قلنا وليس المولد قاصراً عليها فانه يكون فيه ما لا يحصر ولا يكر من المحبرات والادكار والعادات والمحسات والبركات فلماذا بغض عن المحسة وتقصير انظارنا على السيئة

وفي هذا المولد ما لا يحصى على أحد من المزايا والمنافع كمنفعة
 من يكتري منهم الدواب والمراكب أو سكة الحديد للصي إليه
 والانصراف عنه ومنفعة من يكون به من العراشين والطباخين
 وغيرهم من أرباب الحرف والصنائع وأصحاب الدور التي تكتري
 والأشياء التي تشتري وما يكون فيه من سعة التجارة فإنا نرى كثيراً
 من التجار في ططا وغيرها من سائر مدن مصر يعلتقون أداء
 ديومهم وقضاء بعض شؤونهم على هذا المولد ويتطرون لهذا الموعد
 لكثرة ما يكون فيه من البيع والشراء والاحد والعطاء فيتنفع البائع
 ثمن ما يبيعه والشاري بما يشتريه منه والكثير من أهل القرى
 يتطرونه لشراء بعض ما يلزمهم في أثناء السنة مما لا يوجد في جهاتهم
 أو ليع ما يفضل عن حاجتهم من دابة أو محصول رراعة أو غير
 ذلك هو سوق عظيم عمومي كسائر الأسواق العامة التي توجد في
 جميع أقاليم الدنيا من البلاد الإسلامية وغيرها حتى لقد سمعت
 أنه يكون في بلادكم أسواق عامة تحضرها الناس من سائر الأفاق
 وجميع الجهات فلولا ما فيها من المنفعة لما حرصوا عليها وهرعوا
 إليها فهذه هي المرة في هذا المولد مع غيرها مما ذكرناه وما لم نذكره
 فاندفع قول من يقول أنه سبب للتعطيل وتبين أن ذلك القول
 من حملة الاناطيل ومن ذهب إلى هذا المولد لا لتصد التجارة أو
 نخوها من المقاصد فلا يجلو من أن يتمتع به غيره والمنفعة حاصلة
 على أي حالة وأما فراغه من اشتغاله وبطالته في أيام يسيرة فلا

ضير فيه ولا ضرر فانه ان كان خلواً من الاشغال في غير المولد
 هو بطل في ذاته لم يحدث له المولد بطلالة وان كان في غير المولد
 عاكفاً على الشغل والعمل والكد والكدح كان له في المولد فسيحة
 وتغيير هواه وصحة وبرهه وراحة يقبل بعدها على اعماله بشاط
 حديد وشوق مستحدث وهمه مقبلة ونفس غير كيلة فيتعرض بذلك
 ما ضاع في ايام المولد فان النفوس الشريرة اذا دام عليها الشغل
 واتصل الكد والعمل بلحقها السأم والكلال والملل فلا بد من
 ترويحها في بعض الاحيان لتعود لحالة نشاطها وتستريح ما فقدته
 من اسها وبساطها ولذا كان لكل امة من الامم وملة من الملل
 اوقات يستريحون فيها من اشغالهم وجمعون لرفاهة نائم استرحاء
 لشاغلهم وقوتهم ودفعاً لتعبهم وقوتهم فلا داعي لتثني ابطال هذه
 الموالد المستلزم ابطال ما يترتب عليها من الفوائد وقد احدثت
 هذه السكك الحديدية من اسباب السهولة والسرعة والراحة سبب
 المضي الى المولد والاصراف عنه ما لا يريد عليه وكان قلبها من
 يريد المولد يعاني في الذهاب اليه والاياب منه صعوبة ومشقة
 ويقضي في الطريق يومين فاكثر اذا سار من البروجلة ايام اذا
 سافر من الحر ويعد ما يلزم للسفر من الراد والدخيرة من قبل المولد
 نالام كثيرة حتى حدثت سكة الحديد فسهلت الصعب وقررت
 البعيد

المسامرة العاشرة

شئى

وقد كان المرحوم محمد علي الكبير تصور فوائد هذه السكة ومافعها وعزم على اشائها ولكن بدا له بعد ذلك تركها وصرف النظر عنها لبعض امور تصورها على حسب الوقت والحال ثم عرض امرها من بعده على المرحوم عباس باشا فاستحسنها ولم يجد بها ناساً فصم عليها وشرع فيها بالفعل من اسكندرية الى مصر واستوجب مريد الشاء والشكر من الناس عامة ومما اهل هذا القطر خاصة فان هذا الامر النافع كان سبباً لحلب الثروة الى ارضها واردياد الحركة في بلادها ولكن قدر الله انه لا يتم في مدة حياته والذي تم في مدته ومتى فيه الوابور كان ما بين كهر الريات والاسكندرية وبما كان مهتماً باتمامها عاجلته المية فمات ولم يقسم له ان يركب فيها مع انه كان معتبياً بامرها ليله وبهاره وهو الذي اتم فطرة بها التي يسير فوضا الوابور وكل من ولي الحكومة من بعده سعى في اتمام عمله واجباغ قصده وحده في اكماله فكمل سعيد باشا المرحوم ما ابتداه سلفه وانتهت في مدته السكة الى مصر القاهرة واحدت الوابورات في السعر بينها وبين الاسكندرية ولما راه وعلمه من كثرة فوائدها وريادة مافعها اشأها

ايضاً بين ممود وطلحا والرقازيق ومنها وكذلك بين القاهرة
والسويس سهيلاً لطريقها وتمرغياً للالكبير في استدال طريق راس
العشم بطريق مصر فيما ينقل من بلادهم الى الهد من الناس
والصايغ وغيرها لما في ذلك لمصر من الفائدة بهرورهم بها ونقل
تجارهم بواسطتها وقد كان ما يرد لمصر من ذلك ينقل الى
السويس تارة في عربات تحرها الخيل وتارة على الجمال والدواب
وكان ذلك امراً مهماً وشغلاً شاغلاً وكان يحصل منه مبلغ عظيم
من الاجرة ويحصل في بعض الاوقات ضائعات كبيرة يترتب
عليها خسارات كثيرة فعمل تلك السكة لمنع الصعوبة والحسرة
وتسهيل السيل لتلك التجارة فلم يرل حتى انما واكملها ثم لما ولي
الحكومة الحبيب الحديوي (اسمعيل باشا) احد في توسيع دائرتها
والاستثمار منها فاستحدثها في الصعيد وفي جهات كثيرة من
الاقاليم البحرية فرادت مركبها وكثرت حركتها حتى وصلت الى
ما هي عليه الان فصار يسافر من القاهرة الى الاسكندرية بالركاب
في كل يوم ثلاثة قطارات واكثر سوى ما هو خاص بنقل النضايغ
وما يسافر الى غيرها من الجهات بعد ان كانت في اول امرها
لا يسافر فيها الواهور الا نحو ثلاث مرات في الاسبوع وذلك
قريب اتمامها وقد ارجح صاحبها الشيخ مصطفى سلامه التجاري اتمامها
بين القاهرة والاسكندرية بقوله

في بر مصر انتهى الواهور

وهذا المصراع تاريخ لسنة ١٢٦٩ هجرية بحساب الحمل
وقد كنت اسع هذه السكة وحركتها ولكن لم يسبق لي
السرها ولا العلم بحقيقة كينيتها وإنما كنت اعلم بالسماع ان
السرها في عربات تحرها ناحرة تتحرك بواسطة النار من غير ان
اعرف كيف تحركها النار وكنت في شوق الى معرفة ذلك حتى
شرحت لي اليوم ما شرحت واوضحت ما اوضحت من ان حركتها
وسيرها بواسطة محار تحلله حرارة النار من ماء موجود في القدر
اعني الدست الذي ذكرته فيتجه المحار الى آلة يحركها فتتحرك
بحركتها المحلة وتمشي الناحرة اعني الوانور فقد عرفت ذلك ولكن
نقي على ان اعرف حقيقة لفظه وانور ومعناها لاعرف حقيقة اسم
هذه الناحرة كما عرفت مسماها فان هذه الكلمة ليست من العربية
وما اظنها الا من اللغة الافرنجية

فقال الانكليزي سم لفظه وانور كلمة افرنجية معناها في
اللغة العرساوية المحار فاستعملها عامة الناس ها في معنى الناحرة
تسمية للشئ باسم ما هو من لوازمه والاسم الموضوع لهذا المعنى
في اللغة المذكورة هو (لوكوموتيف)

هذا ما اعلمه في هذه اللفظة التي سألت عنها وما يتعلق
بها وما ها شيء اريد ان اسألك عنه وهو انك عرفت بالقدر
بدل لفظ الدست المتعارف هل هو غير عربي ام غير صحيح ام ماذا
تري فيه وكذا العربة والعربية او المحلة فارحوك ان تشرح لي

ما تعلمه في هذه المذكورات ولولها وما يتعلق بها من جهة اللغة العربية كما شرحت أنا ما أعرفه فيها من جهة الصناعة لتقطع بذلك ما بقي من الطريق ولا نخرج عن المناسبة

فقال الشيخ لك ذلك وسأشرح ما أئنته حفظي ووصل اليه علي بما ذكرته فاما لفظة الدست فهي بفتح الدال معربة تطلق في العربية علي حملة معان منها الصعراء وهي في هذا المعنى معربة من دشت بالشين المحبة لفظ فارسي بالمعنى المذكور وفي غيره معربة من دست بالسيس المهملة لفظ فارسي ايضا لة نحو خمسة عشر معنى منها اليد والمنفعة والصرة والورير والصدر والمقام الربيع والقوة والغلة والطرار واللعة الواحدة والشيء مع افراده التامة هو من السلاح مثلاً العدة الكاملة ومن الثياب ايضا الكاملة اجزائه التامة افراده من السراويل الى المبدل وهكذا كما عرفته من اهل تلك اللغة وقال في القاموس الدست الدشت ومن الثياب والورق وصدر البيت معربات (اه) وهي عبارة محملة فيها غموص ويعلم المراد منها بما قدمناه وقد استعمل بعض العلماء المناسبة بين ما استعمل فيه هذا اللفظ في العربية وبين معناه في اللغة الفارسية لكونه لم يعرف من معانيه في تلك اللغة الا اليد شهرته فيها

قال الخفاحي في شفاء الغليل بعدان تقل عبارة القاموس واستعمله المتأخرون بمعنى الديوان ومجلس الوزارة والرتاسة

مستعاراً من هذه

قال المعري

من آلة الدست ما عد الورير سوى

تحريك الحينه في حال ايماء

مهو الورير ولا ارر يشتد به

مثل العروض له بجر بلا ماء

ثم قال وقيل لا يصح فيه ان يكون مشتركاً لاختلاف معناه في اللعين فانه في الفارسية بمعنى اليد وفي العربية له معان اربعة اللباس والرياسة والحيلة ودست الثمار وجمعها المحيري في قوله شدتك الله أَلست الذي اعاره الدست فقلت لا والذي احطسك في هذا الدست ما انا بصاحب ذلك الدست بل انت الذي تم عليه الدست ويقولون للغالب تم له الدست والمغلوب تم عليه الدست واقلب عليه الدست ومن الاخير دست الشطرح قال الشاعر

يقولون ساد الاررلور بارضا

وصار لهم مال وحيل سواك

قلت لم شاج الرماح وانما

تقررن في اخرى الدسوت البادق

والدست تستعمله العامة لقدرة الحاس قال سليمان بن عبد

الحق في بعض اهل الديوان وكان يلعب بالقط

ما نال قط الدست من فعله

غير سخام الوجه والسطر

ولم يعل الدست على رغبه

وانقلب الدست على القطر

انتهى المراد منه ولكن بقي ما هاشي وهوان القدر لا تظهر
له ماسه نتيه مما ذكر من معاني هذه اللفظة في العارسية ولعله
ما حود من لفظ دستي بالياء التحتية بعد الياء العوقية وهو بالعارسية
ظرف للماء وغيره من المائعات يحمل باليد كالحجرة فلما اخذه
المولدون والعوام تصرفوا فيه بحذف يائه وكسر داله ومعونه
دستبع بالغت ويوجد في العارسية لفظ دست بالكسر الا ان معناه
الشرف قد علم مما ذكر ان استعمال لفظ دست في معنى القدر عامي
مولد ليس بعربي ولا معرب ولهذا عبرت بالقدر

قال الانكليزي ذكرت بالدست والقدر بيتا راجع في كلام

شاعر من المصريين لا اذكر اسمه ولا اجد ضبط بيته وهو

وقدر كمل الفيل في القدر اشرف

على مصب كالقيل في دست مصب

قال الشيخ . قوله وقدر هو بكسر القاف والمراد به القدر التي
يطمح فيها والقيل بالياء معلوم والقدر من قوله في القدر يقع القاف
بمعنى القدر والمصوب في قوله على مصب بكسر الميم على وزن مسر
حديد نصب عليه القدر له ثلاث قوائم والقيل في قوله كالقيل

بالقاف المفتوحة وهو الملك مطلقاً أو من ملوك حيدر أو هودون
الملك وإصله قيل كعَمِيل سَيَ به لانه يقول ما شاء فينفذ قوله
والدست أراد به الديوان أو صدر البيت ومصعب في أحر البيت
واحد المناصب وصف هذا البيت قدراً عظيماً يقول وقدر مثل
البل في الكبر اشرفت وهي على مصبها اشراف الأمير في ديوان
مصبه أو في صدر البيت المسوب له وقد نال في عظم هذه القدر
محملها كالبل وإن لم تكن كذلك

قال الأتكليري قد كنت متوقفاً في ثابيت هذا الشاعر لصير
القدر في قوله . اشرفت حتى رايتك توثنها

قال الشيخ القدر مؤتة قال ابن سيدة في المحصص القدر
التي يطع فيها انثى وجمعها قدور ولا تكسر على غير ذلك وقد
قدرها اقدرها واقدرها (كضرب وبصر) طبعنها ومرتق مندر
مطوخ في القدر والقدير ما يطع في القدر والافتدار الطخ فيها
انتهى . وبائع القدر قدوري وسفام القدر سوادها وقد مرلة ذكر
في اليعيب السالفين ويقال للقدر العظيمة قدر أعشار كأها
ركت من عشر قطع لعظمها وكبرها والقدر الوثية الواسعة
وانشد أبو عبيد

وقدر كزأل المحصصان وثية

ألمحت لما بعد المندوة الانافيا

والانافيا حمارة توضع عليها القدر

قال الانكليزي سمعت رجلاً يقول في الدعاء على اخر
رماه الله ثلاثة الاثافي فامعاه

قال الشيخ ثلاثة الاثافي المحمل وذلك اهم قد يصعب
القدر على اثني عشر الى جانب جبل ويسدون بها اليه فيكون
المحمل ثلاثة الاثافي يقال في الدعاء على الشخص رماه الله ثلاثة
الاثافي اي بدهية عظيمة كالمحمل

قال الانكليزي فامعنى قول الشاعر

وقدر جماع كاليفاع دمية * رُولارية سوداء غير صلود
قال الشيخ يقال قدر جماع وحامعة اذا كانت عظيمة واليفاع
الثل ويقال قدر دمية وديم اي مطلية بالطحال او الكد او الدم
بعد الحبر والدم كعسب التي يسدها خصاصات البرام من
دم او ليه والدم والبدنام ما يطلو به والقدر الزوارية
والزويزية هي التي تضم المحزور قتله ابن سيدة عن ابي عبد
وعبر صلود اي غير بطيئة النفع يقال صلدت القدر تصلد في صلود
ويقال قدر راسية اذا كانت ثابة لا يطاق تحويلها لعظمها وفي
السريل وقدر راسيات والرومة القدر من الحجارة جمعها يرار
كجبال ورم كهرد ورم كدخن وصاحبها المرم وهو من يقطع
حجارها من الحمال واكبر البرام الجماع ثم التي تليها الميكلة وهي
التي يستخف الحي ان يظنحو فيها اللحم والعصيدة والصيداء حجر
ابيض تعجن منه البرام

قال الانكليزي هل تذكر قول الشاعر
رأيت قدور الصاد حول بيوتنا

قنابل دها في المحلة صبا
قال الشيخ نعم هكذا اشده أس سيدة ولم يسده والذي
احفظه حسنت بدل رأيت والبيت لحسان بن ثابت رضي الله
عنه من قصيدة طويلة يقول فيها
وبنما صدق نمطر الحبر كنه

اذا راح فباصر العشيات حصرما
وصلت به ركي ووافق شيتي
ولم اكُ عضا في الدامى ملوما
وافق بنا مر الحروب وررؤها

سيوفا وادراكا وجمعا عرمرما
اذا اعبر افاق السماء واحلت
كأن عليها ثوب عصب مسما

حسنت قدور الصاد حول بيوتنا

قنابل دها في المحلة صبا

يقول اذا اشتد الجذب حسنت قدور الصاد حول بيوتنا
جماعة حبل قائمة يعني اهلهم يطعمون في الجذب والتعطى كبيرا
والصاد الصغر وجمعه صيدان كزار ونيران قاله ابو علي واشد
وسور من الصيدان فيها مذاق

رواه بكسر الصاد ورواه ابو عبيد بنغها وقال الصيدان
برام الحجارة والصاد قدور الصبر والحاس قال ابن جني
والله متقلة عن الياء واستدل على ذلك برواية ابي عبيد
من الصيدان ينفع الصاد قال وانا ارى ابن الفدر انما سميت
صاداً من الصيد وهو التكرر وذلك لما في القدر من الغلبان
والحمي والوراء ولذلك يشبهها المساورة والمصاعة قال
الشاعر

تور عليها قدرهم فندبها * وشوفا عما اذا حمها علا
(اه) ودكرت هذا قول امرء القيس في صفة العرس
على العقب حياش كأن اهتمامه

اذا حاش فيه حبه غلي مرحل
العقب عقب الانسان حشف باسكان القاف والاهتزاز شدة
الصوت يريد ان هذا العرس اذا حركته بعنك حي وحاش كما
تحيى القدر وكفى ذلك من السوط والمرحل القدر من الحاس
وقبل كل قدر مرحل وهي مؤنثة وقال ابن دريد التساحيب
المراحل لا واحد لها الا اهم قد قالوا تسحان ولا اخته وشكيبه
المرحل عرومها ويقال للقدر الصغيرة كمت نفع الكاف وقد تكسر
وتقول الترك وبعض محالطهم من العامة للقدر التي يطبخ فيها
تحره وهو محرف تكبره العارسي ومعربه طحبره عيرها كما في
القاموس وطحبره بالهاء كما في لغة اللغات وفيها ايضاً الميطة قدر

صانع الحلواء وفي القاموس المبطلة قدر معروف من صعر معرب
 نائيله والظرف الذي تصع فيه الخيصة محصة ويقال للوعاء الذي
 يقلى عليه مقلدة ويقال ايضاً طاحن وطحين وها معربان كما في
 القاموس وفيه ايضاً الطائق كهاجر وصاحب ظرف يطع فيه
 معرب تائه والحرقفة التي تمسك بها القدر لتندل عن النار يقال
 لها الحمال واحملها ارها بالحمال هذا بعض ما يتعلق بالقدر
 ولو احداً في استيعاء جميعه لطال الكلام وتشعب القول فليكتف
 بهذا القدر وسنقل الى الكلام على العربة وما يتعلق بها

قال السهاب الحماسي في شعاع الغليل العربة بلغة اهل
 الحريرة سعية يعمل فيها رحي في وسط الماء الحار مثل دجلة
 يديرها شدة حره وهي مولدة فيما احسب . قاله في المعجم وانا لا ادري
 هل المركب المسمى عربة (وهو ما يحس فيه) اخذ من هذا او هو
 غير عربي وهو الظاهر (اه) كلامه

وفي تفسير الرازي ان مادة (ع ب ر) بجميع تقاليبها الستة
 التي منها (ع ر ب) تدل على العبور والانتقال ونص عبارته
 المسئلة التاسعة العبارة وتركيبها من (ع ب ر) وهي في تقاليبها
 الستة نفيد العبور والانتقال فالاول (ع ب ر) ومنه العبارة لان
 الانسان لا يمكنه ان يحكم بها الا اذا انتقل من حرف الى حرف
 احر وايضاً لانه سبب تلك العبارة يتنقل المعنى من ذهن بذهن
 الى ذهن السامع ومنه العبرة (بالفتح) لاني تلك الذمعة تنتقل

من داخل العين الى الخارج ومه العدة (الكسر) لان الاسان
يتقل فيه من الشاهد الى العائب ومه المعبر لان الاسان يتقل
بواسطته من احد طرفي البحر الى الثاني ومه التعبير لانه يتقل
ما يراه في النور الى المعاني الغائبة . الثاني (ع ر ب) ومه سميت
العرب لكثرة انتقالهم بسبب رحلة الشتاء والصيف ومه فلان
اعرب في كلامه لان اللغظ قبل الاعراب يكون مجهولاً فاذا
دخلت الاعراب انتقل الى المعرفة والبيان الثالث (ب ر ع) ومه
فلان برع في كذا اذا تكامل وتراد الرابع (ب ع ر) ومه العر
لكونه متقللاً من الداخل الى الخارج الخامس (ر ع ب) ومه
يقال للحرف رعب لان الاسان يتقل عد حدوثه من حال الى
حال اخرى . السادس (ر ب ع) ومه الربع لان الناس يتقلون
منها والها (هـ) .

فعلى هذا مادة (ع ر ب) تدل على الانتقال والصور مثل
(ع ب ر) وماسة هذا المعنى لهذا المركب المحصوص الذي نحن
بصدده واصحة ظاهرة لاحفاء فيها ولكنا لم نجد في كلام العرب
ولا من قرب منهم ولا وجدنا من تقل عنهم اطلاق لفظ العرة
على المركب المذكور وانما سمعته في كلام المولدين وكلام الترك
فقد خالطتهم وتعلمت من لغتهم ورأيت صاحب لغة اللغات
اوردته فيها ذكر من الكلمات وكنه بالالف هكنا (اره هـ)
قال الانكليزي ما هذه الاله التي بعد الراء

قال الشيخ هذه الهاء لبيان فتحه الحرف الذي قبلها لا للتلفظ
 بها ونظيرها الهاء التي بعد الباء فليست هاء تانيث وإنما تكتب
 كذلك لهذا السب ويسمونها هاء رسمية لكونها ترمز ولا تقرأ ولعل
 هذه الكلمة محرفة من عربة ناندال عينها همة كما صنعوا في عباء
 فقد رسمه في الكتاب المذكور (اه) وقال هو عربي محرف
 وصححه عباء وبعض الناس يريد على لفظ عربة الباء ويقول
 عربية

قال الانكليزي ما يقال في العربية في محل لفظ عربة
 المذكور

قال الشيخ قال في الكتاب المذكور هو بالعربي عجلة
 تنفع العين المهمة والحجم واللام وهاه الوقف احره وحال وهي التي
 تعد للصي ليتعلم عليها المتن ودراحة وهي مثلها (اه) وتسمى العجلة
 ايضاً رارية كما في القاموس وفيه ايضاً العجلة بالتحريك الالة التي
 يجرها التور والجمع عجل وعجالات والدولاب او المحالة
 وحشب تؤلف تحمل عليها الانتقال (اه) والان تطلق العجلة على
 تلك الدائرة التي تدبرها العربة على الارض واسمها في العربية
 دؤارة بصم الدال ومدورة وكل شيء مستدير اذا لم يدور ولم يتحرك
 فهو دؤارة ودؤارة تنفع الدال والهاء فاذا دار او تحرك فهو دؤارة
 ودؤارة بصمها واذا اتسع ثقب الدؤارة من اكل المحور الذي فيها
 وضعت في ثقبها قطعة خشب ليضيق فتسمى هذه الخشبة بحماس

بالحماء المحمية بعد السور وقيل الخامس طوق الدائرة والمحور
المذكور يسمى القبة والمسار الذي يكون فيه يسمى رارة كما وحدته
في ترجمة مقدمة الادب وفيه المدخن ظرف يوضع فيه الدهن لطلاء
بعض مواضع العملة

وبينما هما في هذا الكلام وامثاله اذا هما قد وصلا الى موقف
السكة باحية كمر الدوار

قال الامكيري هذا احر موقف في هذا الطريق ليس بعده
الا الموقف في اسكندرية ولم يبق عليها الا مدة يسيرة ودقائق من
الرمس غير كثيرة

قال الشيخ سيجان الله لقد تقاربت البلاد والامصار بسبب
هذا الحار تقاربا شديدا حتى صار يستعني الانسان في اسفاره عن
عدة اشهر بعض ايام وعن عدة ايام بيوم او بعض يوم فصار
يمكن للانسان ان يسافر من القاهرة الى الاسكندرية ويرجع اليها
من يومه بعد ان كان لا يمكنه ذلك الا في مدة اسوعين او اكثر
حتى ان بعض اصحابي احببني انه سافر مرة من الاسكندرية في
البحر يريد القاهرة فلم يصل اليها الا بعد ثلاثين يوما فقد رح
الانسان مدة طويلة من عمره فصلاعا توفى عليه من ماله الذي
كان يصرفه في سفره واستراح من كثير مما كان يكابده من المشاق
والتعاب والعواقق والمصاعب التي لم يكن يحلو عنها ولا يسلم
مسافر منها فما اكثر فوائد هذه السكة وما اوفر ما لها من الخير

والبركة

قال الإنكليزي من اعظم فوائدها ما حصل بين الملل وبعضها من المساعدة الكلية فيما يطراه عليها من الحوادث العظيمة كاللعلاء والتحط متصل الاحار وتنقل الارراق من سائر الاقطار ويحصل الاسعاف من دون ان يشعر المخلق كما حصل غير مرة وقبل ظهورها كان اذا حصل مثل ذلك في اقليم من اقاليم المعمورة لم يمكن ان تصل اليه مساعدة من اقليم اخر الا بعد جهد جهيد وبلاء شديد حتى ان الناس في بعض الارمان اكل بعضهم بعضا بعد ما اكلوا الرم والحبف وباعوا اولادهم وكذلك اذا حصل بلد من البلاد بعض امراض وفساد في الهواء يسهل بواسطة هذه السكة معارفه بعض ايام والعود اليه بعد ذلك فاعلم من هذا ان حصول التيسير بين الناس واتساع دائرة معاشهم وكثرة امنهم قد راد عما كان عليه في الايام السالفة ومن تأمل اوصاف المبيعات من المحسورات والعواكه تتحقق عنده فائدة البجار ومزيد منفعة فانا نرى العواكه على اختلاف انواعها وبعد بلادها في جميع اوقات السنة مجلوبة الى البلاد المصرية مع انها ما كانت ترى فيها من قبل وكذا المحسورات الطرية وبأي كيفية كان يمكن ذلك لولا استعمال البجار فقد حصل به ثمرات متعددة لكل من البائع والمشتري ينقل العواكه والمحسورات والبضائع في كل النواحي واتسعت دائرة المصلاحة بكثرة الرغبة في الزرع لكثرة ارباحه وازدادت درجة

الثروة في كل البقاع ومن يقارن كمية المنزوع بالطرق المعتادة من
 قل بما هو منزوع الاب يجد بينها فرقاً كبيراً جداً في مقدار
 العبادتين والمحصول لان صاحب الارض في الزمن السابق كان
 لا يبيع الا شئ من قوته او قوة المزارع فكانت الرعاية موقوفة على
 حد معين لا تتعداه واما الآن فبواسطة استعمال الآلات التجارية
 في الحرث والري والحجج وما اشبه ذلك امكس له الخرج عن هذه
 الحدود والانتفاع فيها والمحصول على عدة نتائج يردادها راس
 ماله وارباحه واصلاح ارضه بالمخدمة والتنظيم لجميع هذه الامور
 وبحوثها كالنجارة والصناعة قد تحسنت وازدادت اصعاف ما كانت
 عليه وما رالت آخذة في زيادة التقدم والرج ولولا هذا الجار
 لكنت غالب شفاع الارض محرومة مما هي متمتع به الاب من
 مروراتها واهلها محرومين من فائض مصوعات الملاد الاخرى
 ومحصولاتها واقول لك بالاحتمار ان استعمال البخار اقوى مفيد
 لظواهر الاساس وباطنه اما ظاهره فالرويق والمهجة واكتساب
 راحة البدن والمهجة واما باطنه فاستقاله من قيد المضيق الى سعة
 الاطلاق وتحليه بمعرفة غرائب الملاد وعرائب الافاق وبسببه
 اعتادت الناس على حسن المخالطة والانس والامتنان ووال
 ما كان بينهم من موحات الوحشة والبغضاء والاختلاف وتاكيد
 ذلك باستعمال الاشارة الكهربائية المعروفة بالتلغراف اذ لا يكون
 بين الخلق وبعضها رابطة اقوى من رابطة المنفعة وكل ذلك ينج

من استعمال هذا السر المودع في الماء مسحاب من اندعه ودره
ولم يظهره الا في الوقت الذي اراده وقدره

قال الشيخ من نظر لظاهر صورة الانسان مع ضعفه وصغره
حشته ودقة اعصابه وبحافته ونظر لافعاله وعجيب اثاره واحواله
استغرب وتعجب ولم يهتد في سببه ذلك له الى سبب فانه مع صغره
وصغره يصرف في الكون ناسره بقوة نظره وفكره ليحصل منه على
اعراضه ومقاصده ومفاعله وفوائده فتراه قد احنال على الهواء مسحبه
وصار يحوب به البحار والتغار ويملا به الحداويل والانهار فتارة
يحري به الماء وتارة يجمعه وتارة يصرفه وتارة يبعه وتارة يرفع سطحه
وتارة يخفضه حتى روى الارض المحصنة والمرتفعة من غير فرق
بين تعة وتعة فكانت الارض طوع بده مفادة في جميع احوالها
اليه فظهرت له حيراتها واغدقت عليه بركاتها وكذلك سحر النار
فصارت من صم حدهم يستعملها في مصالحه البرية والبحرية فلم
يكن شيء من المخلوقات الا وقد حل تحت طاعته وفي تصرفه
وقصته فجميع الحيوان والسات والنار والهواء والتراب والماء حاصع
لسطوته مدعن لئاسه وصولته مثل الانسان بالنسبة لغيره كالملك
بالنسبة لرعيته وذلك بمنتهى ما يحبه الله سبحانه من حالته قال
تعالى اناي حائل في الارض خليفة وقال سبحانه هو الذي خلق
لكم ما في الارض جميعا ولكن الانسان كما انه يستعمل فكره ونظره
في حصول الكمال والوصول الى خير الاعمال يستعمل ما ذكر في

بعض الاحوال في الضرر والوبال والطغيان والصلال وكما كان العقل سبباً في هذا النع بكاله قد يكون سبباً في ضرر صاحبه وضلاله والوقوع في سيئ اعماله فيوقعه ذلك فيما يغضب الرب ويمنعه من منارل الثرب ولا ريب ان هذا كله ما يدل على وحد الصانع العليم والمبدع الحكيم الذي اودع في كل ذرة من مخلوقاته لطائف صعه ولطيف اياته قال تعالى في كتابه المكنون (وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تصرون)

في كل شيء له اية * تدل على انه واحد

فكيف يتعدى العدد حدود مولاه ويحدد ما مبعه واولاه

قال الانكليزي لاشك ان الاساس صفة الخليفة والملك الخليفة على غيره في الحقيقة وقد وصل الى ما وصل اليه من الكمالات العظيمة والدرجات العالية بالتدرج والتقدم شيئاً فشيئاً فكان كلما اكتشف له سر من الاسرار او وقف على شيء من الآثار بحث عن غيره وطلب ما فوقه وهكذا ولم يزل كذلك من الاعصار القديمة والارمان الحالية الى هذه الايام الحاضرة وكذا يكون حاله في الاعصار القائمة بالتقياس على ما سبق فكلما اتسعت دائرة استكشافه بوقوفه على شيء من اسرار الكائنات ولطائف مكوناتها اتسعت دائرة علمه فيتسع نور بصيرته فيتمكن من الاطلاع على مكونات اخرى اعظم من الاولى واتسع منها وكلما اطلع على سر استغنى منه غيره وهذه الطريقة وصل للتوازيين العمومية والتوازيين

الخفية التي عليها مدار الكائنات وجميع ما استكشفت لم يكن إلا
 نتيجة مخنه في الموحودات وسمتها الى بعضها من حيث الكيفية
 والافعال والصفات لان النوع الانساني في مداء امره لم يكن
 يعلم ما يعلمه الان والدليل على ذلك اننا لم نجد امة من الامم الا
 وقد انتقلت من حالة الى حالة اخرى وهذا محسوس بالمشاهدة
 فكم من امة كانت في اسوء حال من محوارعين سة قد انتقلت
 عن حالتها حتى صارت اول امة وما داك الا من حس تدبيرها
 وإدارة امورها بموافقة قوايها وكم من امة كانت تحت سطوتها الام
 آل حالها الى الدمار والعدم وكان عاقبة امرها ان صارت تحت
 رفق غيرها فالتسها الله لباس الدل والمهانة واحطت عما كانت
 عليه من علو المكانة ومن هنا علم ان نوع الانسان بالنسة لما هو
 عليه الان كان عارفا في بحر الجهل رميا طويلا يرتفع كالانعام بل
 اصل سبيلا كاهل النعاع المتوحشة بافريقيا واسيا وامريكا واستمر
 بهم الامر على ذلك حتى وحدث الانساب التي اضطربها الناس
 الى الالة والاحتجاج وحدث بينهم علائق الناس ومبادئ التمدن
 وذلك اهم اخطلوا مدنا وامصارا وقرى وديارا سكنوا بها واجتمعوا
 فيها فاحذوا الى الصط والربط والتعامل والتحمل فكان
 ذلك من الاسباب والدرائع لوجود القواين والشرائع والعلوم
 والمعارف وسائر اللطائف فمن ذلك الوقت بدا العلم في بعض
 النعاع ودب في الخلق حب الاتساع فتعلقوا من الشرائع بحبالها

فوصلتهم الى مهم القوانين والواميس التي عليها مدار احوال
 الموحودات حتى وصل العلم الى الدرجة التي هو عليها الان وان
 كانت ليست الدرجة التي يجب الوقوف عندها بل كل رس ياتي
 معه فوائده على حسب ما تقتضيه احواله وعوائده فكما تنقل النوع
 الشري في الارمان الماضية كذلك يتنقل في الارمان الاتية وحيث
 علم ذلك ظهر ان اكر راعت للاسان على البحث ومعين له في
 مقاصده هو الحقيقة نفسها والموحودات اعيانها قال الشيخ . نعم وانما
 عليه ان يحص كل فرد من افراد الاشياء بما يوافقه على حسب ما
 علمه فان وفق للحق واسد الى كل شيء ما استحق ولم يخرج عن
 الحدود المرسومة والقوانين المعلومة كانت اعماله راحمة وافعاله
 ناجحة وان سب الى افراد الاشياء ما ليس لها وصورها في نفسه
 بصورة تحالف حالها ليست غير كسوتها وظهرت على خلاف
 حقيقتها فاذا اعتقد ذلك ووثق به وحرى على موجه وحكم بحسه
 صل عن طريق السلامة ووقع في مهاوي الدامة فيكفر بربه
 الذي خلقه من ماء مهين وورقه وهو حير الرارقين ويعيش بين
 حبالا واهام ووساوس والام ويستمر على هذه الحالة مدة حياته
 ويؤل امره الى العذاب المهيمن بعد ماته فعلم ان عقل الاساس
 قبل علمه كان ناقلا عن افراد الحقيقة ومقلدا لها واما بعد العلم
 فيكون لها كالمملك بالسنة لرعيته فكما ان احوال الرعية مرتطة
 باحوال الملك وكل ما يصدر عنه من قول او فعل يسري الى

الرعية فكذلك الانسان بالسعة للخلقة فان احدى الى الطريق
الحق وصل وانصل وان عدل عنه صل واصل
وقد امتد بينهما القول في هذا المعنى الى ان وصلا الى
اسكدرية

فقال الانكليزي للشيخ قد قطعنا المسافة بين القاهرة
واسكدرية وهي مائة وثلاثون ميلاً انكليزياً في اربع ساعات
وبصف ساعة وكأب يلزم لقطع هذه المسافة بغير سكة الحديد
بحو اربعة ايام واكثر هل تعلم احسن من هذا الاختراع العجيب
الذي كان سبباً لقطع تلك المسافة الطويلة في هذا الزمن القريب
ثم اهم نزلوا في موقف السكة بالاسكدرية فوصل الى الانكليزي
هناك ورقة على يد احد حدة الوسطة فاحدها منه فلما فتحها
وقراها صحك ملياً وقال للشيخ اتعلم سبب صحكي قال الشيخ لا
قال انريد ان تعلم سببه قال نعم ان شئت فقال الانكليزي
ان الكلام المسطر هذه الورقة يرر من م فائله وهو والذي من
مد ساعتين من لوندرة وبينا وبين هذه المدينة بحسب الطريق
الذي نسلكه اليها نحو ثلاثة آلاف ميل فحبب الشيخ اكثر من
نعمه من سرعة الواور فقال له الانكليزي سأشرح لك بعد
الاستراحة سبب هذا السر العجيب ان شاء الله تعالى

المسامرة المحادة عشرة
الحانات واللوكدات

ثم ساروا جميعا ودخلوا اسكندرية ونزلوا في حان من خانات
المسافرين المعروفة باللوكدات ليقبضوا به الى ان يجضر وامور
البوسطة ولما كان الشج لم يسق له دخول مثل هذه المحلات
وانما قصى عامة اوقاته في الجامع الارمروداه بمصر ظن في نفسه
هذا الحان دارا للانكليزي اولا حد احابه ولكنه كان يأمل
في حسن روثه ونهجه ونظافة معروشاته ولطافته فبمحب مما يراه
لا سيما من كثرة المسافرين الواردين على هذا المحل ووجد هم قد
حصولة ولولده حجرة هاسريران ودولان وطرابيزة وشبعدانان
وساعة دفاقة وفيها جميع ما يلزم من الماء والصانون والمشافف
والكراسي محبت لا ينقص شي مما عساه يلزم للاسان من امثال
ذلك فقال لولده يلزم ان يكون الانكليزي صاحبا ذا مال
كثير وثروة عظيمة حتى يكون له منزل مجمل هذه الصفات
خاص هذه المخلوقات فقال له ولده وقد رأى غير هذه المحجرة ان
هاك حجرات وغرفات اعظم من حجرتنا وحرارة ولطافة وفي كل
منها من الاسرة والادوات الكثيرة مثل ما ها واكثر واظن ان
هذه الدار ليست ملكا له بل لاحد اصحابه وقد شاهدته عند

دحولنا يحكم مع واحد من ابناء جبهه نكلام يدل على المحبة والالفة
 فقال له والده هي على كل حال تدل على عظم قدر صاحبها سواء
 كانت له او لغيره اد لولا ذلك لم يمكن له ان ينزل بدار مثل هذه
 وبما هما في هذا الكلام وبحوه اد دخل الانكليزي
 وسأله عما يلزم له وعرفه كيفية الاقامة بهذا المحل وأشار
 له الى حيط بارل من اعلى المحل يقرب من الارض وقال له
 اذا لم لك شيء مما تريده فشد هذا المحل وحركه فبحرك تحركته
 حرص بسعه الحادى ويأتى اليك فتحوه بما تريد يأتيك به
 اقرب وقت فسر الشيخ من ذلك وشكره واثى على احلاقه فقال
 الانكليزي اخبرك ابها الأستاذ ان الاسان في مثل هذه الدار
 لا ينبغي له ان يبعه المحل عن طلب ما يلزم له لان اصحابها لم
 قانون مربوط وقدر معين مضبوط على كل شخص بحسب المكان
 الذي ينزل به سواء طلب ما يلزم له او امتنع من طلبه وعلمهم
 لكل محل فروض يجب اداؤها فقال له الشيخ اليس هذا المكان
 لك او لبعض احبابك ثلث عنه فقال لا بل هو حان يعرف
 بلفظ (لوكاندة) او (اوتيل) وهو معد لاقامة من يرد عليه من
 الاغراب والمسافرين ومن لا مأوى لهم في البلد كالحالات التي
 تعرف عنكم بالوكايل . فقال الشيخ سبحان الله ارى الافرخ يعيشون
 بائثان جميع الاشياء حتى خاناتهم ووكايلهم لا يساهلون فيها
 كسماهلنا في خاناتنا ووكايلنا فنرى المسافرين اذا نزل بمكان من

خاناتنا ووكائلنا وحد المكاتب محرداً من كل شيء فلا يجد به
ما يأكله أو يشربه أو يهرسه أو يستعمله والويل لمن يمضي عليه
بها الليل لأنه يكون تحت تصرف أنواع الحشرات من الدغوث
والقمل والنق والدرعش يبيت مسهداً ولثل هذا مسهداً

ثلاث نأت بلياً بها * النق والدغوث والدرعش
ثلاثة أوحش ما في الوري * ولست أدري أيها أوحش
وهكذا الحمل وجميع الموزيات فلا يرى فيها ما يسر الناظر
ويخرج القلب والمحاطر تنهال عليه الأتربة من كل جانب وتدب
إليه الهوام من سائر الحواري فلا يطرق حصه المدام ولا يستريح في
قعود ولا قيام لا يأمن فيها الأساس على نفسه ولا يجد طريقاً
لأنه تراها لقدما إلى السقوط آلت وتغرها تساقطت أثرتها
وأهالت فتمضي عليه المدة في قلق ويقضي ليله في سهر وأرق
خصوصاً من كثرة نباح الكلاب وشبح العمال وطين الذباب
ورغاء الأنعام وكسئس الهوام وصهيل الحبل ومهيق الحبير وهالك
يستغيث ويختبر وهيات المغيت والخبير وليس بها مافد لتحديد
الهوام ودحول الأصواء غير فتحات صغيرة وكوات حخيرة عليها
أبواب من الأحشاب غير متقمة الصنع ولا محكمة الوضع إن أغلقت
حجبت الأتوار واشتته الليل بالنهار وإن فتحت حلت المضار ولم
يتفع بها في دفع الحر والبرد والعار مهي في الشتاء ومهري وفي الحر
نار وسعير وسقفها مسكن للحشرات والهوام وغربال للغراب يعله

على الأحسام ويثره على الحمون ويثره في العيون فان فتح الاسان
 عيه امتلات قدى وان اغمضا لم يأمن من الادى فاب نزل
 المطر محير لم بها ان يستتر بالسماء ويلتخف بالانواء هذا السقف
 يطر الطين والسماء انما تطر الماء ولقد حكمت علي صروف
 الاقدار فدحت احداها ليلة في بعض الاسعار
 مت كافي ساورتني ضيئلة

من الرقص في انياها السم نافع
 ولقد تذكرت ليلة مت بها القصيدة المشهورة للاديب كمال
 الدين علي بن محمد بن المارك الشهير بابن الاعى في صفة داركان
 يسكنها بيت اترم باباها وانلى بكلماتها فقال الانكليزي ابي
 القوائد هي ظلال السج ما هي
 دارسكت بها اقل صعاتها

ان تكثر الحشرات من حشرات
 الحير عنها نارج متاعد
 والشردان من جميع جهاتها
 من بعض ما فيها المعوص عدته
 كم اعدم الاجان طيب ساتها
 وتبت تسعدها براعت متى

عت لها رقصت على لغاتها

رقص تنطيط ولكن قافه

قد قدمت فيه على احوالها

وبها دناب كالصاب يسدء

من الشمس ما غي سوى غائتها

ابن الصولم والفا من تنكها

فيا واین الاسد من وتاعها

وبها من الحطاف ما هو معمر

انصارنا عن وصف كيمياتها

وبها من الحردان ما قد قصرت

عه العناق الحرد في حركاتها

وبها حامس كالطافس افرشت

في ارضها وعلت على جناحها

لو شم اهل الحرب منب فسوها

اردى الكاة "الصيد عن صهواتها

وسات وردان واشكال لها

ما يهوت العين كه دواتها

اندا تمص دماءا فكأها

حماسة لدت على كاسامها

وبها من النمل السلياني ما

قد قل "در الشمس عن دراتها

ما راعني شيء سوى ورغائها
 فتعبدوا بالله من لدغائها
 سمعت على أوكارها فظنتها
 ورق الحمام سمعت في شعرائها
 وبها رناير نظى عقاربها
 حر السموم أحف من زفرائها
 وبها عقارب كالافارب رتع
 فيها حمانا الله لدع حمامها
 كيف السبيل إلى الحياة ولا يحا
 ة ولا حياة لمن رأى حياتها
 مسوحة بالعكسوت معاوفا
 والأرض قد سمعت على آفائها
 واليوم عاكفة على أرحائها
 والدود بجعت في ثرى عرصائها
 والحمر تاتيا إذا حن الدحي
 تحكي الجبول الحرد في حملاتها
 والنار حر من تلب حرها
 وجهم تعرى إلى نفعائها
 شاهدت مكتوبا على أرجائها
 ورايت مسطورا على جساتها

لا تقرروا منها وحافوها ولا
 تلقوا بأيديكم الى هلكتها
 ابدأ يقول الداخلون ساها
 يارب نج الناس من افعالها
 قالوا اذا نذب العراب مارلا
 تنغرق السكان من ساحاتها
 وندارنا لما غراب ناعق
 كذب الرواة فان صدق روايتها
 صرا لعل الله يعقب راحة
 للنفس اد علت على شهواتها
 دار نبت الحس تحرس نفسها
 فيها وتندب باختلاف لعائنها
 كم ت فيها مفردا والعين من
 شوق الصاح تسع من عذرائها
 واقول يارب السموات العلا
 يارارقا للوحش في فلواتها
 اسكتني بجهنم الدنيا وفي
 احراي هب لي الجلد في حائنها
 فلما اكمل الشج قال الانكليزي لقد احسن هذا الشاعر
 واحد وبلغ ما اراد من المبالغة في صفة تلك الدار ودمها وتبيخها

وتهيل امرها ووصف كثرة شرها وقلة خيرها
 فقال الشيخ كل ما ذكره من المفتح العظيمة والأوصاف
 الدمية مجموع في تلك الحانات والوكائل القدية بخلاف هذا
 الحان اللطيف والمكان الظريف فانه حال من جميع تلك المضار
 مشتمل على كل ما يجلب المسار من حسن سائه وتحدد هوائه
 ونظافة محلاته وكال ادواته فيقيم به الانسان في دعة وراحة
 وسعة لا يرى الا ما يسر ولا يجد ما يضره او يصرفه ولا يفتقد ما
 يحتاجه في وقت من الاوقات من جميع اللوازم والادوات فليت
 ما عدنا من الوكائل المذكورة بسندل ولو على التدرج بما يقرب
 من هذه الصورة

فقال الانكليزي لا يخفى عليك ايها الصاحب الفاضل
 والعالم العامل ان الامور مرهونة باوقاتها والاسباب ملازمة
 لمسبباتها ووقتها هذا ليس كالاوقات التي مرت على مصر فكان
 من يسير او يسبحها قبل الآن يحو حسين سة لا يرى مثل هذا
 الحان في مدينة من مدن مصر لانه كان غير لازم في تلك
 الاوقات بسبب فقر الاهلين واصححالهم وبذرة وجود الاعراب
 بها لعدم امنهم اذ داك فيها على انفسهم واموالهم فكان من يأتيها
 منهم ليقب على احارها او يطلع على آثار الماصيين من سكانها
 يكاد مشقات عظيمة ويصرف في الحصول على ذلك مبالغ
 حسنة ويستغرق ازمة طويلة ويحتاج الى مكاتبات للوصية عليه

ومخاطبات رسمية لعدم التعرض له وتخطات كثيرة على نفسه
وما له وما معه لان الفن كانت مستهجرة والاحوال لم تكن مستقرة
والاحوال متردعة والاهواء متخالفة فكانت الاعراب تعد دحولها
والاقامة فيها من باب المخاطرة لما ذكر ولا سيما لتسلط الامراض
الوبائية الدورية فيها على الاعراب في تلك الاوقات وكان ذلك
امراً مشهوراً بين اهل اوروا يصل اليهم في رسائل محررة مألوسة
مختلفة من ورد عليها وإطلع على احوالها وهذا فضلاً عن قلة
العلاقتى بين اهل مصر والاقطار الاخرى فكانت مصر في معزل
عن جميع الاحوال الناسية كأهل دارفور وكردفان الان وكل
جهة كانت مخصصة بما عندها محرومة من فوائد غيرها وكانت
الحكام والمتصرفون في امور العامة اذ ذاك مشغولين باحوالهم
المحاصة منهم كل منهم مقتصر في تحصيل معيشته وما يريد في
ثروته على اسباب فاسدة واعمال كاسدة كالقتل والنهب والسرقة
والسلب صارفاً كل فكره في الوصول الى مال غيره ولو باضراره
لا يبالى في فعله بجرمة ولا حل ولا يراعى حق صاحبه في نسب
ولا آل ففسد امر الناس وتضعص والمحط حالم وتزعزع لثقة
الناصر وعدم المصنف القاهرة فأهملت اسباب الثروة والتقدم
وآل امر اهلها الى القفر والعدم لتسلط الافات المتشوعة والعاهات
الكثيرة المستعظمة وتعطلت حركة التجارة والملاحة ولم يجد اهلها
من عدم الراحة ما يبلاء الراحة وتعطلت الارض من الزراعة

ووقع اهلها في اشد محاجة فلاجل هذه الاسباب انتقطع عنها توارد
الاعراب وقل تردد الحلق اليها وناقطاعهم عنها خلت افكار
اهلها منهم فعملوا ما علوا من خاناتهم ووكائلهم مناسبة لحال
انفسهم وعوائد امثالهم وربما كانت الحانات والوكائل التي وضعوها
فوق الكفاية اذ لم يكن المتصود منها الا الوقاية الوقفية مدة
الليل وعلى الخصوص الأمن من اللصوص واما بالنهار فلا لزوم
لها سبب اشتغالهم بما يلزم لقوتهم ومعاشهم وبهذه الكيفية كان
الغرض الحقيقي منها انما هو مأوى بعض الناس فيها بالليل ليس
غير بخلاف هذا الوقت فانه قد اطمئنت القلوب وحصل الامان
وساعد الزمان بوجود علائق المحبة بين الملل خصوصاً بين اهل
مصر وسائر الدول بحصول الامن على المال والنفس ووجود
انواع السهولة اللزمة للاسعار فاطمان العرب وامن وسهل
عليه مغادرة الوطن وهرع الناس الى مصر من سائر البقاع
وتواردوا عليها من جميع الاطراف بمقاصد ممدوحة وان كانت
مختلفة فمنهم من يقصد الإقامة فياخذ له بها مسكناً ويتخذها موطناً
ومنهم من يقصد التجارة ومعاملة اهلها فيجيء من بلده اليها ثم يذهب
منها الى بلده وهكذا على حسب مقتضيات الاحوال وسبب
اعتدال هوائها ولين طباخ اهلها وكثرة اخفانهم واعنائهم بالقدام
عليهم كثرت الرعة فيها لتغيير الهواء وتعديل المراج واكتساب
الصحة وبما اكتسبته من الثمن صارت قبلة لجميع اهل اوروبا

لا ينقطع تواردهم عليها وترددهم اليها من اول السنة الى اخرها
ولكونها من قدم الرمان مجمع تجارة بلاد العرب والسودان
كانت مركزاً يجمع فيه جميع التجار واصناف التجارة من جهات
المعمورة كافة وما راد في الرغبة في مصر ووسع في دائرتها وجود
سكك الحديد الموصلة لجميع جهاتها وسلك التلغراف المار بينها
وبين بلاد الهند واوربا فانقطع بذلك صياح الوقت واتصلت
الاجبار وحررت الامور باوقاتها من غير تطويل في الزمن ولا
زيادة في المصروف من كثرة وجود الاغراب عدم حدثت بالصورة
في البلد عوائد ومنها هذه اللوكاندات اذ لا ياورون الا اليها
ولا يمكنهم الاستغناء عنها لانه كما يقال في الامثال (من شب
على شيء شاب عليه) فمن ثم ظهر بالمدن التي ظهروا بها اولاً
حانات ومحلات للملاهي وقهاوه مشبهة لما في بلادهم ومما
لحال ثروتهم وكان اول ظهورها بالاسكندرية لانها الميناء والمرسى
للمراكب الواردة والصادرة واول بلد يزل به الغريب بعد مفارقة
البحر ثم سرى ذلك الى غيرها شيئاً فشيئاً وهكذا كلما مدت التجارة
اعصانها واستظلت القرى بظلالها واقتطعت اهلها من ثمارها كثرت
اثار التمدن والعمارة والتأس والحضارة وعماء قليل يتألمون
بالاغراب وثماكد بينهم الاسباب ويسعون في فعل ما يجذب
قلوبهم اليهم ويحسون امر ما بينهم ويتقل القطر ومنايه واحواله
واحوال ساكنيه ويكون هذا الانتقال ثمة وجود الاغراب ولو

شرحت لك هذا المقام لطال الشرح واتسع الكلام ولكن يكفي
 الآن ما قلته لك وسعود لهذه المسئلة فيما بعد هذا وقد جاء
 وقت الطعام فقم يا انت وولدك باكل وستريح وفي غد ان شاء الله
 يكون السفر والانتقال عن هذا المستقر لان وابور الوسطة قد
 وصل ويسافر عدداً بعد الظهر فقام معه الشيخ والغلام ودخلوا
 جميعاً محل الطعام فظر اليه الشيخ فوجده متسعاً وفيه خلق
 كثير من ساء ورجال وشان واطفال فدخله الحياء والهيبه
 لعدم اعتياده مثل تلك الجمعية العظيمة خصوصاً وقد رآهم
 جميعاً شاحصين بانصارهم اليه لمخالفة هيئته وملسه لما هم عليه
 ولما علم الانكليزي منه ذلك مارحه ومارحه وارال ما داخله من
 الحياء وقال لئ نعلم ان ما يلزم معرفة العادات والرسوم المختلفة
 بين اصناف العباد بحسب الكميات والافطار والبلاد لما في
 ذلك من عظيم الفائدة ناتساع دائرة الاطلاع والتمكن من تغيير
 المحس والتقيج من احوال الناس والقناع فقبل الشيخ منه تلك
 العسارة وقعد ثمره وقعد اسه الى حانه وصار يتأمل في هذه
 الجمعية وما كوها ومشرونها ووجد امامه على السرة ملعقة وسكينا
 وشوكة واقداحاً صغيرة وكبيرة لم يدرك ما المراد بها وكذلك ولده
 فاراد ان يستمعها عنها من صاحبها الانكليزي الا انها رأياه يتكلم
 مع من يحانه من الطرف الآخر فلم يريد ان يقطع كلامه ورأى
 امام كل واحد من المحاصرين مثل ذلك فانفقا على ان يصبرا

حتى ينظروا ما يصنع كل احد عما امامه من تلك الادوات وكيف
يتفنع بها فينعلا مثلها يفعل غيرها

وبينا هما في هذا الكلام دارت صحاف الطعام ورأيا كيف
يستعمل المحاصرون هذه الادوات والتفت الانكليزي اليها وعرفها
بما رآه قد يخفى عليهما واعلمها ان جميع ما يحضر لذلك الحل من
اللحم اصله ماحود من جزائري من اهل البلاد فضلا عن كون
اصحاب الحل من اهل الكتاب فاكل الشيخ واهله كسائر المحاصرين
واستعملوا بعض ما امامهم من الاقداح في شرب الماء القراح
ومركا ما اعد منها للراح

وقال الانكليزي للشيخ فيما بينه وبينه لما قصدت محصوركما
على هذه المائدة بين هؤلاء الناس المختلي الاحاس اب
تطلعا كما احببتمكا على الرسوم والعادات وتعودوا قبل دخول
اوروبا على مثل هذه الحالات وهذه المائدة قد جمعت اغرائنا من
بلاد شتى والجميع من اوربا بعضهم ورد من قبل تقصد السياحة
او الاقامة بمصر وبعضهم حصروا من مدة وقصوا ما رهم واغراضهم
ويريدون العود الى بلادهم ومن حملتهم عائلة انكليزية تريد ان
ترافقنا في وابور الوسطة الذي سافر فيه فان شئت واذنت
عزتك هم لانه لا يخفى عليك مرايا المعرفة والائتلاف بالناس
والمخالطة وحس العاشرة فقل الشيخ مه ذلك وقال هذا ما
ندب اليه سيبا صلى الله عليه وسلم حيث قال التودد الى الناس

نصف العقل وتعرف بهم وكان ممن حصر على المائدة بالقرب من
 الشيخ شاة طليانية تعرف اللغة العربية وغيرها فكانت تارة تكلم
 بها وتارة تكلم بلغتها او غيرها من اللغات الاجبية على حسب
 لغات المحاضرين وكانت نديعة الحال نادرة المثال ظريفة الشائل
 ثامة الجاش فصيحة اللسان لا تقتصر في كلامها على الالفاظ العادية
 بل تأتي بحاس الالفاظ اللطيفة والكات الظريفة وتدخل مع
 الرجال في المباحث العلمية والسياسية مع صعرستها فتحب الشيخ
 من ذلك واستعرب حالها لكونه لم يحد في ساء البلاد الشرقية
 امثالها فانه يراهن دائماً عن الرجال بمعزل ولا شيء عليهم سوى
 خدمة المنزل ولا يتكلمن الا مع اربابهن ودوي قراتهن وادا
 تكلمن مع الرجال يتكلمن بحجل واستحياء بخلاف ما رآه في الطليانية
 ومن معها من النساء اذ لم يجد يسهن وبين الرجال فرقاً في المحاطنة
 والمحاربة والمحاوره والمسامرة وكان يرى الخادم يبداء في تقديم
 الطعام من قبل الرجال وادا طلب شيئاً نادر فتقدمه اليهن
 من كان قريباً منهن لا فرق بين صديق وعريب واحبي وقريب
 فاكل منهنل ماكرامن كل الاحتمال ولا يأتي الا بما يسرهن من
 الاقوال والافعال فامعن في ذلك النظر واحال فيه فدايح النكر
 وقارنه في نفسه بعوائد ساء المشرقين ليظراهما افضل فرائى ان
 عوائد المشرقين احمل واكمل لاهما اعوب على حفظ الشرف
 واصون للعرض من اسباب التلب

ولما انتهى امر الطعام وحان وقت القيام توجهوا جميعاً الى
محل شرب القهوة فمنهم من اقام بها يقرأ صحف الاخبار ويحويها
ومنهم من خرج لاشغاله ومضى لحاله اما الانكليزي فتوجه مع الشيخ
لمحجرته ومعها برهان الدين وكان الانكليزي قد تعرض ما دار
بخطرات الشيخ في اثناء الطعام الا انه مع نفسه من الكلام في ذلك
المقام ولما استقر بهم الجلوس وساغ انداء ما حاك في النفوس

المسامرة الثانية عشرة البناء

قال الانكليزي قد اطلع سيدنا الشيخ في هذه اللحظة البسيطة
على كثير من عاداتنا واحوالنا ولا بد انه ادار نظره واحال فكره
في المقارنة بينها وبين عادات هذه البلاد وتامل فيها تامل اغتبار
وانتقاد من اجل هذه الفائدة قد رغبت في حضوره على هذه
المائدة

فقال له الشيخ نعم كنت اتامل فيما اراه من الاحوال لاسيما
في اختلاط النساء مع الرجال فوجدت في اختلاطهن فوائد لمن
من حيث انهن يلدن بما يريته ويعلمه من المحاذير والاحبار

وما يطلعن عليه من محاورات الرجال لكن ربما ترتب على هذا
 الاخلاط ما يجرهن عما هو اليق من من المصيانة والحياء لان
 كثرة المحالطة والملامسة بين الرجال والنساء قد تبصلي الى ضد
 ذلك فلا شك ان عادات المشرقين ارجح وراهم في احتجاب النساء
 عن الرجال اصح واصح اذ ذلك مما يوجب زيادة امتلاف المرأة
 باهلها ويؤكد ارتباطها بروحها وارتباطه بها وامه عليها ورضاها
 بحاله بخلاف ما اذا كانت تنظر لغيره في جميع الاوقات وتطلع على
 معاش الناس مع اختلاف الحالات فان ذلك قد يحرك عندها
 الشهوات ويحدد لها لوازم ربما اوقعت بينها الممارعات والمخاصمات
 فيؤل الامر الى الفرقة وحرب المنزل او اتقسام العائلة ولهذا
 المصالح ورد شرعا ناحيتهم واظن ان اصل شريعتكم لا يحالف
 ذلك وهو ايضا مقتضى اراء العقلاء والسلا واكابر الحكماء قال علي
 كرم الله وجهه اكفف ابصارهم بالحجاب فان شدة الحجاب خير
 لهم من الارتياح وليس حروجهن باصر من دخول من لا يوثق
 به عليهم فان استطعت الا يعرفن غيرك فافعل قال السمعي
 لا تاتمنن على النساء ولو أحمًا * ما في الرجال على النساء امين
 ان الامين ولو تحسب جهده * لا بد ان نظرة سيجور
 وقال عمر العاروق استعيدوا بالله من شرار النساء وكونوا
 من خيارهن على حذر

قال الانكليزي ان الذي ذكرت ايها الشيخ من المحدثات

لا يمنع من العزلة بالكلية لأن كل امرأة يمكنها أن تعلم كل شيء وهي في منزلها بأن تظهر من الشبابك مثلاً فتدري كل ما يمر بالشوارع والمجارات تعرف أوصاف النساء والرجال وأحوالهم فمن اجتهت خاطئته وما أعجبها فعلته وحيث يندر يكون حال من وقعت في منزلها من النساء كحال من تكون مع الرجال سواء سواء ومع ذلك والمرأة على حسب عوائدهم لم تمنع كل الميع عن الخروج من منزلها بل تخرج لزيارة أهلها وجيرانها وإحسانها من أهل البلد فيمكنها أن تطلع على صغائهم وأحوالهم وتعلم درجة ثروتهم في سائرهم وإذا أراد منها من الخروج فربما تعلقت بأن عليها ريجاً من الحن أو بها مرضاً من الأمراض فلا تستريح إلا بزيارة بعض الأولياء أو المصطفى إلى بعض النساء أو تريد الذهاب إلى الحمام أو صلة بعض الأرحام ونحو ذلك من الأعداد والحيل التي يمكنها أن تبلغ بها الأمل وهذا كله فضلاً عن أحوال المترددين إليها بجميع ما يكون من أحوال الناس وحوائدهم كل ذلك أمر مشهور وواقع في بلادكم فلو صرح لها بالذهاب إلى أي جهة أرادت لما عجزت بزيادة عما تعلم ولا ألم بها أكثر مما ألم فإن قلت أن في العزلة بعض صيانة لعرضها ومحافظة على شرف زوجها وأهلها فتقبل حروجهما من منزلها وبخاطمتها لغير بعلمها إذ ليست من تخرج متى شئت وتجمع بين أرادت في أي وقت كان مثل من لا تخرج إلا نادراً وسبب وطلة . قلت ليس هذا أقوى في الصيانة من التربية بين أهلها وإقرارها فإن حسن

التربية يرشدنا لما يجب عليها من الفروض ويكسوها حلل المروءة
 اللاتمة بها وروجها واقاربها فكما لا يكتب في مجرد العلم مع الحرية كذلك
 لا يكتب في مجرد العزلة مع الجهل بل لا بد في كلا الحالين من حسن
 التربية في الابتداء لانك تعلم ان حسن التربية يهدب عقل الانسان
 ويصفي طباعه ويعوده على الفصائل ويبعده عن الرائل هو
 رمام ذلك كله والقاطع لعرق الشبهة من اصله ولم ار هذه العادة
 المحالة لعادتنا الا في بعض مدن البلاد الشرقية فاحصاها
 بهذه المدن القليلة يدل على انها بدعة حدثت لاسباب طارئة
 فان جميع نساء الارياك وساء عربان البادية وبلاد العرب
 واهل المغرب وسواحل الشام وارص الحجاز لا يتجنبن عن الرجال
 وربما فن مقام ارواحهن في بعض الاحوال كاكرام الضيف
 والخذ والاعطاء مع الاحاب وكثيرا ما يكون امر المنزل وادارته
 موكولا الى رايهن وتديبرهن وقد رأيت فيهن من عاوت الرجل
 في اعماله الشاقة وهنا كله بالاخيار من غير اكراه ولا اجار
 فلولا ان المحكم بالعزلة لامر قهري وسبب جبري لما وجدت في
 المدن واظن ان هذه العادة ماحودة من الاعام وسرت الى
 امثال هذه البلاد عند دخول النار والترك بها واستيلائهم عليها
 فنشأ من عظمتهم وكبرهم احتقار غيرهم واكثروا للخدمة من الخواري
 وللفرش من السراي ولما اكثروا منهم خافوا عدم رضاهن
 هم فسموا حرمهم من الدحول والمخرج والاحلاط بالرجال

والزموهن البيوت والعرة عن سائر الاجانب وما يقوي هذا
الطن اتحادهم الاعاوات للمحافظة عليهم خارجاً وداخلاً فمخدم
ملارمين لمن موكلين بهن من قبل ساداتهم بحجروهم بكل ما
يحصل منهم من قول وفعل فتكوب العائلة دائماً في اضطرار
ورعب وعذاب خائفة من ان تزل او يقال في حقها شيء لسيد
المنزل وان كان هالك تلددات مندية فأظن انها وقتية وربما
كان غالبها تصعاً وتكلفاً وتطعماً لان اللذة الطبيعية لا تكون
الا عند تساوي المتحابين وحلوص الود من الطرفين وقل ما
يوجد ذلك بين السيد وحواشي او بين سراريه اد لا
مساواة بينها ولا نسة فكيف يوجد الحب او يكون للألفة اثر
بالقلب بل يكون بينها غالباً بعض وحشة وكبر وحيت لا يمكنها
الانفصال لا يسعها الا الطاعة والامتثال والاعاشة في ثم وبكد
وكبر مستقر الى الابد وما تراه حولها من المستلذات والمجولري
والمخدم والاعاوات وانواع الخلق ورحوة المنزل والملبوسات
لا يبيدها الا عما على عم وعيشة كعيشة من وقع بينهم عطر منشم
فيتزايد ضررها خوفاً من ان تمتنع به غيرها لعلها حيثد بدرجة
في السعة واليسار فلا تهماً بحال ولا يقر لها قرار

فقال له الشيخ انا برى هذه العادة التجارية عددا لارمة عقلاً
وشرعاً اما عقلاً من وجوهها . ان الطبع البشري لا يستحسن
ان يطلع احد على حرم غيره فصلاً عن حرم نفسه لما

ركب في طئاع اناث هذا النوع من الشهوة القوية الدائمة
التي لا تزال الدواعي لاختادها وكسر عاداتها قائمة في
كل وقت على خلاف نية الانواع الحيوانية فانك لا تجد
الانثى منها تتحرك شهوتها وتشتد غلتها الا في وقت معين من
اوقات السنة حسب ما طوى في ذلك الخالق الحكيم من ايجاد
النسل لاثاء سلسلة الانواع ولذلك تجد اناث الحيوانات ممتنعة
نفسها صادة ما يريدن من الذكور فكل امة من الحيوانات
التي طعمها التآلف والاختصاص كافية لتقا مؤنة صيانتها وربما
تقارت اوقات سورة الشهوات في بعض الحيوانات المؤلفة
فمكت غير الها من نفسها تحصل بذلك مثله يثقل فيها القوي
الضعيف وقد جعل هذا النوع داخل بحكم به ويمر ما يسغي
وما لا يسغي فلو ارسلت احاد هذا النوع على مقتضى شهواتها
لحصل من ذلك فساد عظيم لا يحصل مثله بين البهائم
ومنها ان النساء عند الرجال كالاسرار ولا تسمح النفس
باطلاع غيرها على سرها

ومنها ان مادي ميل النفس الى الشهوات اثما هو الاجتماع
والميل للنهي لا يكون الا بعد رؤيته فلذلك سمعت النساء من
التكشف بخصرة الاحاب وامرت بالاحتجاب عنهم عبرة عليهن
وكرر هذه المعاسد ولا تظن ان الميع من الاحتلاط خاص بالنساء
بل الرجال كذلك ممنوعون من رؤية النساء الاجاب والمخلوقة

هن ولكن لما كانت الرجال يخطئ الحكمة الأملية في التين يفتنون
 بتضائع المعاش وغار الدنيا بحو القلاحة والتجارة والصناعة اضطروا
 الى الخروج من منازلهم للأسفار وتخصيل معائشهم وإما النساء فلما
 لم يكن عليهن سوى خدمة المنزل الرمن تملأ رمتهم على ان المرأة في
 بيت زوجها لا يلزمها الا تسليم نفسها له فلم تجد للخدمة ولا للطبخ
 ولا للغسل الثياب ولا لكس البيت وبحودك بل كل ما فعلته
 ريادة عن تسليم نفسها فذلك من لطف طبعها وحسن عشرينها
 مع زوجها كما روي ان رجلاً خاف ما بين عمر بن الخطاب امام امارته
 يشكوله سو خلق روجه عليه فعد ان دق الباب سمع صوت
 امرأة مرتعاً على امير المؤمنين تسال من وتوديه فالتفت الرجل
 راحماً وقال في نفسه هذا حال روجه امير المؤمنين فانا اصر
 وكان عمر سمع دق الباب فخرج ووجد الرجل متصرفاً فاداه
 واستجده عن شأنه فقال وحدث عندك مثل ما حدث اشكو اليك
 منه فقال امير المؤمنين ان النساء يخدمنا بما لا يحب عليهن يغسلن
 ثيابنا ويصنعن حزننا الى غير ذلك من الاعمال الشاقة وانما هي
 لحظة وتسير فليحسن خلقك بحسن خلقك

وايضاً فما العائدة العائدة عليها او على الزوج من مخالطة
 الاحباب فصلاً عن الكشف عليهم حيث ان الزوج قائم بجميع
 تولدتها ولولام مدله فلا اقل من ملازمة منزلها اذ لا يعود من
 اخلاطها بالاجاب الا تضررها بزوجها او تضرر زوجها بها لانه

لو فرض أن زوجها فقير أو متقدم في السن واجتمعت بن هو أغنى
 منه أو أصغر لطرت معيشة زوجها وكرهت الإقامة معه وكذلك
 الزوج ربما عرست له حواطر بنفسية اجتماعها على أغنى منه أو
 أصغر فيؤثر الأمر إلى العفة وحرأ المنزل وكما أن الرجل لا تسع
 نفسه برؤية غيره لحرمه وكذلك المرأة لا تسع نفسها برؤية غيرها
 لزوجها إذ النساء أشد عيرة من الرجال كما هو معلوم وإيضاً فإن
 غالب ساء المشرقين بسبب تعودهن على القيام بالأمور المنزلية
 وبسبب حرارة البلاد الشرقية يتنعن من الخروج من المنزل
 بطمئن وإذا خرجن فلا بد لهن من الملابس التي تراها عليهن
 وقاية لوجوههن من حرارة الحواضر والأثرية لاهن لولس ملابس
 ساء الأفرج لأثرت العوارض الحوية على اعصائهن وإرالت بعض
 حاملهن ولذلك يرى ساء الأفرج لا يمتسبن إلا بالتمسيات حواً
 من تلك العوارض وربما اعتكفن في الأوقات الشديدة الحرارة
 أو دهن إلى بلادهن وجبت لم تكن عوارض البلاد واحدة لم
 تكن عوائد أهلها واحدة لأن النوع الإنساني محمول على أن يجعل
 أحواله مناسبة لأحوال نفعته التي هو بها ومن تأمل أحوال الأمم
 يجد هذا الأمر عمومياً فطباعكم مناسبة للبلادكم وطبائعنا مناسبة
 للبلادنا

وأما دلائل لرومها فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية المسببة
 على محاسن احتجائهم واعتزلهم عن غير محارمهم كثيرة

وفقد كانت العرب على عوائد قريبة من العوائد الأوروبية فكانت النساء يجاذبن الرجال ويهشدهن الأشعار ويأقطن الأحرار لكن كان أمر المحرمة وتصون النساء فيهن قوياً وكانت أمورهم مكشوفة لما كانوا عليه من ظهور الدواق ولم تكن متكاثرة عليهم الاستار المدنية محياء الإسلام وهم على تلك العوائد فقام العقلاء من المسلمين منهم عمر بن الخطاب فقالوا يا رسول الله تغيرت الأحوال وكثر الاختلاص واشتد اختلاط الناس بعضهم بعض من العرب وغيرهم وظهر الفساد من اختلاط الشباب مهلاً أمرت بالمحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أؤمر بذلك ثم أوحى إليه كما هو شأن الله معه حيث لا يوحى إليه حكماً إلا بعد اقتصائه بحكم تغير العوائد ومن ذلك الوقت تواترت الآيات والأحاديث بحجب النساء ومنعهن من الخروج وأحدثت الأخلية في البيوت ولم تكن قبل عهد العرب وشدد أمر المحجاب على التدرج فكان أولاً مع النساء من الخروج بهراً وكن يجرحن إلى التلار عند انقضاء الظلام فوقف عمر ليلة في طريق دهاب ساء النبي صلى الله عليه وسلم إلى التلار فرأى عمر إحدى أرواح النبي صلى الله عليه وسلم وهي سوداء ست رمة فقال قد عرفناكِ يا سوداء فرجعت ومنعني لئلا أيقظاً إلا من الخروج إلى المساحد للصلوات في موضع منها خلف الرجال كما هو ترتيب الصفوف الشرعي فلما أراد اجتماع الناس من سائر المواحي وصار غير العرب أكثر من العرب اجتهد

عمر اجتهاداً دينياً في بيع دواب الخيالات من الخروج الى المساجد حتى ان روجه له حاصته في ذلك وقالت من هو افضل منك لم يبع النساء من المساجد فتركها وجرحته الى المسجد محالفاً اليها الطريق وحاجها من حيث لا تشعر فضرها على عجزها ورجعت وهي تقول نعم ما رأيت يا امير المؤمنين فقد صد الرمان وملئ ذلك سعت الاشارة من النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال اجروا النساء يلزم البيوت

انما يلزم المرأة شرعاً اذا ارادت الخروج ان تستأذن زوجها لانها لو حرحت من غير اذنه كان على جهل من احوالها وربما يسوئ الظن بها فيحدث له عند ذلك اوهام ربما جرت الى النزاع او العرقه واذا ادن لها روحها بالخروج يلزمها ان تكون في هيئة الكمال والوفار على حسب الحال من الاعسار واليسار فجميع ذلك لم يكن فيه احتقار لمن ولا ارداء من بل هو من باب التعظيم والاجترام والصيانة اذ المرأة عند الرجل كالجوهر النفيسة يجب صيانتها عن كل ما يشينها او يشين عرصها كما ان الجوهر نعان عن كل ما يضر بلونها او يغير شكلها او يبحس قيمتها واما ما قد يقع من ان بعض النساء يخرجن من سائرهن او يتكلمن مع الاحباب وذلك لا يكون منهن الا لضرورة والصروفات تبيح المحظورات فان لم يكن الخروج والاجتماع لضرورة ولا عبر شرعي بل كان لمقاصد شهوانية فذلك نادر وهو لا حكم له بل الحكم

للقالب وهذا القادر كما يعق في سائنا ينعق في سائكم من غير
فرق بينا وبينكم

واما ما كان من امر الاعاوات فلم يكن اتحادهم امراً قديماً وإنما
هي بدعة دخلت بلادنا ولم تكن من عوائدنا السابقة ولا اللاحقة
ولم يرد بها شرع فلا يسب البيا ما خرج عن حدوده فيكم من
بدعة حدثت على ان هذه البدعة لم توجد الا عند بعض الامراء
لرغمهم ان الاعتبار لا يتم الا بها او انها علامة على العظمة وعلى
حسب حال الامير وتعدد روحاته وسرايره فتعدد الانطاوات ومع
ذلك لم يتصدوا باتحادهم لم الا اكرام النساء وتعظيمهن واما جميع
الاهالي على اختلاف طبقاتهم فلا يتحدون الاعاوات ولا حاجة لم
هم وان وحدوا عند بعضهم فذلك نادر ولا يكون الا تقليداً
سبب تشبهه بالامراء العظام فلا يحكم على الامة كافة بما وجد
عند البعض ولا يسب الى الشرع ما حدث بالبدعة فلم تكرر
العرب تعرف حصاء الاسان اصلاً وكان شائعاً في الروم فلم يرد
في الشرع نص في امر استعمال الحصيان هذا الاستعمال القائم بين
الناس غير ان الكتاب العزيز تعرض في احكام النساء الى الرجال
الذين لم تخلق فيهم الفحولة وهم المعر عنهم بغير اولي الارث والارث
حاجة الرجال الى النساء في امر حوله ابدأ ربهتم حكم ما تشاءها
وحرمتها الا على اجاس من القزاة وغيرهم منهم اولئك الرجال
فكان امر استعمال الحصيان من الامور الاجتهادية فلما اتسع

الاسلام ودخل بلاد الروم واطلعت العرب على الحصيان رأى
 امير المؤمنين معاوية رضي الله عنه رأيا مدهشاً بالقياس على غير
 اولي الاربعة حوار استعمال الحصيان فلما اقتنى منهم من اقتنى و اراد
 ان يدخله على بعض نسائه امتعت من ذلك فاحتج بكونه حصياً
 فقالت له ان المثلثة لم تحل له ما حرم الله ولم ير غيره من اهل
 الاجتهاد حوار ذلك فكان استعمال الناس للحصيان تقليداً للمذهب
 معاوية رضي الله عنه هو من الشرعيات الاجتهادية دون النصبية
 ولقد ترتب على ذلك من الاثار المدمومة ما لو اطلع عليه معاوية
 لكان عساه ان يحكم بحريمه فقد بطراه على الخلق ما ليس من
 طوائفها ويحدث في عوائدها ما يحالف دينها وشرائعها وبعد ذلك
 لا يمكن ازالته فيكون كالدآت التي تستحكم بالحكم فتوهه ويجتهد
 من احليها في الشعاء منها فلا يمكنه ومن هذا القبيل الاغوات
 بل هم اصر على ساداتهم من الداء بدرجات فان ضرر الداء قاصر
 على صاحبه واما ضررهم فيمتد من رب المنزل الى عائلته وحاشيته
 واقاربيه فمن تأمل حال الاغوات مع ساداتهم وجد ان السيد
 ما حطب لنفسه الا صرراً وما اكتسب بالتجاهل الا محالة الشريعة
 العراء وتمكين غير عشيرته من الحكم على اهل بيته وعائلته مع ان الامور
 المطلوبة منهم يمكن الحصول عليها بغيرهم كأمراء عجم او ست او
 ولد صغيرين وعلى اي حال فعائدتهم لا تني بضررهم لان غالب
 النزاع والفساد الذي يوجد في البيوت لا يكون الا بسهم لما

يلقونه من العن بين السيد وعائلته أو بين العائلة وبعضها أو بين صاحب البيت وإحايه بما يحرّفونه من القول والفعل ويخلفونه من التزوير الذي ليس له أصل وكثيراً ما يكونون سباً في غضب الزوج على عائلته وشدود الروحة عن طاعته أو حروحها من بيته فيكون سباً في روال نعمتها وعدم الراحة بينها وبين رب المنزل وبالحيلة فلا حصر لما يشاء من أقوالهم وأفعالهم بل كثيراً ما اتفقت الأغاوات والمحرم على اتلاف رب المنزل وفقدته وكتب السير مشحونة من هذه الأحرار وفي ذلك عرة لاولي الأنصار

فقال الأنكليزي كيف من يكون قدوة لغيره يحرف عن الصواب ويبدل مدحاً لم يكن لحسه في الشريعة ولا في العقل نأب فان الأمراء بالنسبة للرعية في كل رمن على الإطلاق كالكوأك والشمس المصبغة في الافاق فكما أن كل أحد يأخذ منها ما يلزم لحياته من الحرارة والضوء وما بقي به نفسه من السوء كذلك الأمراء تأخذ الرعية من عوائدهم وإحلاقهم ويتقنونهم في أقوالهم وأفعالهم فاهل القرى يقلدون مشايخها وعمدها وأهل المدن يقلدون أمراءها وأعيانها وكذلك الأمراء تقلد ساداتهم ورؤسائهم فان كانت الأمراء سائرة سيراً حسناً انتشر ذلك في أفراد الرعية فصلاح حالها وقويت شوكتها وعلت شهرتها والآأقلب الحال وأحد في الأضمحلال فان الناس بالنسبة لأمرائهم كالاطفال بالنسبة

لعلهم وذلك امر ظاهر لا يحتاج الى دليل ولا توضيح ولا تمثيل
فكل أحد يجب ان يتشبه به على حسب طاقته فكما ان
الذات تسري بالملامسة كذلك عوائد الامراء تسري لاتباعهم
وتنشر من بلد الى بلد حتى تم الفطر. الا ترى ان اصحاب الوظائف
تتع لرئيسها فان كان الرئيس قائما بما يجب لها مؤديا جميع حقوقها
قام كل مهم بها هو معروض عليه من غير كسل ولا تساهل
ولا ملل وتحصلت ارباب الحقوق على حقوقهم باوقاتهم والعكس
بالعكس ولا يبقى عليك ان كل انسان لا يلود به الا من يشاكله
ويحاسه وفي اوصافه بآئله واصحاب الكناثر من الامراء لا يلود
هم الا مثلهم وكذلك ذوو العوائل منهم وهكذا اهل كل منزل
بالسنة لرب المنزل فاحلافهم وعوائدهم مكتسبة من اخلاقه
وعوائده فان اكثر من المواقف والملاهي وانواع الشهوات سرى
ذلك في اهل بيته وعائلته ودرجته وان استقام وقام بها يجب عليه
حق القيام تبعته عائلته ودرجته وحاشيته وقياسا على ذلك حال
كل راع مع رعيته فان حافظ على ناموس شريعته وقوانين ملته
تبعه رعيته فكثير حيرها وان سلك طرق الفساد انحل امرها
وانتفع وفسد حالها وتضعف ومن يهمل احوال المتقدمين يرى
ان كل طائفة تع لسير من تبعته هارة ترتفع وتارة تنضع فكم من
قوم مصى عليهم اوقات رهو وظهور ثم انحط امرهم بعد ذلك وقصمت
مهم الظهور ثم بعد انقضاء مدة من الزمان عاد لم حاله الاول

أو أحسن مما كان وذلك كما يحصل لدرجة الرجل من العقر
والعاقبة بعد موته وإن كان ترك لها أموالاً وغاراً وعراً ووقاراً
صبيح أثرها بالكلية وبعد زمن يتحدد لها رونقها الأول على يد
ناجب من الدرجة لم شعنها ويصلح وعنها فيعود لها مجدداً ويرجع
إليها سوء ذمها ما ذاك ألا لتعريض الدرجة وحرونها عن الحدود
الاصولية ولو حافظوا على محرم وشرفهم وانعوا قوانين سلمهم ورفضوا
اغواء الغاوين ولم يقتدوا برأي المستدين لاستمروا على سعدهم ولم
يخاضوا إلى من جاء من بعدهم بل ربما رادوا عن الأصل وتضاعفت
عليهم حلال الفضل ولا سيما إذا أهم الخيال ذلك ما يعلمونه من
الاصطلاحات المتحددة بتحدد الأحوال والأوقات فإن الصبيحة
لا توجد عن اشتها بالفساد أو عرف بدناءة بين العباد لو كان
من المتعلقين وأهل العاق لو من أرباب المعاصي على الإطلاق
لأن مثل هؤلاء وإن حلت معلوماتهم وحلت كلماتهم لا يتصدون
ألا التوصل إلى اعراضهم فلا يصلحون دليلاً في الأمور الدينية
ولا قدوة في الأحكام الدينية بل لا تؤخذ الصبيحة إلا عن عهد
عليه الصدق وعرف بين المخلق ما تناع الحق وكذلك الشريعة
لا تؤخذ إلا عن أربابها والكلام في هذا المعرض متسع وإن
أردت الريادة في وقت آخر تستمع فإن ما قلته لك بعض ما
يقال أقال الله عزتك في من يقال

قال الشيخ ما أحسن هذا الكلام وأوصله إلى أقصى المرام

فان الصبيحة لا يكون لها تاثير حتى تصدر عن حر الطبع تقي
الصع بالعصائل بصير كما يحكي اب رابعة العدوية وقفت يوما
على واعط حوله حم غدير وهم عنه لاهون فقالت له كيف يداوي
العليل من هو سقيم فاشد

محمد علي ولا تركن الى عملي

يمعك علي ولا تضرك اوراري

اب الرحال كاشحار لها ثمر

فاجن الثار وحل العود للبار

فقالت له لا والله حتى يكون عملك على وفق عملك

واشدت

اندا سفك فاهها عن عيها

فادا انتهت عنه فانت حكيم

لأنه عن خلق وتأتي مثله

عار عليك اذا فعلت عظيم

نصف الدواء لدي السقام ودي الضما

كما يصح به وابت سقيم

فعد ذلك قام الواعظ واجتهد في تطهير قلبه وسعى المساعي

الحميدة فمرت عليه بعد ذلك ذات يوم فوجدت من حوله ما

يس ناك ومغشي عليه فقالت له كيف رأيت فكي وقال

نعمك الله ياسيدي ونعم بك

قال الانكليزي كذلك يكون فان مسح الحبر طهارة يقتدى به
من العلماء والامراء وها نحن قد تهيأنا للسفر فان كان في بيتك
تحرير خطاب للعائلة فاكتمه الليلة فان مركب الوسطة يقوم
بعد ظهر غد ومنى طلع النهار اشتغل الانسان بأمر شتى وربما
يطرا عليه ما يسبه او يحصل له شاغل يلهيه فقال له الشيخ حررت
عني حبرا فقد اظهرت ما اضمرت في نفسي ان اسألك عنه

المعامرة الثالثة عشرة الوسطة

فقال الانكليزي الامر الان ممكن من غير صعوبة لان الوسطة
بالديار المصرية وكذلك في البلاد الاوروباوية مصلحة قائمة بداتها
من شأنها استلام الخطابات والمحابات من اربابها باجرة معلومة
على حسب ورثها وهي ملرومة توصيلها الى محل ارسالها مع غاية
الامية وهذه المصلحة ليست مخصوصة بتوصيل المحاطات بل
تستلم النود والمحاور والعواير المرسلة من قبل التجار كذلك ولها
قانون تحري على مقتضاه ولها خدمة مخصصون بها لم مرتبات على
قدر وظائفهم وناظر عمومي وحساب تلك المصلحة يقطع سوبا

معرفة ناظر المالية

قال الشيخ "وهل هذه المصلحة محصورة بأهل مصر وإسكندرية أم عامة لجميع الكهات المصرية من المدن والقري وكيف سهولتها في القل"

قال الاسكندري انه سهل جدا بواسطة وجود السكة الحديد لان المصلحة حمل لما حمله مكاتب في المدن وبعض محلات شهيرة في الكهات الحرة والتلية من القطر وفي المدن الكسرة مكاتب مركزة والمحطات بعد نظريتها وحتمها بوضع بعواها الكهات التي يراد الارسال اليها واسم الذي تسلم اليه ثم توصع في صادق او علب على هيئة محصورة مثبتة في حائط المكاتب ثم تجمع هذه المحطات وغيرها في المكتب المركزي في اوقات معينة وتوصع في محال او علب تسلم لاحد مستخدمي الوسطة مع النقود والاشيا الثمينة ان كانت تقتضي سدات بيد اربابها فياحدها احد الخدمة المذكورين ويسافر بالعبرة المحصورة لذلك وعند مروره على كل محطة يسلم لوكيل الوسطة الذي في تلك المحطة ما كان مختصا بمهنته وهكذا . ثم يصير توجيهها الى اربابها بعبرة الوكلاء يقتضي سراكي معلومة بينهم واما الاجرة فتارة تؤخذ من المرسل اليه وتارة تاتي له خالصة الاجرة اذا كانت دعت وقت الارسال ويعلم ذلك بعلاهاات توصع على ظهر الظرف معروفة بما بينهم وبما ذكر صار الامر هيا وهذه من فوائد تلك

المصلحة ومنها انه يجآتي بها للتجار الوقوف على حقيقة تجارتهم وأجراء
 حركاتها بالسرعة التي يريدونها فان اراد احدهم الوقوف على
 امر شريكه او صاحبه او من يعامله ارسل الحمر بالتلغراف فيأتيه
 الجواب حالا ولا يستغرق الا بعض دقائق وان كان الامر يلزم
 له زيادة توصل ارسله بالكفاية في الوسطة على الوجه الذي ذكر أولا
 وفي بعض الاحيان يرسل الحمر أولا بالتلغراف محملا ثم تبعه
 بطريق الوسطة مفعلا من ذلك حصل لامور التجارة انقلاب
 حسن محسوس بسبب سرعة تواصل الاحبار بين مراكز التجارة
 وهذا بخلاف ما كان في الارباب السابقة لان الاحبار اذا كان
 كانت لا تصل الا بالمكانة فكان يمضي عليها ايام في اثناء السفر
 وربما لا تصادف الوقت المطلوب وهذا كان يصعب على التجار اغلب
 العرص لانها كانت تابعة لسير تنويص لاحظ للطرفيه كما تحكم
 به طبيعة الحال واما الان فقد تمكن التاجر في وقته وساعته من
 العلم بما يلزم مشتراه وما يجب التصرف فيه وبما راج منها وما كسد
 اد بواسطة التلغراف والوسطة في البر والبحر صارت جميع بقاع
 الارض متصلة بعضها والاحبار واردة من جميع جهاتها مع السرعة
 التامة اد في ظرف الاربع والعشرين ساعة تم الاحبار جميع
 جهات المعمورة ولا يحصى عليك ان النوع الانساني بحسب ما
 جل عليه من تطلعه ريادة السعة تحدد في معلوماته هذا السر
 الذي كان كاما في الحلقة فاستعمله واتسع به فرائد بذلك ثروته

واما في الارمان الساقة فكانت المحاطبات والاخبار بطيئة الوصول
 لانها كانت ترسل مع احد الاحباب او التوجهين للجهات فيطول
 الزمن ويضيع وقت انتهار العرصة الى ان حصل بعض رفاهية
 وتقدم فاتحدت السعاة ثم التحيل وبعد ذلك وضعوا سطا على
 ابعاد متساوية فكانت هذه الطريقة اسرع من الطريقتين قلها
 لكنها كانت في مداه الامر خاصة بالملوك والامراء ولم يصح لعموم
 الناس بالانتفاع بها الا فيما بعد فاتسع هذا الامر واستعملته جميع
 البلاد وحسنت قوانينه فعم نفعه ولما فشا امر التجاره واتسع في الدر
 والبحر وزادت علائق التجارة بين الملل احناحو جميعا الى استعمال
 هذه الوسطة للحصول على متصودهم في اقرب زمن وقد كان حتى
 صار من احسن نظمات الدول واكرم مولف بين الملل وكانوا
 قديما في البلاد الشرقية كمصر والنام يستعملون الحمام في توصيل
 الاحبار كما يعلم ذلك من اطلع على توليخ المتقدمين ويقال ان
 اول استعماله كان من رشيد الى دمياط وقد اختلف في اول
 من رتب الوسطة ونظم لها اربعة مورعة في الطرق فذكر بعض
 المورحين انه (دارا) ملك العرس وقبل (دارا) ملك (الديلم) وفي
 بلاد الروم (قيصر) وفي بلاد فراسا شرماني فوسعوا في دائرتها وما
 رالت جماع امرها شيئا فشيئا الى ان صار لا يحلو قطر من الاقطار
 عن الوسطة حتى انه يوجد في بعض المدن الكبيرة مثل النحوت
 بوسطة مخصوصة تنقل الخطابات من حارة الى حارة فينبه خادم

الوسطة من غير انحراف ولا سوال من احد الى ان يصل المنزل الذي
 يقصده وذلك لان رسم المدن وحرطتها مبين فيه اسماء الحارات
 ومواقعها والعطف والشوارع والبدية قاموس وحرطة ودعتر مشتمل
 على اسماء السكان ووظائفهم فمضى راجع الخادم المخرطة والقاموس
 انتهى لمقصوده فيتم مامورته من غير مشقة الا ان القاهرة وان
 كان بها ثمر موضوعه على الممارل والحارات والعطف لكنها غير
 كافية حيث لم يكن للسند رسم ولا قاموس من ذلك يحصل
 لخدمة الوسطة في اداء الوظيفة بعض مشقة لكن اذا اخذ المسافر
 قلب سعه الاحتراسات اللازمة بان اتفق مع بعض اصحابه او
 خادمه على التوجه للوسطة في ايام معينة ليأخذ الخطابات ان
 كان هناك امتعت الصعوبة وكذلك اذا اتفق مع احد من
 الناس المشهورين ويمرر خطاته ويجعلها في ظرف ويكتب علي
 طهره اسم ذلك الشهير فيكون كالوكيل عنه

فقال الشيخ لم يحظر هذا الامر سالي ولم اعرف غير ما كنت
 اعلمه من قبل حين كنت ارسل بعض خطابات لوالدي المرحوم
 فكنت اذا اردت ارسال خطاب انتظر اليوم او اليومين فلا احد
 من ارسله معه وربما اتوجه بالخطاب الى ساحل البحر لأعثر
 بعض التجار فلا احد احدًا من اعرفه فارح ثم اعود واذا
 صادفت منهم احدًا واحده مي فكثيرًا ما يقعد واذا سهل المولى
 ووصل الخطاب الى والدي لا يأتيني حواه الا بعد شهر من

نارنج الخطاب واما هذه الكيفية فقد سهل الامر الا اني لا اعرف احداً من مشاهير مصر لاني مدة اقامتي بالجامع الارهر ما كنت اخرج منه الا الى منزلي بسبب اشتغالي بطلب العلم وكذلك نعمة المنزل لا اعرضها لاني ما كنت ارى لمعرفتها لزوماً خصوصاً والمنزل ليس ملكاً لنا فاذن ان الحالة ما حالت والصعوبة ما رالت

فقال الانكليزي لا بأس عليك في ذلك ولا عدم الدهر وحوادث امثالك خطائك ارسلها مع خطائاتي لاحد احبابي بالقاهرة والرمه توصيلها الى اهل منزلك واؤكد عليه باخذ المکتوب منهم وارساله اليها وشكره الشيع^ه ودعائه وانصرف الانكليزي ليتقضي اشغاله

المسامرة الرابعة عشرة
المكاشفة

واما الشيع فاحرح الدواء والقرطاس واعتزل هو واسسه
بعيدين عن اعين الناس وحرر خطانا لروحته ضمه بصائح وحكما
من فكرته وصورته

السيدة المصونة والذرة المكنونة من لا اصرح باسمها ولا يغرب
 عن خيالي لطف طبعها ورسمها حضرة قرة العبيد وروحنا
 ان شاء الله في الدارين . اما بعدت الاشواق وابلاغ
 ما اكاد من الم الفراق معرك انا بفضل حائق البرية
 قد وصلنا بالصحة والسلامة الى ثغر الاسكندرية وعمشئة اللطيف
 القادر تركب البحر في غد ونسافر صحة رفيقي وعريري حضرة
 المحواجا الانكليزي قاصدين بلاد الانكليز فلاتهمني امرا ولا
 تشتغلني بعباسا وسفريا وحلاصة القول بالاحصار والابحار انا
 في عاية من الاعرار شاكرون من صاحبنا لزيادة نعماته ومواساته
 يريد تفصلاً واريد شكراً * فذلك دأبه انا ودأبي

واما ما كان من امر ولدنا برهان الدين فقد اخذ في سادي
 اللغة الانكليزية واصول اللغة العربية وان شاء الله بركة دعاء
 والديه يحصل على ما تقرر به اعيننا وتشرح له حواطرننا واني
 لراصد عنه لما فيه من الادب والامثال والاحتياط ما من يوم
 الا وتظهر عليه نشائر العلاج وعلامات العناية والنجاح فسال الله
 ان يعقبه في الدين ويمن عليه بحسن القريب حتى يجمع اهله
 والمسلمين

واما من قبل ما عندك من الاحوات والاولاد فارحوك ان
 لا تكتفي عنهم شيئاً من طرق الرشاد وان تكرري عليهم ما جمعناه
 في كتابنا المؤلف ايام طلعا الموسوم بالارشاد لتربية الاولاد

ففيه الكفاية والاولى عدم ارسالهم الى الكتاب لتكون تربيتهم في المنزل تحت نظرك وتلاحظي حركاتهم وسكناتهم واخلاقهم فاني احشى من احتلاطهم بغيرهم من الاطفال ان يتطعموا بطبايع غير مرصية فتصرهم في كبرهم لاهم الآن في سن التعلم والواجب ان تصان طباعهم مما يحشى عليهم مه فان انت احتريت لم محلات من محلات المنزل وبقية من الاثربة والاسواح والتمائم ووضعت فيه حصيراً او شيئاً من المروشات كان اولى من ان توجهوا الى الكتاب فتسح من التراب ملاسهم وتضييق من القعود على الللاط مافسهم ويدب اليهم القمل من كل حدب فيجل بصحتهم وربما شأ مه ذاء الحرب خصوصاً ولععض المؤذنين عوائد قبيحة فلا تعرض اولادنا لما اقلها تكرار شتم الوالدين والاتيان بحكايات كاذبة وعبارات فاسدة يكررونها من اول النهار الى اخره ما دام الطفل عندهم وربما يحبطها فتضر تصوره وعمله فاني الى الان راسخ في ذهني ما كان مرتبه عليّ مودني في صغري ان اتني له شيء من المنزل فكت اتحایل تحایل الاصوص حتى احلسه وأتيه به وان امتنعت او اتيت باقل مما طلب توعدي او ضربني وكان احياناً يعاملنا معاملة المحرم مما من يخدم الروحنة فيلأها الرير ويكس البيت ويعص الحصى وما من يخدمه هذا بهيئة لة غداء ويهليه وهذا يلأ السيل ويوصيه وهذا يدق لة الشوق وهذا يجمع لة البوى من السوق وهذا يجمع القوايح للقهوة وهذا

يكون بيده مفاتيح السهوة وهكذا ولا يحى ان الطفل لتصر عقله
لا يعلم ما فيه مصلحة لنفسه فيميل بطبعه للعب فكما يحب خدمته
أكثر من حبا للتعلم فكان كثير من الاطفال تنصي عليهم عدة
سين بلا فائدة فان تعلم شيئا كان ضرره أكثر من نفعه وربما
أكتسب في مدة الإقامة اوصافا ذميمة فتصير له كالطبع ويتعذر
على اهله تحويله عنها فيما بعد فتستمر معه قية عمره فارحوك ان
لا تمنعي الاولاد الى الكتاب ولا عليك ما يلزم لهم من المصروف
قد غهرني الله سعبته واجزل علي عظيم مثته ولا يحفك ان من
هم ما يجب على الانسان في ماله ما يصرفه بديرية اولاده ولذا
أكاده وانت تعلين ان اولادنا ثمار قلوبنا وعاد طهورنا ونحن لم
مما ظليلة وارص دليلة فان عضوا فارضيم وإن سألوا فاعطيم
وإن لم يسألوا فامدئيم ولا نظري اليهم شررا فبلوا حياتك
ويشملوا وفاتك وبحس التربية يصلح حالهم ويعلو بين الناس
شأهم ولا شك في انك تحين ان تظهرى نعم الله عليهم فتاتي لم
بما يوافق حالهم من الملبس والمأكلا فان فعلت ذلك ورأيت
هم واشركهم معك في الاقوال والافعال وسلكت بهم طريق
التدريج ثنت في ذهنهم ما تلقيه اليهم من القواعد الدينية
والالفاظ الادبية وكلما تقدموا في الس قويت قواهم الدينية
وحواسهم العقلية فاذا بلغوا اشد لم لا يكون للاوهام العاسدة على
عقولهم تأثير فيثبت يقينهم ويصح ايمانهم وبما يعودونه في الصغر

من الاخلاق المرضية تعطف نحوهم القلوب ويتشرب بين المخلق
سيرة حسنة ومن حسن سيرتهم وخلوص نيّتهم وسريّتهم يغمّرهم الله
بعبته ورضوانه ويدخلهم مع الذين اعم عليهم غرف جنانه وإذا
احتوت مؤدنا فالاولى ان يكون موصوفاً بأوصاف اهل الكمال
ذا فقه ووقار وسكينة وحلال وان يكون في من الحساب كاشفاً
عن وجه محدراته القاب وفي من الالعة والأدب كأنما حفظ لسان
العرب وفي العقيدة اشعرياً وفي الاخلاق احمياً وفي علم السير بجراً
وفي الحديث كأنما تحت بحرّاً ولا يلزم ان يقيم معهم طول سهاره
بل يكفي ان ياتي لهم في وقت معين والاولى ان يكون بعد وقت
افطاره ثم يخرج بعد ان يقسم لهم اليوم نصفين نصف يشتغلون
فيه بالمطالعة والمداكرة والنصف الاخر يلعبون فيه والاولى ان
تكون حصّة اللعب مختلطة بين اوقات التعلم والمداكرة لئلا يطول
عليهم الجلوس فتحمّد فكرتهم وتضعف سيرتهم وارحوك مع الضرب
مطلقاً وان تسلكيهم طرق النصيحة والاسباب الموجبة لزيادة
الاجتهاد وصفاء القريحة كان تهدي للجهنم منهم بعض تحف
من ملس او مأكّل او كتب او مصحف وبحودك ما تميل اليه
الاطفال على حسب ما يظهر لك من الاحوال فان ذلك ناعث
لغيرهم وازدياد رغبتهم أكثر ما يكون بالادى والضرب فان
الضرب يوتر في الاعضاء الطاهرة فقط وبعد برهة من الزمن
يرول كأن لم يكن بخلاف ذلك فانه يوتر في الماطن وتنفى لنتها

لمن اغتصبها ولها لمن يحرمها ما دامت الهدية وايضا فان الضرب
 يحرك الشهوات العصبية عند الصارب فلا يقف في ضرره عند
 حد العقاب بل يتعداه لما يحظر في ماله من سوايق دنوب
 المصروب وربما اضر باعضائهم او ترتب على الخوف والرعب
 اللعش عما يجلبهم من يده فينجحون بكل ما امكنهم من المنجج من
 غير تغيير ريب قبيحها وجليها حتى يحوّل من يده وربما انحأتم
 الإحتياجات والتعللات الى اسباب الدماء وحسة الطباع فتبقى
 فيهم طول عمرهم وحيث ان مقصود الاباء في تربية اولادهم ليس
 الا اكتساب الشرف من الواجب ان لا يعرضوا اولادهم حال
 صغرهم لما يجلب هذا المقصد وان يختاروا لتربية اولادهم مؤدبين
 موصوفين بالادب والرافة وحسن العال حتى لا يصدر عنهم
 الا ما كان حسنا وسهبا ما عديم من الرافة يعاملون الاطفال
 بما ياسب سنهم فيبتدئون لهم بالكلمات الصغيرة والحكم القصيرة ثم
 منها الى ما فوقها وهكذا فيملون من انفسهم الى التعلم وحب العلم
 خصوصا اذا ارشدهم الاستاد على ما في كل كلمة او حكمة القاها اليهم
 من العائدة الدقيقة واستعمل في محاطتهم الالفاظ الرقيقة وارجوك
 ان تعلمي مصيحتي وان تحريبي في كل خطاب ترسله الي عن
 حال كل منهم ودرحه خصوصا عن حال احوالي السات وقد
 اتفقت مع صاحبا الانكليزي على ان يكتب لصاحبه بمصر باستلام
 ما ترعنين ارساله من الخطابات وهو يرسله اليها ولا ناس ان

تُحرفني بما عندك من احبار اللاد لان الانسان في غرضه يشاق
الى مستط راسه واصل ترجمه وفيما سطرته في هذه الدفعة كفاية
وان شاء الله تعالى اشرح لك جميع ما اراه وباسب ذكره من
المحادثات وامور اللاد التي تقصدها لتتقي على اثارنا وليكون
عندك علم من احارنا

واما ما تعديبه من اكيد الود وقدم العهد هو باقي لا يغيره
بعد ولا فراق ولو علمت ما في من تذكرني اياك حال اغترابي لم
ترقاً لك دعة ولم عهداً لك لوعة
اما وحلال الله لو تذكرني

كذكربك ما كفكفت للعين ادعها
وانت تعلمين ان هذا السر لم يكن لي سأل ولم يكن له في
حاطري محال ولكن ما قدر يكون وكما قدر بالسفر والعياب يقدر
بالعود والاياب

الناس في طلب المعاش وإنما * بالحد يرق منهم من يرزق
فكوني من الصيانة علي ما اعهد واحفظي ذاك الود والمهد
وتذكرني ما كان من امر الطائي مع نديم العمان وما جمعاه اوقات
المسامرة ولا نأس هلاوته على الاولاد اوقات المذاكرة واستديمي
الاحتجاب واذا تناولت شيئاً فليكن من وراء حجاب وبلغني الاولاد
والاحوات اني راص عنهم ما داموا على الاستقامة وقد تركت لك
عشرين جيماً كل شهر عارة عن ثمانية وسعين الف فضة ياتيك

بها وكيل الخواجا في احر كل شهر كما حرره له بذلك واذا لزم
 الامر لاكثر فاطليه من الوكيل المذكور على سبيل الاستقراض
 فقد ادن له صاحبا الخواجا بذلك اغنى الله عليكم حيره التحريل
 وردنا اليكم الرد الجليل حرره سانه وحرره بيانه
 القدير علم الدين
 خادم العلم الشريف

المسامرة الخامسة عشرة الملاح

وحتم الخواجا وظرفه وعد الصاج توجه الى الخواجا واصله
 له فاحده مه ووضع داخل مظروفه وارسله الى الوسطة ثم
 توجهوا جميعاً الى مكتب الكومانية لاحد تذاكر السفر فاحد
 الخواجا الشيخ وولده تذكرتين من الدرجة الاولى اكراما لما ثم بعد
 ذلك توجهوا الى اللوكدة واخذوا امتعتهم وانزلوها بعرة وتوجهوا
 الى ساحل البحر ومن هناك احد الخواجا قارنا وساروا الى اب
 وصلوا المركب فتحولوا اليها واحد كل منهم في ترتيب امتعته في
 القمرة المعدة لهم وبما السبح يقرأ آيات التمجيد ويذكر ربه في نفسه

من غير تليظ ويملو ورد البحر وحرك وأذا بالمركب للسير محرك
 هوام الانكليزي ابرعاج الشبح من ركوب البحر كما كان غنبد ركوب
 وابور الرفاني اليه فاقبل بعذب الفاظه يسليه وقال يا حصرة
 الشبح لا تنزع ولا يكن في صدرك من ركوب البحر حرج

فقال الشبح يا حصرة الخواجا ومن كشف عن غامض العلم
 سياحه ليس الامر كما فهمت وبما تذكرت الامل والوطن فهمت اد
 لا يخفى عليك ما ذا البصيرة ان في هذا الوقت تذكر الانسان
 اولاده وعشيرته واحواده ويحى الى احبائه ووطنه وملعب اترابه
 وعطنه وبأسف على مفارقة ما لوفاته وما تعود عليه ايام اول حياته
 وقد انصم الى ذلك ما خطر بباله ما يكون اليه عد انتهاء السفر
 ما لي وكيف تكون هناك الاقامة وهل اعود الى وطني بالسلامة
 فقد قيل من علامات الرشد ان تكون النفس الى بلدها تواقفة
 وإلى مستط راسها مشتاقفة ولا يخفى عليك ايها الرفيق ما اوصى به
 نبي الله يوسف الصديق ان يحمل تابوته ليدفن عند ابيه الى ان
 جاء موسى الكليم فاحرقه من المم وحمله الى مقام ابيه ودفعه ثم
 وما ذاك الا لحب الوطن ولكني تناسيت هذه الاوهام وتاسيت
 قلبي من الم هذه الاستقام وتاسيت بما قاله الافاضل الاجار في
 مدح التفلات والانسفار منها قول سيد الدوي والحضر . لو يعلم
 الناس رحمة الله للمسافر لاصبح الناس على ظهر سفر ويقال الحركة
 ولو د والسكون عاقر وقوله

وما في الأبلدة مثل بلدتي * خيارها ما كان عوناً على دهري
وقوله وكل بلاد لو طشتك بلاد

وغير ذلك ما لو استقصيته ما احصيته

ولما كان الشيخ من العلماء العاملين لم يكن عنده من هذه
الأمور إلا مجرد تذكر وخطور وإما قلبه فكان في غايه الراحة
والاطمئنان مستحصراً تغيرات الزمان وتقلبات الحداثان دائم التذكر
لهول الله الواحد القهار قلب الليل والنهار مثلاً لهجة وسروراً
مستغاداً لمتنص قوله تعالى كان ذلك في الكتاب مسطوراً

فالتفت حصرته الى الانكليزي وقال له لا يشك عاقل ان
كل صفة تدل على صانعها وعظما يدل على عظمه ومن اعظم
الادلة على عظم الخالق وقدرته خلق هذا البحر وتسميته فانظر كيف
احراه بقدرته وحمل له مسالك تدبير حكمته وخلق فيه خلقاً
متنوعاً الاشكال وحمله مفرراً للجواهر والالال وحص كل نوع من
ذلك بمافع واسكبه فيما شاء من المواضع فسبحانه ما اعظم شأنه
واظهر برهانه واعظم من هذا البرهان تسميته كغيره لنوع الانسان
فانظر كيف هداه الله بفعله الى ان جعل السفينة في هذا الشكل
العجيب والوضع المحكم الغريب واصاف اليها من تفاساته ونذيع
احتراعاته ما صارت به في ادارته وسارت بارادته ومكة من العناصر
حتى صارت طوع يده فتري الريح مع قوتها والبحر مع ميوعته
والحديد مع صلاته والخشب مع مرونته كل ذلك طوع يده

يزدادته يحول كل ما يريد الى ما يريد حتى تجاسر على ركوب
 البحر وتحصل سبب ذلك على حل مقصوده أمّا من تطلب امواجه
 وتشعب امواجه لا ياتي بالعواصيب وشدها ولا بالظلمة وقتتها
 فقال له الانكليزي سيدي انه قد مضى على نوع الانسان
 احباب عديدة وارسة مديدة وهم في انفصال عن نصهم وعزلة
 وتوحش وحشونة وقلة لهم علم الملاحة فكانت كل امة مقيمة في
 النقرة التي هي فيها لا تعداها ولا علم لها بحلق سواها فكان كل
 محروما مما عد غيره من المانع وغاية ما هالك ان من كان منهم
 قريبا من السواحل والبحار لما كان يتبع بالصيد من الشواطىء
 واذا انتقل انما ينتقل الى موضع قريب منه ويمتصى ما يشاهد من
 تحدد الاحوال حسب الاحتياج يعقل ان اول من اشتغل بالملاحة
 سكان السواحل واقرّب ما نعت فكروا الى ذلك تكرار مرور
 الاشياء الساقطة من الاشجار على وجه الماء من عيضاات تكون
 بحراثر قريبة منهم فلما راوا الاحتساب تمر على وجه الماء ركبوها وهي
 على صورتها ثم بعد ذلك صوروها في صورة تقي من البلبل بان
 سطحوها جرمها او الصقوها غيرها فسارت مع التيار اما لحلب مسعة
 واما لدفع مصرّة كالرار من عدو طالب او الهجوم على عريم كما
 هي عوائد الاوائل قل انشاع دائرة المدنية والعمارة وكما هو دأب
 القائل الباقية على المحشونة الى الان سبب اعزلهم عن المدب
 واقامتهم وسط الصحاري والبراري المنقطعة والقاع الشاسعة فلما

علم الانسان منفعتها صار يفكر في كيفية اثباتها ويدبر في اصلاح
شأها الى ان جعلها في صورة لائقة لقلب بعض الاشياء المعتاد
مادلتها بين عشيرته بان استعملوا برامس مركبة من حشب وبوص
كما يصعه الى الان اهل صعيد مصر والسودان وكثير من نفاع
امريكا ويقطعون الاصول الغليظة من الاشجار ويجوفونها
ويسافرون فيها او يعملون قوارب صغيرة يكسوها بجلود الحيوانات
وربما كان هذا دليلاً على ان الامم السالفة كانت تستعمل هذه
الكيفية في حمل اثقالهم وعد ارتحالهم وعلى انها مصى عليها سون
لا تعرف غير ذلك ولما كثر تردد الخلق على بعضهم وكثرت
الفتم واختلاطهم وطهرت بينهم علائق جديدة اوحث اتساع دائرة
الملاحة احدث السفن في التقدم وصارت في حجم اكبر من الاول
واحكم غير انها كانت لا تسير الا بالقرب من السواحل لتحمل الناس
حين ذاك بما يهديهم اذا ساروا على سطح البحر ولعدم معرفتهم من
سكن وسطه او ساحله المقابل لم يعلب على ظني ان اتساع الخلق
بالملاحة كان قاصراً على اجنبار البلاد الموجودة على السواحل
فقط وان الامر بقي على هذا الحال الى ان صار استكشاف حمر
المعاطيس وحواضه وعد ذلك امكن الخلق تطبيقه على استعمال
حاصية الملاحة باضافة الوصلة اليها ومن هذا الوقت تخاسر
الملاحون على مفارقة الشواطئ والتوغل داخل البحور فطافوا جميع
نفاع الارض وساروا حيث شاؤوا ولم يكن هذا الامر معلوماً بالبلاد

الاوروباوية الا من القرن الثاني عشر بعد المسيح وان كان معلوما
 قل ذلك في بلاد المشرق عند سكان السواحل الشامية وشواطئ
 بحر الحمم فلم تكن حاصية حذب حجر المعاطيس للحديد حصة عند
 الامم السالفة وربما كانوا يعلمون الحاصية التي يكتسبها القصيب
 الصغير من الحديد بعد المقطعة اي بعد مسه لهذا الحجر وهذه
 الحاصية هي ان لا تتغير اتجاهاته بل يكون دائما على اتجاه واحد من
 الشمال الى الجنوب ومن ذلك تعلم جهة الشرق والغرب الا اهم
 كانوا لا يعلمون حاصية اتجاهه دائما الى الشمال فطغوا هذه
 الحاصية على سير السفن بان رسموا خطين عموديين على قطعة
 ورق مستديرة وثبتوا القصيب فيها فاحتدوا بذلك الى القطب
 الاربع من الافق وفي الامر على ذلك مدة الى ان علمت حاصية
 اتجاه الابرة الى جهة الشمال دائما متى كانت متحركة موضوعة فوق
 مركز في اي نقطة من تقط الكرة وعد ذلك رالت الصعوبة التي
 كانت تلحق الملاحة وسهل على الملاحين حوار البحار واموا من
 جميع الاهوال ثم اكتفوا عن قطعة الورق المذكورة باتحاد علبه
 مملوءة ماء وثبتت القصيب في قطعة من خشب الل تلعم فوق
 الماء واستعملوها في معرفة الاتجاه لكن بسبب ثقل السمية على
 الدوام وعدم وجود الشام نام للالة كانت الابرة قليلة التوازن
 ودلائها تقريبية من ذلك اشتغل كثير من الامم بتعيين امرها بان
 جعلوا الابرة متحركة فوق محور راسي مثبت في علبه اسطوانية

الشكل وحلوا فوق الالة دائرة من ورق مثثة فوق الالة
تحرك محركها مقسمة الى اقسام متساوية وحلوا حتمي الشمال
والجنوب على خط مستقيم مرسوم فوقها والشرق والغرب في هاتين
خط عمودي على الاول وعلقوا العلة في موحر المركب امام عين
ماموري الدفة ومن ذلك الوقت رالت جميع الصعوبات الاولى
وانقطع عرق الخوف والاشكال بالكلية وصار الامر على ذلك من
انتهاء القرن الثالث عشر الى الان لا يعتريه تغيير ولا تبدل
الا في كيفية تعليق العلة وتحسين صورها مما لا يقف عليه امر
الملاحة وليس من ضرورتها ومن ثم انظم امر الملاحة والتجارة
فحسنت بذلك جميع الاحوال وصلاح شأن الناس في الحال والمال
وحصلت المساعدة الكلية لاحوال الزراعة فاجدت في التقدم نحو
المو وكثرة الثروة والرفاهية من ذلك فترتب عليه زيادة التمدن
والتقدم وبعد اقتصار الخلق على جوار الخيرات والامهر الصغيرة
والسفر في القاع القريبة حاروا المحيط نفسه فاكشف لهم العطاء
عن حرائر وسواحل معمورة نام شتى عاين عن التمدن واسانه
محاربهم ووضعوا اليد عليهم وادخلوهم بالقهر تحت طاعتهم
واستعبدوا على ارضهم واستعملوهم في خدمتها لنعيم ونزع بلادهم
لا لنع اهلها فرادت بذلك شهرتهم وقويت سطوتهم على
من حاورهم ولما رأى الغير اتساع دائرة عيشتهم رغب
في السير على اثارهم وهكذا . فكان هذا هو اول باعث لاهل

اوروبا على الاستخود على غالب شناع الامريكا وسواحل امريكا
 وعدة شناع من اسيا وعلى جميع حرائر المحيط الاطلسيقي والمحيط
 الجنوبي والمحيط الهندي حتى صارت شنة اوروبا اغني الشناع
 واكثرها ثروة وصارت ملوكهم اعظم من غيرهم شهرة وسطوة وما
 ذاك الانسب الملاحة لانهما فتحت لهم ابواب الررق وراحت في
 اسانه وطرقه ولو ان في كل شنة حكاما يصرون فيها ويجكون
 على اهلها الا اهم هم ورعاياهم تحت تصرف ملوك اوروبا سب
 عظم قوتهم الحرية واتساع دائرة علومهم السياسية الاحدة في
 الاردياد والتقدم سب حيارتهم لكل ما يرونه من الصائع
 واعداهم على من دونهم باصاف الضائع ولم يقتروا عن هذا
 السير بحال من الاحوال بل هم ملارمون له ساعون بكلتهم
 في اريداده فكان تأثيرهم على شناع المعمورة عاما

فقال له الشيخ قد فهمت ما اعدتني ان الانسان بعقله هو
 الذي شكل السعية من صورة الى صورة متعنا في ذلك السير
 الطبيعي من غير تكلف وانه كلما كثرت احياءاته اتسعت افكاره
 وارادات رغبته في التامل حتى وصل الى معرفة سير السعية
 بالوصلة في جميع البحار صغيرة او كبيرة فاستكشف الاراضي
 المجهولة وسكانها واستعاد من اعمالهم وعلومهم ما راد في درجة تقدم
 اهل ملته ولكن اري ان الآلة المغناطيسية غير كافية لضبط سير
 السفن حسب الحاجة فاهم اذا ارادوا ان يتقلوا من بلد الى بلد

يلزمهم الانحراف اليها والخروج عن المخطوط التي توجب تلك
 الآلة المشي عليها فكيف استداوم لذلك
 فقال له الانكليزي ان الوصلة بمردها غير كافية لاهلها لا
 تسين الاتجاه احدى النقط الاصلية فقط ولا تدل اصلاً على الاتجاه
 اللارم للوصول لنقطة محدودة الا بمساعد وقد عرف ذلك جميع
 الملاحين في القرون الماضية لكرم اقتصرول على هذا واستعانوا
 عليه بما استعادوه من التجارب والاسفار فكانوا يهتدون بذلك
 للوصول الى ما يقصدون من القاع كما يعمل الآن الملاحون
 في الابر والطحان في بعض جهات من اقسام الدنيا وكما يعمل
 ملاحو الليل فاهم يسعون فيه من غير بوصلة بالانتاع لبعض
 علامات في الرور والحرائر وكما يعمل ملاحو العرب القاطنة في
 شاطئ البحر الاحمر والصبادون في بعض البحائر المتسعة وكانت
 علماء الجغرافية والفلكيون في القرن الخامس عشر من تاريخ
 المسيح غير واقعين وفوقاً تاماً على حس خط سير السيرة فكانوا
 يرمعون ان المخط الذي رسمه السيرة بين تقطين بعديتين
 عن بعضها هو قوس دائرة عظيمة ثم ظهر لهم امور لم يمكنهم التعبير
 عنها مثلاً رأوا ان السيرة في سيرها في اتجاه واحد وميل واحد
 لا ترسم دائرة عظمى على الكرة بل ترسم احدى المواريات فعد
 ذلك اشتغلت العلماء محلها وتطبيق المحسانات عليها فظهر لهم ان
 خط سير السيرة لا يكون دائرة عظمى الا في حالة ما اذا كانت

منجهة نحو الشمال دائماً او نحو الجنوب دائماً وإما اذا كانت متجهة
نحو الشمال والغرب مثلاً فالخط الأول من خط السير يكون
حراً من دائرة عظمى ميله في نقطة المبدأ من الخط الجانبي خمسة
واربعون درجة ثم بعد ذلك تغير ويقطع الخطوط الحائضية
الأخرى في ميول مختلفة تكبر بالتدرج الى ان تكون تسعين
درجة فلو تمت السعيبة في السير خط ميل ثلث بالسنة لجميع
الخطوط الحائضية لرسمت على الكرة خطاً حلزونياً وبعد عدة
دورات تصل الى قطب النصف الذي احدثت السير منه ومن
ذلك رأوا ان السعيبة تقطع في سيرها على خط ثلث الميل مسافة
تريد ونقص عن طول قوس الدائرة تبعاً لعرض البلاد ويكون
الخط كبيراً كلما كان فرق عرض تقطعي المبدأ والنهاية كبيراً
فساء على ذلك ظهر لاهل ذاك الوقت انه يلزم تغيير الميل لمن
يرعب في اتباع قوس دائرة عظيمة وحيثند فلا بد من معرفته
ويكون ذلك بطرق بسيطة حتى يكون سهل التناول للملاحين
وسبب ما فيه من العائدة والاهمية اشتغلت محل مسئلة العلماء
الافاضل فمنهم من وضع لمعرفة طرقاً حسابية وحداول مخصوصة
للاقتداء بها ومنهم من حول المسألة الى طرق رسمية تعددت
من ذلك طرق الاشتغال وحال فيها العكر فظهر من ذلك الخطوط
التي يستعملها الملاحون ولا يمكنهم الاستغناء عنها لما لم فيها من
المنافع والعوائد الثابتة فانه يكفي ان يرسم عليها الخط المار

بالتقطين المفروصتين وبواسطة الوصلة تسير على ميله بالسنة
 للخطوط المجانية فيصل الى الغرض المطلوب اذا لم يكن هالك
 مواقع تعرض لها في اثناء سيرها فتعطلها مثل الصخور والاهوية
 غير الموافقة والمياه القليلة وغير ذلك من هذا شاء لاجل التخلص
 من خطر تلك المواقع مشكلة معرفة الموضع الذي تكون فيه
 السببية في ابي وقت من الليل والنهار بالسنة لابي البحار
 واول شيء خطر بالبال معرفة قدر سرعة السببية في زمن
 معين لانه متى علم استدل منه على المسافة الكلية من وقت القيام
 ومن ثم يعلم محل السببية بعد مدة من سيرها بالتقريب فاشتغل
 بهذه المسألة علماء العرس واحتدوا الآلة السببية المستعملة الى
 الان وهي عبارة عن حل مقسم الى عدة اقسام متساوية مسوية
 لليل في طوره قطعة من حشب مثلثة الشكل مثقلة في قاعدتها
 بالرصاص فتى رغب قطان السببية قياس السرعة القاء في
 البحر فتغيب المحشة راسية في الماء والحل يكر من على معرله
 مدة كالدقيقة فيكون مقدار الحمل في البحر عين سرعة المركب
 ولما لم يكن ذلك شافيا اضطر الملاحون الى معرفة الخط المجاني
 والخط المولري التانعين لها في السير حتى تتعين لم نقطة التقطع
 وهي النقطة التي تكون فيها السببية وساء عليه تح مشكلة تعيين
 العرس والطول فاشتغل بحلها العلماء كما اشتغلوا بغيرها وظهر
 لم من بحثهم ان مشكلة العرس لا صعوبة فيها لاهم شاهدوا ان

القطب يكون منطقاً على الافق متى كان الراصد فوق دائرة الاستواء ومتى اتجه الى الشمال ارتفع القطب فوق الافق بقدر بعد الراصد عن دائرة الاستواء وساء عليه معرض أي نقطة هو ارتفاع القطب فوق الافق واهل وقتنا هذا تاعون للسالمين ومحدون المحمة الأولى من الدب الأصغر دليلاً على القطب فيبتدون بذلك لما كانت هذه المحمة في كثير من الليالي مطموسة ومغبية في السحاب غير ظاهرة وفي كثير من النواحي يكون الحو غير صاف فيصعب العمل حين ذاك رعوياً في معرفة العرض من رصد الشمس لأنها تكون دائماً ظاهرة تمام اليوم أو بعضه ولذا اقتضى الحال معرفة بعدها عن القطب وقت الروال ونسب تغير هذا العدد في جميع اوقات السنة حرره اهل العلم في جداول مصبوطة راحها الملاحون في اعمال الملاحة وحسابها ووضعوا آلة مركبة من مسطرتين عموديتين على بعضها لقياس ارتفاع الشمس فكان الملاح يصع نقطة تقاطع المسطرتين على ارتفاع الصرثم يرصد افق البحر بالمسطرة الافقية ويحمل الشمس حلقه ويقدم أو يؤخر المسطرة الرأسية الى ان يطبق ظلها عليها على نقطة معينة من المسطرة الافقية ويحسبون الارتفاع على مقتضى ذلك كما كانت المصريون في الارمان الساقية تعين ارتفاع الشمس بواسطة المسلات التي نراها الى الان قائمة امام الهياكل والمعابد وفيما بعد صار تحسين هذه الآلة

واستعواضها بدائرة متعجة الى اقسام متساوية وعليها مسطرة تحمل
 عضادة بها ثقب صغير فمتى أريد استعمالها علقت الدائرة في السعفة
 وجعل مستويها في مستوي الشمس ثم تحرك المسطرة الى ان تمر
 اشعة الشمس بالثقب فيظهر على المحيط الدرجة الدالة على
 الارتفاع المطلوب وبهذه الآلة توصلوا الى الآلة المستعملة الآن
 المعروفة بالاكثان عدد الملاحين بادخال ما استفيد من قواعد
 العلم من التحسينات في تركيبها فصارت مستوفية لجميع شروط
 السهولة والفضط فساء على ما مر يظهر لحضرتكم ان الانسان قد
 اكتسب علم الملاحة وضط سير السفن في البحار بالتدرج فان
 الاصل في ذلك كله شجرة القاهة الريح في التيار فحرت معه فظفر
 اليها احد المخلوقات فاستعملها كما هي فراه غيره فقلده واستعملها
 بكيفية احسن من الاولى وهكذا على حسب الاحوال والضرورات
 البشرية وما رالت تنتقل من حالة الى احسن منها حتى
 تم حسننها وعظمت دائرة اهميتها واعنى بها الخلق فوصلت الى
 المحالة التي رايها عليها الان ولا شك ان كل صورة من هذه
 الصور اشتغلت بها الافكار مدة وظهرت فيها تغييراً فاحترعت
 صورة احسن من الاولى ووقعت موقعها فاداً رأوا في الثانية عيماً
 اجتهدوا في ازالته فواعد علمية واحتراعات علمية حتى اضمح من
 ذلك علوم شتى منها ما هو متعلق برسم السفن وشكلها ومئاتها
 ومنها ما هو متعلق بسيرها وسرعتها ومنها ما هو متعلق بتحرير

اتحاشها وسلامتها حتى صار علم الملاحة علماً ميسراً فانظر كيف
امكن الانسان بقوة فكره وعرارة عقله ان يتقل من حالة الى
حالة ومن فكرة الى فكرة حتى وصل الى ما تراه في شان السفن
وعلم الملاحة ألا يكون هذا دليلاً كافياً على ان تقدم جميع العلوم
والصنائع جار على هذا النمط وان الاصل في ذلك كله ضرورات
الانسان واحتياجاته وميله لحب الاتعاف والوقاية الشخصية وقد
امتد بينها القال والقبل في هذا المعنى ونحوه من هذا القليل
فاحب الشيخ ان جمع المحرم بالطر ويشاهد اماكن السعية بالمصر
لثلا يكون فيها سمعه مقلداً ومتبعاً اذ ليس من رأى كمن سمع
فاحب ان الكليدي الى ما طلب وقام معه الى قبة القودان ليريه
ما احب وكله بلغته وعرفه بمقصود الشيخ ورعته فامر احد الصايط
ان يكون لمحصرة الشيخ اوفق مراقب وان يوقفه على كل ما اشتملت
عليه السفينة فسار معه وراه فوق ما كان سمعه واظلمه على
الات السعية واحدة واحدة ولم يترك منها شادة ولا شاردة متدنئاً
من مؤخر المركب الى مقدمه ميباً لهُ فوائد كل واحدة باسمها
وبين لهُ اقسام السفينة وما لصائع التجار وما للمسافرين وما
للمستخدمين بها وما للمطعم وما للأكل وبحود ذلك ولم يدر محلاً
في المركب الا اظلمه عليه واحده سمعته فشكر الشيخ على صنيعه
واثنى على القودان الكبير ثم استادن ودخل قمرته وادى ما يجب
عليه من العادة الموقفة وكان قد حان وقت الأكل فاحب ان

يأكل في قبره فأجابه ولتعظيم صاحبه وحق رعايته كان كل من
بالسبيبة مأسراً لكرامته واستمروا على ذلك طول السفر حتى
وصلوا جميعاً بالسلامة إلى الد

المسألة السادسة عشرة التعلم والعلم

ولعلم حضرة الشيخ بأن من عرف لعين وإن كان في الصورة
واحداً هو في معنى اثنين ولما عرفة من حيث الهي صلى الله عليه
وسلم على تعلم الالسة نقوله من تعلم لسان قوم آمن من مكرم ولما
رواه في الحكايات من أن رجلاً حجارياً سافر إلى اليمن مرة ودخل
مدينة ظفار وبلغ حيرة ملكها فلما حضر عنده ناعلى قصره قال له
الملك تب يا امرء بالحلوس بلغة حير ففهم الحجاري أنه يأمره بالعطرية
كما هو بلغة الحجار فقام الحجاري وقال ليعلم الملك أنني سامع مطيع
وطهر فإني نفسي من أعلى القصر فقال الملك ما بال هذا فقيل له
أن الوثب في لغته ما فعله فقال الملك من ظفر حمر يريد من
دخل ظفار وحب أن يعرف لغة حير فاستفاد من هذا أن من
دخل أي بلد لزمه أن يعلم لسان أهلها فلهذا كان كل يوم بعد

ان بطالع في كتبه باخذ هو وولده في اللغة الانكليزية على صاحبه
دروساً وسبب اجتهادها في التعلم قدرا في رمان يسير على التكلم
فيها

واخذ الانكليزي بحسن له التعلم ويرشده الى كيفيته ويشجعه
عليه بقوله ان من موجبات التقدم في اللغات امورا منها الحفظ
والطريق بالممارسة والمحاظة فان جمعت كل يوم بين هذين ثمت
بدهك كل ما حفظته واعندت الطق به وفي قليل من الزمن
تصل الى معرفة الكثير ومنها ترتيب المطالعة في الكتب بان يتداه
اولاً بالكتب المؤلفة لتعليم الاطفال لحمة العاظمة وعباراتها ثم بما
موقها وهكذا وكيفية التعلم كما لا يخفى على حضرتكم ان يتداه
اولاً بمطالعة الدرس وينت على كيفية الطق بالعاظه ثم يكرره
الى ان يثبت في دمه ويستمر على ذلك حتى يكون عده محصول
من الكلام ثم يبحث عن قواعد نصريف الافعال وامثلتها ثم يطر
لمثال كل قاعدة ويمثل من نفسه امثلة ويطبق كل مثال على
قاعده ولا يكتفي في ذلك بمجرد التلغظ بل لابد ان يثبت ذلك
في كتاب صغير الحجم ليسهل عليه استصحاه فيطلع عليه اي وقت
اراد ثم اذا تقدم في اللغة يلزمه حفظ كثير من الاشعار ونوادير الاداب
لما فيها من مرید الثبات بخلاف العبارات السائرة والاولى ان
يختار من كتب الاشعار ما تلذ منه النفس ويميل اليه الطبع وان
يجنب ما فيه تعقيد او صعوبة الى ان يحسن الطق والتكلم باللغة

واني وان لم استوفها غرضي لكي آتبك بكتاب فيه كفاية لهذا
 الغرض فان اتعته وسرت على ما رسمته لك فلا يمضي عليك قليل
 من الزمن الا وقد تكلمت باللغة الانكليزية وعشيتة الرحمن عد
 العود متحد ان لا فرق بيني وبينك في التكلم فشكره الشيخ على نصيحه
 وعمل مقتضى وصيته واخذ هو وولده الكتاب منه وصارا يتلقيان
 كل كلمة في الكتاب عنه وحدا الولد حد الوالد فكما لعصها
 بم المساعد والمساعد وصارا ما بين سائل ومسؤل الى ان نالوا
 من تلك المحمات الوصول وقد قسموا اليوم اقسامًا بعضها للنسخة
 في طهر المرك وبعضها للاكل وبعضها للحفظ والباقي للحادثة
 والمذاكرة ولا جهاد صاحبه الانكليزي في تسهيل امر السر عليه
 كان لا يهافقه الا عند الضرورة وكان لا يجاطله الا بكلام
 يطيب به خاطره وتشرح به ضميره محافظًا على مرضيه آتيا بكل
 ما يحبه ويرغب فيه وبذلك تأكدت بين الشيخ وبينه الالة
 وارتفعت من بينهما اسباب الكلفة فيما هما في بعض الاوقات
 بتجادثان ولاحوال طوائف الناس يتواضعان اذ جرى ذكر الصائغ
 والحرف وقدر تفاوت السلف فيها والحلف وما آلت اليه من
 الاتقان ونم لاربابها من الاحكام والاحسان

وطال بيها الكلام في وصف محاسن الامام فكان ذلك
 داعيًا للانكليزي ان قال باحصرة الشيخ ان ولدك الاب قد بلغ
 اشده وحصل من العلوم العربية طرقًا صالحًا وهو يحتاج الى تعلم

صناعة تكون له في المستقبل عوناً على حسن معيشته بها اشتهرت
 على تعليمه من الصائع فقال الشيخ احب ان يتقن اللغة العربية
 ونظم قراءة الكتب الادبية فادنا وصل العلم وبلغ من ذلك المرام
 تفكرت فيما يحسن حاله ويبلغ به ان شاء الله آماله بحيث لا يخرج
 عن الوظائف العلمية ولا يشتغل عن الاعمال الدينية سيما وهو
 بمعية حصرتم أخذ في تعلم لغتكم فادنا تم له اتقان اللغتين كما
 له خبر صحتين واثبتها يكون اكتسابه ما يكفيه غير خارج عن
 حرفة حله ولبه

فقال له الانكليزي كانك تقول ان ولدك اما ان يصير اماماً
 او خطيباً في جامع او ترحماتاً او نائب قاص في بعض المواضع وعلى
 كل ما يرد من هذه الوظائف لا يقوم بعض الكفاية فضلاً عن
 كونه يستمر في اسرعه وبسوته الى التقصير في اداء وظيفته او
 الجهل بما يلزم لها او عدم معرفته باداء المقصود والذي اذكره
 لحصرتكم ان الوظائف درجات منها الشريف والدني والاعلى
 والعلو والملك الان محبرين ما يكون به ولدك رئيساً واميراً وبين
 ما يجعله تابعاً لغيره واسيراً ولكن محبة الوالدين لاولادهم لا ترعب
 الا فيما فيه زيادة شرفهم فيجب عليك ان تحيل الفكر وتدقق النظر
 حتى تعرف الصعلة التي يريد بها شرفه فقد قبل في الامثال
 الناس لصاحب المال الرم من الشعاع للشمس وهو عديم ادب
 من الماء واربع من السماء واحلى من الشهد وادكى من الورد

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها

فكلما اتقلت يوماً به اتقلبت

فقال له الشيخ انه لا يكون وراء ما ذكر الأصائع ووظائف
 تقوم ليسوا من حرقها ولا طائفتها وعشيرتها كاهلدة والحكمة
 والمجدية وبحود ذلك من الصائع الديوية هل تظن ان نعله
 صعة من هذه الصائع وبحرقه عن طريقة اهله واحداه مع ابي
 سمعت من ابي عن حدي ان عائلتنا شريفة ثم وجدت في امانة
 والذي رحمه الله بعد وفاته بسة الشرف فلم احد فيها احداً من
 احداي احترف بحرقه من الحرف او حرج من وطبه بل تسعتهما
 فوجدت ان كل من نع منهم اتبع طريقة سلعه وقنع بما ساقه الله
 اليه من الرزق قليلاً كان او كثيراً ووجدت في السسة لكل
 منهم ماقب ومزايلا تدل على رهنه وورعه وقد رأيت فيها من حلة
 ما اوصى به بعض احداي من بآني بعده من اولاده اعلموا ان
 الدنيا مثل ظل احدكم ان طلتموه مرّ وسقمكم وان تركتموه تبعكم
 كما قيل

مثل الرزق الذي تطله * مثل الطل الذي يمتي معك
 انت لا تتركه متعاً * فانا وليت عنه تعك
 الخير كله في بيت واحد ومفتاحه الرهد في الدنيا والشركه
 في بيت واحد ومفتاحه حب الدنيا

وقد قصي عليّ الرحمن من دوهم بالغربة ومعارقة الوطن

ولا حيلة بما قضاه واحده واشكره على ما من به علي من صحتكم ولا
يحيى على جانبكم ان الناس بالسهم ليسوا غافلين عن بعضهم
فرما يقع الانسان في شاكلهم فيسقط من اعينهم ويتنص قدره بما
بينهم فان احرحت ولدي عن طريقتي وعما كان عليه احداه قبله
احتلوا علي اقوالاً ترري وعبارات ربما تحل نامري ولا اقل من
ان يقولوا باع الدين بالدنيا

فقال له الانكليزي ليس الفصل خاصاً بطائفة من الناس
دون طائفة ولا ناهل حرفة دون حرفة بل الفصل صفة تقوم
بالاسان على قدر ما يجوز من العلم والادب فكما تكون في الفقهاء
تكون في المهندسين والمحكماء وكما تكون في التجار واهل الصايع
تكون في احاد الخلق من العلاحين واهل الصايع فليس الانسان
ماصله وحسه بل كمال عقله وحس اديه فكم من امره مقطوع
السبب وصل بأدبه الى اعلى المناصب والرتب وكمن دي سبب
واصل هوى به جهله الى درك الهوان والدل وكمن خبير ارال
كمال عقله دناسة اهله واصله وهل يلقى بالعاقل ان يلتفت لاهوام
الناس واناطيلهم ويؤثره على ما رآه عقله حساً وصواباً وهل
يقندي الصير بالصير او هل يستوي الاعى والصيرام هل
تستوي الظلمات والور واي نقص يعتري الاسان اذا كان ذا
علم وله صفة يعرف بها فلا يحل شرف الاصل ان يتفاد الاسان
رتة كالجندية وعلم الحكمة والهندسة بل هذه العلوم وبحوها مرغبة

فيها في كتاب الله وسنة نبيه وقد اتفق العلماء والعقلاء من كل
 ملة على ان قدر كل انسان وقبته بقدر علمه وعمله وعلى حسب ما
 اكتسبه فاما يصير لو علم الانسان بلسان قومه وقواعده وعلم دينه
 ومذهب بلده حتى يكون على بصيرة في ادارة اموره وتقوية برهانه
 وضم الى ذلك السمة ملل اخرى واقتنها لتجذب اليه قلوب
 الاغراب فيضيف معلوماتهم الى معلوماته لترداد رعمة اهله فيه
 وعلم مع ذلك تاريخ بلاده وضم الى ذلك تاريخ بلاد غيره واحوالها
 اد بذلك يكون على بصيرة من الروابط المؤلفة بين الملل وبعضها
 والاسباب التي توحى النزاع والوفاق بينهم وضم الى ذلك علم
 الحفريات والسمات والحيوانات والمحادات والمهندسة والملك وحر
 الانتقال وهكذا تنتسج دائرة معلوماته وينتج على التواميس الاندية
 المؤثرة في الموحودات وكيفية التأثير فيها فتتسع بصيرته وتعلو
 بذلك بين البرية شهرته فان تعلم الطب وقف على اسباب الامراض
 وكيفية علاجها ووظائف الاعضاء الظاهرة والباطنة وارتباطها
 بالقوى الباطنة وعرف قدرة الباري المصور لها فيعظم شأبه ربه
 وحالته ولا يلزم ان يتجرب بل يكفي ان يعرف من كل فن ما ينبغي
 معرفته على كل ذي فطنة من الخلق حتى لا يكون على جهل منها
 فيزداد بذلك قدره في كل مجلس من مجالس اهلها ويعلو قدره
 بين الامراء وتجذب اليه قلوب اصحاب الخبايا والمحاصيات
 لعلمهم انه يهديهم الى الرأي الصواب ولا ارى لولدك الا امرين

فاختار ايها احب اليك من غير حكم عليك . اجدها ادخاله
 ماحدى المدارس المبرية والآخر ابقاؤه باحدى مداوس لوندرة
 ليتربى فيها كما تربى اولادنا فان احترت منها واحدة برئت من
 واحب تربيته لانك ان اقيته سعلت فليست تضامن لنفسك
 القاء حتى نتم تربيته وانا اراد لك المولى باقصاء الاجل والموت
 قبل ذلك فكيف يكون امره ومن يكون كعيله وهو مجرد عن
 العلم والجاه افلا تكون مشغولاً عن هذا الاهمال وهل كان حرك
 له الا سبباً لوقوعه في اسوء الاحوال واشق الاعمال وان سلفته
 لاحد المودين فلا تدري هل هو كفول تربته ام لا والاعتبار
 بالظاهر لا يكون دليلاً على الباطن وربما كان عالماً لكنه سيء
 الخلق فيسري طبعه الى ولدك فيكون ضرره اكثر من نفعه وعلى
 اي حال فالمؤدبون عالماً لا يسلكون طريقة مستقيمة مثقفاً على
 صحة تبيحتها بل طرقهم مختلفة بحسب نيتهم وليس لنا حاجة لمعرفة
 اسباب اختلافها ان كان لقصد نفع التلامذة او نفعهم او للاختصار
 او لاطهار الاجتهاد لاجل زيادة الاجرة بخلاف المدارس المبرية
 فانها لم تكن نابعة لشهوة اجد وما تقع منها موجب للادعان بصحتها
 ولزوم اتاعها فان طريقتها هي التجارية عند جميع الملل المتشددة
 وسلكها جميع العقلاء فمنها اصول الضغط والربط الذي يجب
 على كل عاقل ملاحظته والتمسك به من اتداء شيبته والاستمرار
 عليه بين اماء عشرينه حتى يدخل في ميدان الاعمال بينهم ولا

يوجد له ذلك وهو بمنزل اهله فان شقة الاهل تؤدي الى اهاماله
 والتغافل عن هوائه ولعمه وربما كانت هذه الشقة سبباً في فساد
 حصاله التي قصدت اهله ان تحرد عنها بالترية ولو فرض
 وحصل له مودب في منزل اهله فاشتغالهم بامورهم المنزلية
 والدنيوية يلهمهم عما يفعله كل منها ويدفع اهله الاجرة يظنون
 حصول المقصود واي حجة اخبر بها الطفل وتعلل بقلوبها منه
 سواء كانت صحيحة او غير صحيحة فتنع المودب عن تاديبه والطفل
 عن الاشتغال بما فيه نفعه ومن المعلوم بالدهاء في شان العائلات
 ان الاناء يحى عليهم عيوب اولادهم حتى ان الامهات لزيادة
 شقتهن على اولادهن قد يرين ان اولادهن يعملون ريادة عما
 يلزم وكذلك المخدم تحي على سادتهم ما تعلم من عيوب اولاد
 سيدم كالحيانة وقلة الادب وعدم الالتفات وكثرة اللعب
 واصحاب البيوت على اختلاف درجاتهم في الثروة لا يحلون من
 تردد المرافقين والمتملقين على مسارهم فتسري طباعهم الى درجتهم
 فيتعلمون من اخلاقهم وطباعهم ما يرريهم فاداً في الطفل في
 المنزل بين ابيه وامه مقيداً مع المودب طول يومه ربما يسأم فلا
 يتعلم او يسأم المودب فلا يعلم ولطول مدة الملازمة عليها قد
 نشأ الكراهة بينها ويضيق الزمن بخلاف المدارس العامة فلا
 يوجد فيها شيء مما ذكر بل تكون الاطفال فيها محفوفة من جميع
 هذه العوارض وتدب فيهم الغيرة من بعضهم في حفظ ما يلقى

اليهم من اساتذتهم لتوهم المحرمان من درجة التمييز او العقاب او الحجز
 عن الاهل والاقارب والمع من روية المشغلين من الاحباب
 الذين يترددون على المارل فيرتدع الطفل ويريد ميله وحبه
 لما فيه حير له وتحوي بينهم محاورات ومجادلات فيما يلقي اليهم
 فيكون الحق مع احدهم تارة ومع غيره اخرى وهكذا كل يوم
 فتقوى عدم اسباب النشاط والاجتهاد وحنافسون في موحات
 التقدم والرشاد وسبب تنوع الصون لا يلخص ملل ولا يعترهم
 من كثرة العمل فتور ولا كسل بل قد يلدد الطفل من
 الانتقال من الاعمال الجماعية الى الاعمال العقلية فتتم قواه
 الدنية والروحانية وترسم في فكره اخلاق اساتذته فيعتادها وتكون
 الاساتذة متحيين من احسن المربين لا يقع منهم ما يخل شأن
 التعليم وان مرص كان نادراً فيكتسب الطفل في زمن قريب
 محاسن الاخلاق واخلاق الرجال وتساوي الجميع في الهيئة
 الظاهرة وطرق التعلم والتعليم فتأكد بينهم الاحوة ويعطف بعضهم
 على بعض بما ينسبون به راحة الامومة والانوة والتدرج ينزل
 ولد العظيم عن تعاطفه بعظمة اهله ويرتفع ولد القليل ناداه
 وفضله فهل يرى طريقاً احسن من هذا وان لم تسعه فماداً

فقال الشيخ ان شقة الموالدين بولدهما موجب مشقة افاتته
 بغير بلدهما وان كنت اعلم ان شقائه للتعلم في بلاد الانكليز هما
 بوزل به ان وفق الله انى غاية التكرم والتعريف ولكن استغفر الله

وادخله انا عدنا المدارس لآكون ملاحظتك احواله ومراقبته اعماله
مرحبا بذلك خاطري وخاطر له واما الصعده طست ادري ما
يليق به على بحافه جسمه

فقال الانكليزي الاصوب ان سأل العلام فانه اطلع على
كثير من الاشياء فلعله وقع استحضانه على بعض الصائغ ومال
طبعه اليها وهو يقنى ان يكون من اهلها المتفعين بها والحياه يمه
من احارك بما كمن في نفسه عاستحسن الشيع ذلك واحصر له
واحصر ما دار بينهما في امره واسما وقفنا الجزم في ذلك على استطلاع
امره واستكشاف سره

وقال له بانني قد عرفت الوظائف الشرعيه والسياسيه
واطلعت على صائغ طوائف الناس العليه منها والدنيه هل
تحد في نفسك الميل الى بعض الصائغ وتحيل افكارك فيما لاحداها
من المافع فاني مسيرك الى ما فيه ترغب ومساعدك على كل ما
مال اليه قلبك

فقال الولد اني طوع امرك فلا ارضى الا ما مرضاه ولا ارى
مخلاف ما تراه ولحداده سني انت ادري بما فيه صلاح لشأني
مني وشغفتك علي كافله بما يعود نفعه الي فان اتفقنا على صعده
اقمت بها

فقال الانكليزي ان ما قلته دليل على حسن عقلك وكمال
اهلك ومضلك لكن مرادنا ان تحرفا بما يحيل اليه قلبك

لانه لا بد انك شاهدت امورا انثرت عليك تأثيرات مخلفة
منها ما حذب قلبك فرغته ومنها ما نفر منه طبعك فكرهته فلا
تكلم عما ماسخ بذكرك واظهر لنا بما كمن في شرك . فالتفت الولد
محوابه واراد ان يصرح بما كان بحفيه

فقال اني مذ عقلت لم احد امثل من طريقتك ولا تميت
ان اكون على غير خليقتك لاهيا عن جميع الحرف موقفا ان ليس
لحرفة ما لحرفنا من الشرف ونقبت علي ذلك برهة لا تعترصي
فيه حجة ولا شبهة حتى رأيتك في بعض الاوقات تشكو شذائد
الايام متصحرا من صيق المعيشة والهرع عما تحصل به لعيالك
بعض المرام فاستشعرت ان سأصير الى ما اليه صرت وان سوف
اكثر مثل ما كبرت وربما حلعت كما حلعت وتكلمت جميع ما
تكلمت فاحدث حينئذ اتفكر في جهات الاكتساب وما يكون
لحسن المعيشة احسن الاسباب فوجدتها دائرة بين الامارة والتجارة
والزراعة والصناعة وما لاحداها سبيل وهي دون المساعدة عسيرة
التحصيل فطقت انظر بحاسن الحرف ومعايبها واعد مثالب
اهلها ومافها فما رأيت لحرفنا مثالا ولا تصورت كاهلها اهلا
فاما النيابة عن الرسول في تربية العقول واهلها حفظة الدين
ومعادن العرفان واليقين واكثر من نراهم على تلك الحالة
عادلين عن سبيل الهداية الى طرق الضلالة حتى استتر الحق
بالباطل وبذلك صارت حرفة اعد الحرف عن الثراء وادعها

لصاحبها الى مكائدة العاء ولعصم مساع مررية لا تليق باهل
 القوة والعافية كقراءة الحنات في البيوت بالاحرة وهي ان احارها
 امام فقد حرمها امام وكقراءة بعض الاصحاء الاقوياء على المنابر
 مع كونها لا تليق الا بالصعفة المحزنة المحملة الدين حطوا بعض
 القراءة فلم تكن لم قدرة على ما ينفع الناس الا من هذا الطريق
 كما قال علي بن الرومي من تقدم هم الرمان بهجوطيبيا
 افنى واعى ذا الطيب بطه

وتكلمه الاجياء والبصراء

فانا نظرت وحدث من عبيائه

امما على امواته قراء

وارى بين اصحاب الوظائف الميرة رتبا عالية ولها مرتبات
 كافية وافية وليس فيها ما يدم فان جميع تلك الوظائف موطنة
 بخدمة الاهالي واعانتهم وحفظ حقوقهم منهم من وظيفة اصلاح
 الزراعة وري الاراضي ومنهم من هو محافظ على صحتهم وصيانتهم
 من الامراض واحرون لسماع دعاويهم والحكم بينهم واصلاح ذات
 بينهم وايصال المحتوق لاربابها ولكل من اصحاب هذه الوظائف
 مرتبات على حسب درجاتهم تؤدى اليهم سويًا او شهريًا فمنهم
 بذلك في امن على معيشة عيالهم وجميعهم في ظل المتصرف في امر
 الجميع فان كنت احار صاعة لم اعد صائع هذه الجماعة
 فقال له والده يا ولدي اعلم ان المحكم الالهية اقتضت جميع

ما تراه من الاحوال والصفات والترتيب والذوات وقد اقام
الله المخلق فيما اراد ولا معتق لحكمه ولا راد وليس لنا مناقشة
فيما قدره ولا اعتراض على ما دبّرهُ فان لم نصل عقولنا الى حكمة
ما وقعت عليه حواسنا والواحد علينا التسليم وتبويض العلم الى
العليم المحكم قرب شيء بطل فيه الحبر وهو في الحقيقة صميم وضبر
وبالعكس

وما ندرى أفي الامر المرحى * ام الامر الذي يحثي السرور
واعلم يا سيّ واعرّ شيء عليّ ان النظام الحقيقي هو هذا
النظام ومرور القرون العديدة والدهور المديدة على السور الاسافي
مع عدم تعبير كيفية تركيه دليل على ان هذا النظام هو ما اراده
الحق جل جلاله وكما يلحق الصدا المعلن كذلك يكون العلم
مخفوقاً بالحمل والحق بالباطل والخير بالشر والحياة بالموت فلا
يحد شيئاً الا وهو مقترن بصدّه وهذا التلازم ضروري اذ لا تعرف
الاشياء الا باضدادها فكذلك الحق والباطل ولنا ان نقول ان
السمة بينها كسمة العناصر التي تترك منها الاحسام الى بعضها
اعني ان بينها تعادلاً وتوازنًا فان تغيرت هذه السمة بالريادة
او النقص بطل التوازن وفسد امر الملة كما يفسد الجسم المادي
تغير السمة بين اجزائه وكما ان الماء لا تكون صفاته ولا توحد
فيه خواصه الا بوجوده في حالته الاصلية التي فطره الله عليها
ومني خرج عن هذا الحد تعبرت صفاته وتبدلت خواصه وربما

كان مضراً بعد ان كان نافعاً فكذلك حال الملة وإهلها ان اراد
 الدخيل وكثر اهل الزور والاناطيل تقهر امر المستحقين ونقص
 عددهم ورموا صرهم كصر الداء الدفين لان الدخيل لعدم
 وقوفه على الحقيقة في الاحكام قد يخرجها عن موضوعها ويستعملها
 في غير مواضعها وسبب ان قوتهم الاصلية هي القوة العلية تسير
 خلفها الملة فتهدويهم في مهاوي التلف والدمار وتكسوها بعد
 الشرف ثوب المدلة والعار وهذا الامر ليس خاصاً بطائفة دون
 طائفة بل هو عامٌ بجميع الطوائف على اختلاف اهليتها وصغرها
 وكبرها في كينيتها ولكن حيث ورد (من حسن ايمان المرء تركه
 ما لا يعنيه) فعلى هذا الكلام تعرض وتترك الامر فيه لله ولن
 صرفه في خلقه وعليهم ولاه فاسم المسئولون عن امر انفسهم ورعاياهم
 واول واجب عليهم اصلاح حال انفسهم وحال رعاياهم فهم الملمون
 بتقدي الاحوال واجراء الامور على احسن موال والمبحث عن
 الطرق التي يكون بها ثبات هذه السسة في حدودها حتى يستقيم
 كل اسان في محله ويوضع كل شيء في موضعه لان اكثر الضرر
 الذي يتبع من اهل امراء الملة وتساهلهم لا تعود عاقبة امره الا
 عليهم فيكون انفسهم بقدر ما كانت درجة سعتهم في سلطتهم حتى
 تقعدوا بانفسهم احوال الرعية وراعوا للشرع حقوقه المرضية دام
 لهم السرور واشرفت بهم ممالكهم واملاكهم ودارت بالسعود اعداكم
 وقد ترى ما اشرف به الزمان ومه تجدد اعتدال الاوان فسأل

الله لئلا التلم ونرجوه حسن الختام انما المقصود منك ان تنصح لنا عما احترته لعمرك من الصائع

فقال ابن الشيخ لم يكن في امكاني ولم يحج بجاني معرفة ما يوافقني من الصائع فابها كثيرة ومختلفة ولم امارسها حتى اعلم المناسب منها لسبي وسيتي وحيث رأيتا انه لا بد للانسان من صعة يكتسب منها مع الشرف والوقار وحط الاموس والاعتناء فلا مانع وقد فوصت تعيين الصعة الى الله ثم اليكما فكلمنا احترقاه واقع عدي موقع الصواب بما اعتقده فيكما من ممارسة احوال الناس. وكثرة التجارب والعلم بما يعيد ويبيع وما عليّ الا ان اكون مثلاً لما تأمراني به وان اعدل غاية جهدي لاحقق ما ظننته في فان رأيتا احوالي بالمدارس الميرة فانا راض به راغب فيه خصوصاً لما رأيته نفسي من احوال من سبق له الدحول بها فاني لم اجد احداً منهم الا وهو في ثروة ورفاهية لم يمكن فيها غيره واطم ان والذي يعلم ذلك فان بالحارة التي نحن بها في مصر حملة منهم لم درجات مختلفة اقلها بمرتبات كافية وفيهم من بلغ المناصب الرفيعة والرتب العالية وله مرتبات حسنة يعق منها على الاهل والاقارب ويصدق على الحار والصاحب فضلاً عن الصدقات المربوطة للفقراء والمساكين ورأيت جميع اهل الحارة بل واهل الحط يراعون حواطمهم للمعرومهم وكرمهم ومساعدتهم المحيرة وليس فيهم ان امير او شه يف وقد توجعت ذات يوم مع تلبيد من اساء

حارتنا هناك فحدث بها تراثيف ونظامات الها قلبي واخذت
بلي من ذلك الوقت ودبت ان اكون من مرة من بها لما فيها
من الامور المرعونة في حس التربية وهي تسمية القوى الناطقية
وتقوية المحافظة والتصور والعقل وتهديب الاخلاق مع رعاية ما
يلزم لحفظ الصحة من الصور عن اسباب الامراض والعاهات
بملاحظة حكما موطئين لذلك لا يزالون متعدين اغذيتهم
واما كن ميئتهم ومواضع مدارسهم ومحل تعليمهم وترويج انفسهم
لتحديد نشاطهم وتقوية قرائنهم بالنظر لما اشتملت عليه من الاشجار
والمياه والارهار والتردد بين ظلالها وذلك الى ما احتضت به من
افاضل المعلمين والمؤدبين ورأيت ان الاسارب ما دام فيها لا
يكون مشغولاً بشيء غير التعلم واما الامور الضرورية فهو كولة الى
خدم مخصوصة ملزمة بأدائها في اوقاتها وسمعت ان الانسان اذا
تم ما فرض عليه في مدرسة انتقل لغيرها على حسب درجة استعداده
وما ابداه في الامتحانات العامة والخاصة الى ان ينتهي المخصوص
على الشخص معرفته وتكون فيه قابلية واستعداد للخدمة وطبه قصد
ذلك تعطى له الرتب الثلاثة به ويحظى بمرتباته ويعد من رجال
الملة وبحسب ما يديه في خدمته من حسن الادارة والصدافة
يترج ضمن افاضلها سواء على ما ذكرته متى كان الانسان كثير
الاجتهاد متخلقا بالاخلاق الحميدة كان آما على نفسه جميع عمن
من عاهات الدهر وثقلات الايام لانه وهو بالمدرسة يكون محمولا

مجتلاً بين أقرانه وحركاته فيمبسونه ويعبدونه من أهل الفضل
 وإذا خرج عنها إلى أعماله واشغاله يتقدم في درجات الشرف
 وبعد من أهل العدل بحسب صداقته واستقامته وحسن إدارته
 فرح الإنكليزي بما ألقاه ابن الشيخ وشكره وعظم من ذلك الوقت
 شأنه وقدره حتى أنه أصر في نفسه أنه بعد دخوله بالمدارس
 يساعده ويقوم بكل ما يلزم له من كتب وإدوات وإن يجعل
 له من طرفه مكافأة كل ما ظهر في ميدان الامتحان فوقانه على
 الأقران وإن يفتح فرصته ويؤكد رغبته مدة إقامته في البلاد
 الأوروبية ويطلعه على جميع أحوال تلك البلاد وأسباب
 ثرواتها حتى يكون من ذلك على معرفة تامة لما يراه من الأشياء
 وينفع على حقائقتها وإن يريه المعامل والعريفات وأماكن اللهو
 والترسبات ليؤكد ميله ورغبته وأحرر بما أصبر إياه فأطال
 شكره له وثناؤه عليه

المسامرة الصائفة صرفة في البحر ومحاذية

ثم أخذنا في شجون الحديث وتناقلا أحبار القديم والحديث
 حتى جرى بمسابقة الحال ذكر للبغار فتواصعا غرائب ما أودعته من

الاسرار فكان من كلام الشيخ ان قال مستعجلاً هذا المجالي لئلا ان
يزيد علمه ويصل الى ما غاب عنه فهمه سبحانه من اجل صغره
واحسن كل شي خلقه واثن وضعه واخرى مواجر البواحر تشرح
متون الماء وبحر لعباده كل ما اشتملت عليه الارض والماء ومن
عليها في مدة هذا السفر الحبيد بغير ما كنت احاف منه وعنه احميد
فلقد كنت انما اقراء في بعض كتب الاحبار متاملاً بما نصبت من
عجائب الليل والنهار

فبشئت الافكار ما قاسى الورى

من هول هذا البحر عند ركوبه

من امواج فتلاطم ودفعات على اتساعه تترام ودوائر بعض
السن تدور لا يتظر من دارت عليه الالهة الشور فقد قيل
داخله مقتود والخارج منه مولود فسأل الله دوام المدة حتى تنقضي
بالسلامة هذه السفرة كما سأل دوام العناية حتى تبلغ به كلامه
اكرم غاية لا ترى البحر الا رهوا ولا نظره البحر الا صحو
ولكن حب الاطلاع سبباً في صحبة مثل حصرتم بيهون كل صعب
فاحب ان تتكلم في امر هذا البحر فلقد رايت في بعض ما قرأت
ان الحممة المحتوية من الارض مغمورة بالماء وار للبحر حرماناً مع
كونه احداً بهاية تمدده متوارتاً في مفره وقد ذكر لذلك اسباب
اختلف القول فيها فما عدكم فيه فاتم اساء البحر وعدكم يقين علمه
فقال له الانكليزي اعلم ايها الاستاذ ان الانسان يلوصل

بما اعطاه الله من العقل وقوة الفكر الى معرفة السياحة في البحار
 والسفن التجارية والشرعية واستكشف كثيراً ما فيها من بقاء
 الارض وغيرها الا ان ما جهله أكثر ما علمه في كل يوم يوجد
 في حوفه ما لا يحصى من الخلق وهذا الهدى والسكون الذي رآه
 لم يكن الا ظاهرياً اذ تحته عتائب مستورة عن اعين الناس لجسامة
 طباقه وغور اعماقه فلا تمر عليه لحظة من الزمن الا وهو في فعل
 مستمر وحركة مستديرة منها تأثيره على الكرة الارضية فتارة يؤثر في
 الطبقات الظاهرة وتارة في الطبقات الباطنة وتقلبه المستمر يأخذ
 من جهة الى اخرى ومن ارض الى غيرها فما هو الا كما مور من
 قبل الحق فما ياحده من هده يعطيه لغيرها وهذا دانه من احداث
 خلق العالم الى ما شاء الله فلا هده له ولا استقرار ولا سكون له
 بالليل ولا بالنهار ولعظمه لا يظهر لعواصف الرياح تأثير الا على
 سطحه وهول امواجه الظاهري ليس شيئاً بالنسبة لما يحصل من
 حركة جسمه فانه يشاء عنها ارتفاع سطحه الى عان السماء
 وسقوطه الى تحوم الارض فتحلل منه احجرة ترتفع الى السماء ثم يدفعها
 الريح الى جهات بعيدة فتحلل منها الاملاح وتصبح عدة وتظهر
 بصورة جديدة فتارة تكون سحابة فيسير الى الجهة التي قدر الله
 انصاه فيها فتصب به ارضها وتغدى به اهلها وتارة تكون سيولاً
 حارفة فينسب عنها الثلج والمضرات وتارة تكون مطراً لطيفاً
 واحري تكون ندى كما يشاهد على اوراق الاشجار وبين طبقات

الارهار وسبب ما في الارض من الجفاف تنقص ما سقط على
 سطحها وتنتلهه فيجري الى مستودعات يجمعها حتى اذا امتلأت
 وضافت عن احتمال المدد الدائم. التلاحق نفثت عيوننا وطلبت
 مياهها الأمسكة المطبئة حسب اقتضاء طبيعة الماء واجتمعت مع
 المياه السائلة من الامطار فكانت المانع والامهر والحضان التي تمر
 بالبلاد التي سكنها والارض التي بررعها فيكسوها ثوب الحصوة
 ويلطف الجو فيعدل هواء القاع وبعد ان استنجد الانسان على
 تلك المياه وجعلها في اسره ونصرف فيها على حسب رغبته ولولم
 اعماله تعود الى البحر ومعها السع حامله مصوعات الاساس
 ومحصولات اعماله

فقال الشيخ - شرحتم فادتم وادعتم فاحدتم وردتم بيان سبب
 تكون الصحاب الذي يدور عليه امر الحيوان في جميع المعمورة من
 احراج عذائه وتلطيف هوائه وابداء بمائه وتحسين روائه فما احسن
 هذا الكلام كاشفا عن حقيقة المرام غير ان اناسا من ضعفة العقول
 ليس لهم من العلم كبير محصول ادعوا لانسهم البطلة والدكاء
 وان لم كمال الاطلاع على حقائق الاشياء فراء بعض الكتب
 المترجمة من كلام القدماء توهموا ان قواطعها البرهانية تحالف
 نصوص الشريعة الغراء وادخلوا ذلك على بعض الادهان
 وتسلفوا بالظعن في محكمات آي القرآن حتى احتاج علماء المللة ان
 طهروا بصورة المكرين على جميع كلمات المتقدمين مشتعلين

بالاستدلال على حدوث العالم وسنة جميع الحوادث اهداء للاحكم
 الحكايم مقررين ذلك بين العامة والخاصة حتى صارت كتب
 الفلسفة مسكرة والمشتغلون قرائتها كفرًا واشتد ذلك في القرون
 المتوسطة حتى كان يكتب في عهود تولية المحنسين امرهم والتشديد
 عليهم بالتعتيس عن تلك الكتب والهوم على بيوت من يعلم ان
 عنده شيئًا منها وكان ذلك سببًا لتعطيل المسلمين عقولهم عن
 استعمالها فيما يمكن للانسان علمه فانتدب المهرة المتوغلون في معرفة
 الصون كحجة الاسلام ابي حامد الغرالي وبصلا انفسهم لعصل ما
 يصير ما يبيع وميزوا ما لا يصح ان يهمل من كلام الحكماء عن غيره
 وسردوا ما يستحق الرد ووضعوا في ذلك كتبًا واكثرها وخطأها
 راي من اطلق القول في الانكار على الحكماء وقالوا ان هذا النوع
 من نصر الدين اصرو عليه من طعن المحدثين وبين كثير من فطام
 المتأخرين كخلال الدين الدواني صحة اشياء كثيرة ما ابطاله نحو
 الغرالي تفصيل ما اراده المتقدمون فيه وتحقيقه من الطعن على
 القرآن ما حكاه محقق المفسرين فخر الدين الرازي متصديًا للحوادث
 عنه ونص عبارته (الم تر ان الله يرحي سحابة ثم يولف بيه ثم
 يجعله ركامًا فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من
 جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء)
 اعلم ان هذا هو النوع الثاني من الدلائل وفيه مسئلتان المسئلة
 الاولى قوله لم تر بعين عقلك والمراد التنبيه والاجزاء السوي

قليلاً قليلاً ومه البضاعة المرحاة التي يرجيها كل احد وإرحاء السير
 في الابل الرفق بها حتى تسير شيئاً فشيئاً ثم يؤلف به قال الفراء
 بين لا يصلح إلا مصافاً الى اسمين ما راد وإنما قال به لان السحاب
 واحد في اللفظ ومعناه الجمع والواحد سبحانه قال الله تعالى
 (ويشيء السحاب التقال) والتاليف ضم شيء الى شيء اي يجمع
 بين قطع السحاب فيجعلها سحاباً واحداً ثم يجعله ركائماً اي مضمعاً
 والركم جمعك شيئاً فوق شيء حتى تجعله مركوماً والودق المطر
 قاله ابن عباس وعن محاهد الطبري وعن ابي مسلم الاصماني الماء
 من خلاله من شقوقه ومحارقه جمع حل كحال في جمع حل
 وقرئ من خلله والمسئلة الثانية اعلم ان قوله يرحي سحاباً يجعل
 انه سبحانه يشيئ شيئاً بعد شيء ويجعل ان يغيره من سائر الاجسام
 لا في حالة واحدة فعلى الوجه الاول يكون نفس السحاب محدثة
 ثم انه سبحانه يؤلف بين اجزائه وعلى الثاني يكون المحدث من
 قبل الله تعالى تلك الصفات التي باعتبارها صارت تلك الاحسام
 سحاباً وفي قوله ثم يؤلف به دلالة على وجوده متقدماً متعرقاً اد
 التاليف لا يصح إلا بين موحدين ثم انه سبحانه يجعله ركائماً
 وذلك تتركب بعضها على البعض وهذا مما لا بد منه لان السحاب
 انما يجعل الكثير من الماء انا كان هذه الصفة وكل ذلك من
 غائب حلقه ودلالة ملكه وإقتداره قال الطبائعون ان تكون
 السحاب والمطر والثلج والبرد والطل والصنيع في اكثر الامر يكون

من تكاثف البخار وفي الأقل من تكاثف الهواء اما الاول والبخار
الصاعد ان كان قليلاً وكان في الهواء من الحرارة ما يجعل ذلك
البخار تلك الاحمرة متصاعدة اما ان تبلغ في صعودها الى الطبقة
الباردة من الهواء أولاً فان بلغت فاما ان يكون الرد هناك قوياً
اولاً يكون فان لم يكن تكاثف ذلك البخار بذلك القدر من الرد
واجتمع وتقاطر والبخار المنبع هو السحاب والمقطر هو المطر والندبة
والغابل اما يكون من امثال هذه العيوم واما ان كان الرد شديداً
فلا يحلو اما ان يصل الرد الى الاحراء البخارية قبل اجتماعها وإحلالها
حات كآراً او بعد صيرورتها كذلك فان كان على الوجه الاول
رل ثلجاً وان كان على الوجه الثاني رل برّداً واما اذا لم تبلغ
الاحمرة الى الطبقة الباردة فهي اما ان تكون كثيرة او تكون قليلة فان
كانت كثيرة فهي قد تعقد سحابة ماطرًا وقد لا تعقد اما الاول
فذاك لاحد اسباب خمسة احدها اذا مع هبوب الرياح عن تصاعد
تلك الاحمرة . وثانيها ان تكون الرياح ضاعطة ايها الى الاجتماع
سبب وقوف جبال قدام الريح . وثالثها ان تكون هناك رياح
متقابلة متصادمة فتجمع صعود الاحمرة حيثئذ ورأسها ان يعرض
للحسم المتقدم وقوف ثقله ويطيء حركته ثم يلتصق به سائر الاجزاء
الكثيرة المدد . وخامسها لشدة رد الهواء القريب من الارض وقد
شاهد البخار يصعد في بعض الجمال صعوداً يسيراً حتى كأنه مكة
موضوعة على وهدة ويكون الناظر اليها فوق تلك الغمامة والدين

يكونون تحت العمامة يبطرون والديس يكونون فوقها يكونون في
الشمس واما اذا كانت الامخرة القليلة الارتفاع قليلة لطيفة فادا
ضررها رد الليل كثفها وعقدتها ماء محسوساً ونزل ملولاً متفرقاً
لا يحس به الا عند اجتماع شيء يعتد به فان لم يجهد كان طلاً
وان حمد كان صقيعاً وسه الصقيع الى الطل سه التلج الى المطر
واما تكون السحاب من انقاص الهواء فذلك عند ما يبرد الهواء
ويتمض ويحبس فيحصل منه الاقسام المذكورة والجواب انما لما
دلنا على حدوث الاجسام توسلنا بذلك الى كونه قادراً مختاراً
يمكنه ايجاد الاحسام لم يمكنه القطع بما ذكرتموه لاحتمال انه سبحانه
خلق اجزاء السحاب دفعة لا بالطريق الذي ذكرتموه وايضا هب
ان الامر كما ذكرتم ولكن الاجسام بالانفاق ممكنة في نواتجها فلا
بدلها من مؤثر ثم انها متماثلة فاحصا كل واحد منها بصفته
المعية من الصعود والهبوط والطاقة والكثافة والحرارة والبرودة
لا بد له من محصص فادا كان هو سبحانه حائفاً لتلك الطوائع
وتلك الطوائع مؤثرة في هذه الاحوال وحائق السب حائق
المسب فكان سبحانه هو الذي يرحي سبحانه لانه هو الذي خلق
تلك الطوائع المحركة لتلك الامخرة من باطن الارض الى حوالها
ثم ان تلك الامخرة اذا ترادفت في صعودها والتصق بعضها ببعض
فهو سبحانه هو الذي جعلها ركاباً فثبت على جميع التقديرات ان
وجه الاستدلال بهذه الاشياء على القدرة والحكمة ظاهر بين

فقال الإنكليزي ان الانسان مع كثرة اشغاله اللارمة لحفظ
 حياته على قصر عمره لا يمكنه ان يحيط بتحقيق جميع فصول العلم مع
 كثرتها وتشعبها واختلاف الآراء والمذاهب في اصولها وفروعها
 وغاية ما يمكن للانسان النادل وسعته واقصى همته ان ينشئ الفن
 او الفنون ومن ذلك كان الناس حسب الوضوع الالهى متقسمين
 الى الطوائف فكل طائفة اشتغلت بما استعدت له واراده الله
 منها على تفاوت افرادها في ذلك فتمت مفاع الناس واستقام امر
 وحودهم فكان مجموعهم مبرلة شخص واحد يصرف اعضائه في
 مصالحه فلم يكن لطائفة ان تنكر على طائفة افكارها واعمالها كما انه
 ليس للزأمن ان ينكر على اليد اعمالها التي لاحتها خلقت بل على
 كل طائفة ان تنكل على علم ما جهلت الى العروة التي بدلت همتها
 وابصت اجسامها في تحصيله وتشيد اركانها واصادة رهاه لا يرري
 احد على احد عمله ولا يبادر كالأعمار بالنكار ما جهله فتبين من
 ذلك ان الواجب على علماء الملة ان يتقوا اصولها ويحفظوا فروعها
 غير متعرضين لا أقوال غيرهم واعمالهم لا بالتسليم ولا بالنكار ما لم
 يوافق او يخالف ما ثبت عندهم بالبراهين الموحدة لم علم اليقين
 او يتعرض بعض الاغرار كما حكيم لقض اصل او ابطال فرع
 وكان قد سبق بين حضرة الشيخ وصاحبه معاهدة على انه متى سمع
 منه كلمة غير موافقة للغة ارشده اليها واتم الفائدة بحكاية اشكالها
 فقالان الشيخ جري في كلام حضرتكم لفظ عواصف الرياح

وأما يقال للرياح البحرية فبوصف لانها قد تعمل القصف وللرياح
العربية عواصف لانها قد تحمل العصف وهو ما ليس من اوراق
الاشجار وكلامها ليس من قبيل الاسم بل من قبيل الوصف كما
يقال للرياح التي تلح اناث الاشجار من ذكرها اللوآح والمختلفة
الشديدة المحواشك والحارة في الصيف السوارح والتي تقدم المطر
فهي بليلة المشرات والتي مع للمطر المعصرات والتي تثير الاعبرة
الاعاصير والتي تحمل السفا وهو دقيق ما نحات من السات
السواقي وهذه الاسماء اكثر ما وردت بلسان الجمع ويقال للريح
اذا هت لينة الريدة والريانة والسيم فاذا ثابعت مستمرة فهي
الرجاء واذا سمع لها صوت كحين الانل فهي المحون فاذا اشدت
نسدة فهي الساحة والسبح والسهبج والسهبج فاذا سمع لها مع
الشدة صوت فهي الرواف فاذا اشدت حتى قلعت الجبار فهي
الهموم فاذا رادت حتى قلعت الاشجار او دون ذلك فتليل فهي
الرعزع والزراع والرعزعان واذا حملت الحصاص اي الحصى فهي
الحاصب فاذا درجت حتى ترى لها ديلاً في الردل كما لرس
في الدروح فاذا كانت شديدة المرور فهي التوج فاذا اسرعت
في الحفل والحافلة فاذا هت من الارض نحو السماء كالهمود هي
الاعصار والروبعة فان حملت غباراً فهي الهوة فان حملت التراب
وترددت به ويسمى المور يصم الميم فهي الفوحاء فاذا هت بارهة
فهي المحرجف والصرصر والعربة ككفبة فان اشدت حتى حرفت

الثوب هي الحريق فاذا كانت حارة هي المحرور ليلاً والممور
 بهاراً فاذا كانت بين بين هي المتعص فاذا لم تفتح شجراً ولم تسق
 مطراً هي العقيم فاذا كان هبوبها من المشرق هي الصا وعن
 بين المتوجه للشرق المحبوب وعن شماله الشمال والتمال ومن
 المغرب الدور فاذا خرجت بين هي رحيب من هذه الاربع
 هي الكباء فار كانت بين المحبوب والصا هي الحريا بكسر
 الحيم وان كانت بين الصا والشمال هي الصابة وار كانت
 بين الشمال والدور هي الاربع كحضر وان كانت بين الدور
 والمحبوب هي الهيف بفتح الهاء وكانت العرب تنادي بها لكونها
 تيس السات وتعطش الحيوان وتشف الماء وفي المثل دهت
 هيف لادباها بصرب لسيء الاعمال اذا جرى على عوائده ولعصم
 نظم الاصول والكعب وهو هذا

صا ودور والمحبوب وشمال

شرق وعرب واليميم والضد

ومن بينها الكباء ارب حريا

وصابة والهيف حائمة العدد

فشكره على ما افاد ثم قال ان اثار الحرارة التي عليها مدار
 ما اسئلنا شرحه هي احد القواين التي بها ربط الله جميع احوال
 الجبر

القانون الاول المحبب الواقع على الجبر من الكواكب وقد

ثبت علماً وعملاً أن الثمر بسبب قرنه من الأرض يؤثر على سطح
 البحر المحيط فيجذب ماءً نحوه فيحدث من ذلك تموجاً ثم يرتفع
 بعض أقدام فوق سطحه ثم يسير على اتجاه الكوكب في خوف
 السماء وبعد أن يقطع مسافة في سيره يصدم بين أرض هولاندة
 وبين أرض آسيا المحوية وسبب انحساره يسابب التيار بقوة
 وينقسم إلى تيارين أحدهما يتجه جهة سواحل إفريقيا وبعد ساعة
 من ظهور الثمر تكون تلك الأمواج وصلت إلى أرض فارس
 ومراكس وبعد ساعتين تكون سفار الطارقي وتر سواحل بلاد
 البرتغال وفي الساعة الرابعة تكون وصلت إلى السواحل القريبة
 من بلاد الأنكلترا ولا تصل إلى سواحل أرض أسوخ إلا في الساعة
 الثامنة لأنها تتعطل في سيرها بالحرارة الموحدة في بحر الشمال
 والثاني يأخذ اتجاه سواحل أمريكا العربي بسرعة فيقطع في الساعة
 الواحدة مائة وعشرين ميلاً ومعنى تصادم بأرض السواحل المذكورة
 اتجه إلى الشمال فيحس هناك بين حرارتين متعددة فترتفع أمواجه
 ارتفاعاً يقرب من ثمانين قدماً ويكون أكثر من ارتفاع الأمواج
 التي تحدث عند أعظم العورتونات بحسب قداماً لأنه لم يعلم إلى
 الآن ارتفاع الأمواج بأعظم العواصف أكثر من ثلاثين قدماً كما
 ذكر في التواريخ

والقانون الثاني وإن كان ثابتاً بالعلم ولا شك فيه لكن
 أكثر الناس تجهله لأنه غير محسوس ولا يدركه إلا أولوا الأنصار

من دوي العلم وهو تأثير حرارة الشمس الذي يكون به الماء سائلاً فان الماء كسائر الاجسام قابل للتخلل والتكاثف فاذا زاد تأثير الحرارة فيه تمخلل وكرر حجمه وحف حتى يصير بخاراً مناسباً للهواء واذا نقص تأثير الحرارة فيه تكاثف وصغر حجمه وثقل حتى يكون وزن دراع من حار اقل من وزن دراع مما دونه في الحرارة ولا يزال الماء سائلاً ما دامت حرارته في الدرجة الثالثة وما فوقها متى نقصت عن ذلك صار بازدياد تكاثفه مادة لرحة وكلما احدث في البرودة ارداد جموده وحقته حتى يصير حجراً مناسباً للارض فالماء جوهر دائرين ان يكون ارضاً وان يكون هواءً متعادلاً عليه المحمود والسيلان والثقل والخفة وكل ذلك ناشيء من صحة الحرارة له وامتزاجها به ومن موارقتها اياه وخلوه منها ثم انه علم بالتحرية ان الحرارة اما تصل من عمق البحري عاية ثلاثة الاف وستمئة قدم

وبناء على هذا القانون فسطح البحر دائماً في حركة مستديرة وتبادل بين طفيفاته متى تقل بالبرودة يرل الى اسفل وصعد ما تحته فوفاه وكل ذلك ناشيء عن تغير الحرارة واحتلاها في درجاتها ومن هنا نشأت التيارات العظيمة الحارة والباردة التي تشاهد على سطح البحر في كثير من الجهات فان السياحين شاهدوا ان حرارة ماء التيارات المذكورة ثنائي درجات مع ان درجة حرارة الماء الراكد الملاصق لها احدى وعشرون ولذلك قالوا بان راكب

العنبدل يمكنه ان يغمس احدى يديه في الماء البارد من جهة
ويده الثانية في الماء الحار من الجهة الاخرى وكم من عذاب حية
تحت طاق الماء يرفقها الاساب ويقطع جميع هذه الحور ولا
يحصل منه ادنى التلفات اليها ولا شعور ولا يعلم ما في قراره من
الغابات المتسعة والوديان المطشاة والمحال المرتفعة والبراري الهائلة
فكم في قاع الحور من ارتفاعات ووهجات وانخفاضات وكم فيه
من صحاري ووديان ومغارات وصخور فتارة يكون سيطا عظيم
الاستطالة محردا عن السات في بعض الجهات وتارة يكون عامرا
بالسات والعشب في جهات اخرى وتري قاع البحر كسطح الارض
فيه المرتفع والمحصب والتحل والمحصب وقد تسود في حيرة
ستهييلينه بالحس ان عمق البحر اربعة عشر الفا وثمانمائة وخمسون
قدما وعند القطب الشمالي وصل الحس الى عمق ستة وعشرين
الف قدم وثمانمائة قدم وذلك عبارة عن حصة اميال وهذا
العور لا يوجد مثله في سائر البحار التي على سطح الارض وفي
هذا العمق العظيم ترتفع حال وصخور وحرائر وغيرها
وكما شاهد ان سطح الارض دائم في التغير فمعصه يرتفع
وبعضه ينخفض وكذلك قاع البحر وذلك محسوس خصوصا في
البحر المحيط المحوي وقد ثبت علميا ومشاهدة ان استواء الماء في
المحيط ثابت وان الارض هي المتغيرة حالما لرأي المتقدمين فاهم
كانوا يعتقدون عكس ذلك وقد انتطع الان هذا الشك ورأى

الاشكال وبطل هذا الاعتقاد وما نفي عليه من الاقوال
 فقال السنج ان من يطلع على ما في داخل الجبار وينظر
 لسكان طاقه تبين الاعتشار وما كبر في حلال قراره وبحوده
 واعواره واجام الاعشاب الطافية على سطحه علم قدرة التقادر وعظم
 شأنه وحضخ لخلاته فثم ما لا تسعه العقول ولا يهب بحصره
 ارباب القول نرى بحارا عميقة وبها حيوانات هائلة واخرى دقيقة
 لا يعلم منهاها الا الله وبها وحولها نواقى ما انتلعه البحر من مخلوقات
 ومعادن ومصوعات ومكان ما انتلعه من الارمان السائلة فترى
 آلات الحرب ونواقى القنلى وقطع السن وكنا الذهب والفضة
 اللدان ما تقود الامم السائلة واللاخنة ومعادن مختلفة كل ذلك
 تحت الصخور وفي مخوات البحور

وفوق ذلك وتمخه وداحله انواع مختلفة من المخلوقات باشكال
 وصور وكميات لا نهاية لها فمنها الحيوان الدقيق الذي لا يرى
 وما هو اكبر منه وهكذا الى الهاشنة التي لا شبه لجسمها في
 المخلوقات الارضية وما يستعربه الاسان دوام المعركة بين جميع
 هذه الانواع وبعضها فتارة تكون طاردة وفتارة تكون مطرودة
 وفتارة آكلة وفتارة مأكولة وفتارة غالبة وفتارة مغلوبة هذا دالها مع
 بعضها في جميع فصول السنة وهذه الكمية يكون تحت طاق
 الماء سواء كان في هذه او سكوت مخاربات ومحاورات وهجوم
 ومدافعة ومماعة ووحوم وكما يوجد على الارض انواع حيوانات

وطيور فكذاك يكون في البحر ما يشبه الذئب وما يشبه الأسد
وما هو كصاحب السيف وما هو كصاحب السان وغير ذلك
وربما كانت اشد افتراساً وقسوة ولما عندها من الحيل تراها
تعتال في الدفعة الواحدة الواحدة مؤلفة من الانواع التي اعدها
الله لقوتها ومع ذلك كله فلا يسمع لها صوت ولا وجيب وغاية
الامر انه يظهر في بعض الاحيان على سطح الماء كلون الدم وتري
اسماك مقتولة عائمة فوق سطحه فيكون ذلك علامة على معركة
او مقتلة حرت بين طوائف الاسماك في جوف البحر

فقال الانكليزي كذلك وقد شهود امور اخرى غير
هذه وهي ان ماء البحر يتلون بالوان مختلفة فيكون باللون
الزيتوني كما في البحر المحيط المحوي ويكون اخضر كما في سواحل
العرب ويكون وردياً كما في حمة الكاليفورنيا بالامريكا واحمر
كما في البحر الاحمر وجميع هذه الالوان قد تكون مكتسبة من
الوان السات والاعشاب المائية في شقاع بحار هذه الجهات او من
الوان الحيوانات الدقيقة المحسوسة المتحللة بين جواهر الماء فيكون
اللون شديداً او غير شديد تبعاً لكثافت الطبقات وتراكم هذه
الحيوانات وهاك حيوانات تجعل لون الماء اسود كما في حمة
مالديف واخرى تكسه لوناً ابص كما في حمة غيبه واغرب من
هذا كله ان هاك نوعاً من هذه الحيوانات له لمعان شديد ومنى
اجتمع مع بعضه ظهر على سطح الماء لمعان يشبه ضوء النار وهذا

النوع يكون في جميع طواق البحر ولكل من هذه الحيوانات
والديدان قاع تسكنها وطرق تسلكها عدد انتقالها ناعمة في
سيرها تيارات مجبولة تنتقل من الاقطاب الى دائرة الاستواء ومن
قطب الى قطب ومن العرب أن الغائشة التي حرمها قدر حرم
الفيل خمس مرات فاكثرت حاج هذه الديدان لعذائها فلا يها لها
عيش إلا بالحصول عليها فترها تهاجر حلف هذه الديدان وتسير
مسافات بعيدة حتى تحصل منها على ما يلزم لها

فاظهر لحكمة الله التي احوحت العظيم للتغير حتى الغائشة التي
هي اكر حيوان صارت محتاجة في غذائها لآخر شيء وهو الديدان
ولم يكن في جميع انواع المخلوقات ماله اكثر ميلاً للأسفار من السمك
ففيه انواع تنحدر الى الكهات الحوية واخرى تصعد الى الكهات
الشمالية وهذه تنحدر الى الشرق وهذه الى الغرب وبعد ان يقضي
كل اربه يرجع الى ما هاجر منه ثم يعود مرة ثانية في وقت اخر
وبعضها يخرج من البحر والماء المالح الى النهر والماء العذب
كالسردين ابي صغير السمك وربما كان في كثافة عظيمة بحيث
يمع حريان الماء ومنها ما يكون في غابة اللامسة فلا يكون للسارة
عليه تأثير وما تاكله الطيور وما يموت شيء لا يحمى ومع ذلك فما
يجري تليبه وانذاره لاجل الاعتماد به عند الحاجة اليه اكثر وفيه
اكبر المخلوقات ومنه الغائشة وقد مرت والدرمبل والتمسة التي
تبلغ نصف الله فاكثروا سكان جزائر البحر المحيط بحوالي بصطادون

في كل عام الوفا مؤلفة من كلاب البحر لاجد دهنها ووريتها وفي
البحر من السمات ما لا نهاية له فمنها ما ياحد في شكله صوراً
متعددة وجلون بالوان مختلفة لطيفة حتى تكون منها بساطيب
عظيمة تهوق في ظرها السمات البرية وكما تمل اغصان الاشجار
البرية نعا للرياح كذلك تمل اغصان السمات البحرية نعا
لامواج البحر حتى انها في بعض الاحياء تلع من اصولها وتسير
الى مسافات بعيدة وتترام وتتركب منها طرفة كثيفة تتعطي جرم
عظيماً من البحر وربما سمعت السمع من العصور ومواضع هذه
السمات معلومة منها ما يكون ثابتاً بالصخور فلا تؤثر فيه الامواج
ولا تقلعه الا و معه صحوره ومنها ما يبيت بالقرب من السواحل
واذا نت بعيداً عنها لا يتجاوز في بعده لربعين باعاً وتنت في
جميع البحار ولكن الاكثر ان هذه السمات لا تكون الا في البحار
المحوية تحسب فيها وتند الى فحوالف وحمامة قدم وتارة تمتد
على سطح البحر وتغطي ماء بالكلية وتستمر حتى تكون سماتها ثلاث
مائة ميل في العرض وتنتشر الى خمس وعشرين درجة في العرض
وقد قطع (كولومب) ثلاثة اسابيع كاملة في مروه منها حين
ذهب لاستكشاف امريكا وهذه الحشائش عبارة عن مادة هلامية
اي لينة معطاء نقرة كالجلد وتتشعب الى ما لا نهاية له وكلب
تسحب جوع كذلك وهكذا حتى يكون من ذلك شعاب عظيمة
والجميع ينتهي بلونها رقيقة الاطراف ومنها ما ياكله الاسلح

تفكها ومنها ما يبع لداء الصدر وكثير من الطيور لا تقتات إلا
 منها وذلك في بحر الهند ومنها نوع سكري يتند الى عدة اميال
 فروعه ربيعة كالحيط وورقه عرض اليد ويستخرج منه عصارة
 سكرية ويوجد على سطح البحار القطبية الشمالية حشائش طولها الف
 قدم واوراقها حمراء وردية يحملها الماء بواسطة شبه عوامات موحدة
 تحت عقد الفروع تنمها من الانفاس وفي بعض الجهات شوهد
 حشائش تشبه شجر التفاح ذات فروع حاملة مقداراً عظيماً من
 العاكهة وحدورها متمسكة بالصخور واوراقها مدلاة في فروع تنسج
 فروع شجر الصفصاف ومع هذا كله في قاع البحر انواع مختلفة
 لا يحصرها الاً موحدها ومن اجتماع هذه الساعات مع بعضها
 تحدث اشكال غريبة ورسوم هندسية عجيبة منها ما يلتصق بعصه
 فيكون قنناً كروية كبيرة تارة وصغيرة اخرى ومنها اشكال مخروطية
 تارة تكون شكلاً هرمياً مربعاً او مثلثاً ومنها ما يسم على سطح الماء
 ويكسوه حراً عظيماً فيجمع نفود الضوء والحرارة ومنها ما يكون
 حامات معصلة عن بعضها وتارة متقاربة تحببها اخرى وسبب
 كثرة الالوان والاختلاف في الطول والشكل وكيفية التعشق
 والتداخل بتشكيل منها هيئات وتكون لعالم البحر كالمدين والمساكن
 بأوي اليها وتخصص بعصه من بعض وقتيها من شره ومر...
 يبصر تلك العانات وجمالها يرى اموراً عجيبة تدهشه لانه يرى على
 اعصابها ديداناً تسمع نحو الورق لتتغذى منه ويرى عمل الجرباجاناً

ما بين نبت الماء والقراي الأصلية وكتب البحر والعيون الرصاصية
والنمر والنعمة والدكا والتمسة كلاً في مكانه ومحل راحته ومأمله
وما من نوع منها إلا وهو راصد لبعده أما لتحصيل قوته وأما للفرار
من عدوه هذا بمفرده راصد لتحصيل غذاء وهذا خائف من اعتداء
غيره وإداه هذا بقوته يكر وهذا يصعبه به ومع ذلك في الماء وتحت
العانة وعلى فروعها وحلال أشجارها محاربة مستمرة بين الطوائف
كافة ولو امتعت النظر لوحدت أمور أخرى غريبة وهي أنك ترى
أنواع الحمار مختصة متلاصقة منها الكبير ومنها الصغير ولا تسأل
عما حاورها ولا تشتعل بما بعد عنها بل هي مقبلة في مقراها غير محتاجة
إلى الأسغال ولا تختل من تقلب الأحوال عالمة كعبرها بأن الله
حاتمها ودر لها رزقها كما در لغيرها وتقدرته تعالى حل لها قنما
تتكفي بما تأخذ من الماء بما يلزم لها في تحديد الهواء وصماء الدم
وغير تلك الأنواع والأحاسس من المخلوقات ويوجد في البحر عوالم
لا يوجد مثلها في البر ومنها الحيوان المسمى بالمرحان فقد قيل أنه
أول ما يشأ يظهر فوق حجر من الأحجار القارة في قاع البحر ويرى
يشبه أصلاً سائياً مسكوناً بحيوان ثم يخرج غيره ويذهب مثل الأول
وهكذا يتكون على طول الزمن وتوالي الطبقات عود المرحان
وقد شوهد فرع من هذه الفروع عليه حيوان صغير جداً شكله
الظاهري يشبه رهر السات في شكله ولونه ومن دأبه أن يخرج من
الحجر ويعود إليه وهذا الحيوان وإن كان صغيراً جداً لكن يفعل

ما تحار فيه العقول فانه تارة يصع بيوتاً وترتفع من قرار البحر الى سطح الماء ويمد طبقات وما يستعين به في عمل تلك البيوت من المؤنة لا علم للانسان به ولا بكيفيته ولا تركيبه فسبحان من خلقه وابدعه وفي قرار البحار اودعه ونسب حسن شكل هذه المنارل الفاحرة والوالها العجسة الراهرة اشتعلت بها افكار الخلق في جميع الارمان ونح من ذلك حرافات كثيرة ومن المستعربات ان هذا الحيوان الدقيق لا يصع بيته في المياه ذات اللج الكثيرة الامواج ويبعد عن المياه الكدرة والراكدة واول اساس يصعه في عميق الماء ومن سنة الى اخرى وقرن الى قرن احر يصل الى ان يحيط بمساكنه وبيوته الصحرية ساعات عظيمة من قاع البحر وفي بعض المكهاات يوجد داخل هذه الصخور بحيرة متسعة لا يكون للرياح ولا للامواج عليها ادنى تأثير وتكون في هذه وسكون دائمين ومن عادة هذا الحيوان ان لا يعلو مسكه سطح الماء وذلك لانه متولد منه فهو ملحق بالحيوان الجري ولا طاقة له بمقاولة الهواء والشمس وكثيراً ما ترى هذه الصخور في البحر عند دائر في الانقلاب في صور واشكال عجبة ويرى في وسطها هذه الحائز الراكدة وحولها الامواج المائلة تصادم وربما سمع للبحر فرقة ودوي عظيم وفي داخل الادوار التخنية وعليها تحلب امواج البحر حوتاً وحشائش من احاس متنوعة فيها يبص طيور مختلفة المحس وكثير من انواع الحشرات والطيور بأوي الها وترى بها صفارها مع الامس والراحة

الغامدة وبعد من ترتفع فوق الماء وتكون تلك الحشائش حزيرة
وارصاً يسكنها الاسان ويعملها آثاراً عجيبة فانظر لحكمة الله
وعظمته

فقال الشيخ قد أكثر الناس من وصف العجائب البحرية
ونقلوا عنها أكثر من العجائب البرية وما ذلك على الله بكثر فاشد
الاشياء قوة وإكرامها حسماً لا يريد في الخلق على الضعيف الصغير
وقد اختلف الناس في كثير من الاشياء التي تجلب من البحر كالعصر
من قائل انه بعض فصلات حيوان يجري استعمال الى صلاح
كاستعمال الدم لساً في البهائم ومسكاً في بعض العرلان ومن قائل
انه صمغ نبات يأكله ذلك الحيوان فيبقى الصمغ في فيه فيلغظه
وتحده الناس في السواحل ومن قائل انه مادة تكون نفسها في
قاع البحر وتبلغ مقادير عظيمة حتى تصير كالصخور فيبتلعها الحيوان
المشهور عند اهل عمان ونواحيها بالافال وهو الذي تسميه العرب
العصر فاذا ابتلعها فتلته وعند ذلك يطمو على وجه البحر فيراه اهل
تلك الجهات فيأخذونه ويستخرجون تلك المادة من حوفه وتارة
يبيع البحر فيهدف بالعصر على السواحل واهل البحر من بني مهرة
وهم الذين تنسب اليهم الابل المهرية يركون ليلاً في طلبه فيقال
ان الحية من الهم اذا احست بالعنبر ركت فيطلبه راكمها ويأخذه
وذلك الحيوان الذي يقال انه يتلع العصر ربما يبلغ طوله اربع مائة
ذراعاً وأكثر ويروى ان حبشاً من الصحابة بعثهم النبي صلى الله عليه

وسلم الى ناحية ساحل البحر بعد رادهم فيها هم يوماً يتظرون ررق
الله اذ ادم بذاك الحبول طافياً على وجه الماء فاحرقوه^١ واككلوا منه
ثمائة عشرين يوماً وماثوا مراودهم واحترتهم من شحمه وقديده وحين
ارادوا الانصراف الى المدينة امر امير الجيش ان يصب ضلع من
اضلاع تلك السمكة فكان كالقنطرة ومرتحنه اطولهم راکفا ما فته
ولكن كثرة الخلاف في الشيء تؤدي الى الجهل به او التمسك في
حقيقته وكالمرحان مثلاً قد نقل عن ارسطوانه نبات وعن غيره
انه معدن من قبيل الياقوت والماس والمعاطيس وانه يستخرج
من سواحل افريقية ونقل المسرون عند قوله تعالى (يخرج منها
اللؤلؤ والمرحان) عن ابن عباس ان المرحان صغار اللؤلؤ وان
كار اللؤلؤ يسمى دراً وعن ابن مسعود ان المرحان الحجر الاحمر
هذه هي الكلمات الدائرة بين الناس في امر المرحان اما حيث كان
سر الحياة سارياً في جميع الموحودات حسب استعدادها وما يناسب
موضعها فلا بعد شيء مما قيل فيها ومن ذلك ما يحكى ان السمك
حيوان يتسه خلق الطائر بخلقه الله في النار وبها حياته وله وبر
حريي يعمل منه ماسدليل وارب الماسدليل التي تصع من وبره اذ
علاها الوح نلقى في النار فتخرج نظيفة كما كانت وعلى ذلك قول
الشاعر

لو أصلي الياقوت نار صاتي * لتغيرت احواله وصماته
او قرب الطير السمك للمحني * لقصى عليه وعطلت حركاته

فيكون ما معيكم في المرجان ليس موضعاً للانكار غير ان
صورته وكونه فروغاً واغصاناً تخرج منها ارهار تقرب القول بانه
سات

فقال الانكليزي با حضرة الشيخ ان اعتقاد الاورباويين كان
كاعتقاد الام الماوية انه نأت كما هو مذكور في كتب اليونانيين
والرومانيين واليهود والصينيين وغيرهم جميعهم كان يزعم انه نأت
يست في قاع البحر لياً ثم يجهد وفي حالة كونه في الماء تفعل فيه
الامواج كما تفعل الرياح بالاعصان التربة فيعائل نحو الشمال
واليمين وجميع الجهات لكن لا يجنى على حصركم ان كثيراً من
الاعتقادات القديمة بطل الان بالكلية بسبب الاستكشافات الجديدة
وكذلك كثير من الامور الطرية والتواعد العلمية صارت لاية
لا اعتداد بها سبب ما حصل من التقدم واتساع دائرة معلومات
الحق بعضها وحد باطلاً لا اصل له والبعض مخر واستعيص عنه
باحسن مه ومن ذلك مشئلة المرجان وحيثته وكييته في اوائل
القرن الثامن عشر للبلاد احمر احد علماء ايطاليا انه استكشف
رهر المرجان واشهره ذلك في جميع البلاد وكتب به مرسوم الى
مجلس العلماء هاك وارسل مع المرسوم فرع مه وعليه ارهار ونا
عليه ظن العلماء حين ذاك انه قد اريل الشك واتصح الحق
وثبت عدم ان المرجان نأت لانه لو لم يكن كذلك كيف يكون
وحد الازهار به ثم في سنة ١٧٢٥ احضر احد حكاه الفرنسي

في هبائحه من سواحل الامريقيا صيادي المرجطون فانخرجوه له
 فاطلع عليه ولمنحه امتحاناً تاماً بان وضعه في اجانة وهلاًها بالمياه
 البحرية ونظر اليه بالظارة المعظمة فرأى حيوانات كثيرة خرجت
 منه خيفة وتجمعت فكانت تشبه الارهار من ذلك ظهر له ان
 الارهار التي اشيع عنها انها اعصان المرجان عبارة عن هذه
 الحيوانات الصغيرة وان المرجان لم يكن الا بيوتاً تصنعها هذه
 الحيوانات لما واهها ولما ثبت عنده صحة ذلك بالامتحان اعلن به
 مجلس العلماء فشاع ذلك بينهم لكن لم يصدقوه لحرمهم لطمعة ما
 قاله لم القلياني اولاً ومع ذلك فقد اشتهر بين الناس ما ظهر
 للحكيم فصدقوه لانه لم يقل ذلك الا عن امتحان صين من ذلك
 صحة قول الحكميم من ان الارهار لم تكن الا عبارة عن حيوانات
 صغيرة جداً تظهر على طاهر العود متى عمر ماء البحر المالح بعد اراحه
 من البحر فعند ذلك يظهر فوق سطحه نقط شكلها محي مركب من
 ثلثي اوراق مفصلة عن بعضها في اخر كل ورقة شعور دقيقة
 كالاهداب فمن ذلك الوقت بطل الاعتقاد القديم وثبت عند
 الجميع ما قاله هذا الحكميم فتره ينفرع فروعاً كفروع الاشجار
 الصغيرة لوها احمر وصلابتها كصلابة الحجر الاصم قابلاً للجلأ
 ومطعمه بشبه مطع بعض السمات مركب من طبقات ثلاثية
 متحدة المركز وما يكون منها نحو الظاهر من قليل الصلابة لونه
 احمر وفيه عيون صغيرة هي مساكن تلك الحيوانات وما يكون

منها نحو المركز صعب قابل للكسر وهو الذي تستعمله الصاعدة
 والجمهورية هذا في الأصل حيوان واحد ست فوق صخرة فولد
 منه غيره ومن الغير غيره وهكذا حتى يتكون فرع صلب لا تعبر
 صلاحه في قاع البحر ولا في الهواء بل صلاحه فيها واحدة كما قيل
 والحيوان المذكور اسطوان في الشكل ايضاً اللون يعلو طرفه ثمانية
 افرع على كل منها شعرات خفية دقيقة جداً وفي الغالب تكون
 العروق او الاوراق متحركة وكثيرة احساسها تطلق وتصفط بعض
 الاوقات اذا كان التأثير الواقع عليها كبيراً وتغيرت اتجاهاتها وتارة
 تطلق على الجسم ويظهر في وسطها ومن اعلاها فتحة صغيرة
 كستين هي م ذلك الحيوان ومنه يتبع داخل الجسم قصيب
 اسطوانى يمتد الى وسطه بحيث يرى كأنه معلق به وارتباطه من
 الم شنيات واصله من فروعه الثمانية بالانتظام وكل من هذه
 الثنيات مقابل لاحد العروق على الاجكام فالجزء الظاهر هو ما
 يسكنه الحيوان وبه وبين الجزء المركزي علائق قوية من جنسية
 التعدية والتكوين لانه مركب من مسوج دقيق يحيط بالجسم ومن
 انابيب مخلطة الغلط فالأكثر غلظاً ملتصقة بالمركز والاقبل منها
 فوقها والمسوح فوق الجميع والمادة الغدائية تصل اولاً للمسوح
 الظاهري ومنه الى ما تحته وهكذا حتى تصل الى المبادىء الملاصقة
 للمركز بمعنى ان المادة المكونة له لا تصل الى المركز الا بعد استيعاب
 كل قناة ومعد قسطها فتمر من السطح الى ما تحته الى المركز بكيفية

قدرها الحق حل حلاله وعز شأنه وكما له فيكون منها هذه المادة
للطبيعة واللون العجيب

ومن تكرر الاستكشاف ظهر ان الحيوانات المكونة للعرع
الواحد تارة تكون من محص الذكور وتارة من محص الاناث
وقد نجد الذكر مع الانثى في العرع الواحد وان الانثى تقذف
بعضها من منها في المدا يكون ديدانا صغيرة جداً ثم يتدري في
التجم واحد الشكل الحقيقي شيئاً فشيئاً وكما يوحد المرجان
بافريقا والاندلس كذلك يوحد سواحل اجاليا وقراسا وكيفية
استخراجه عد الجميع واحدة تقريباً وذلك ان المركب المحصنة
لذلك مصوعة بغاية الاحكام وكذلك الاشخاص المستعدة لاجراجه
اولوا قوة لمعاناة المشاق لانه يحتاج لتحرره وتعود على معرفة محاله
واما الآلة المستعملة لذلك فهي عبارة عن صليب مركب من
قطعتين من خشب معلق بهما حجر ثم يربط فيها الشاك المعدة
لذلك ويعلق في ذلك حطاطيف لتمسك جميع ما يعثر به فاذا
ظن الصيادون وحوده محل رموا شاكهم فيه ثم يسحبون الى
امام او خلف ومعهم دواب لرفع الآلة بكيفية يعلمونها فيأخذون
ما تعلق بها ويظفونه

المسامرة الثامنة عشرة
في الراكين

وبيناهم بخوضون في هذا الباب ويتأملون في صعب رب
الارباب واذا باللاحين ومن بالمركب من المسافرين يشخصون
بانصارهم الى جهة من الافق وقد كثر بينهم اللغط وكأما رأوا
شيئاً من السماء سقط والبعض يطر بصره والبعض يده نظارة
فلاح من السج الثمينة وطر الى الجهة التي يظرون اليها ورأى
دخاناً كثيفاً صاعداً الى السماء مختلطاً بلهب ولعده كان يظهر
له انه يخرج من الحرفدهش من ذلك وعن مسألة المرحان
اعرض وسال الانكليزي عن هذا الذي في الافق تعرض
فقال له ان هذا الذي رأيته دخان يخرج من احد المحال
البارية ويعرف محل اثناعده اهل الحفرافية وهو بالقرب من
جزيرة تعرف بحرية سيسيليا وهي صقلية وهاك حال اخرى
بالبحر الابيض بعضها طيء من رمن والبعض متقد الى الآن
مثل حل ويروف بالقرب من حرية تعرف بحرية سردبيا
فقال الشيخ قرأت في بعض الكتب موحدت فيها نحو ذلك
وهوان برية من الشام تحترق وخرج منها دخان اقام بعض
الامام ثم طيء وسمعت من بعض احوالنا الواردين على الارهر

من البلاد المشرقية ان ثم جالا شاهقة منها جبل يسمى دبتاوند
ويقال دماوند لا يرال يخرج منها النار ويشتد في بعض الاوقات
دون بعض سماء ذلك الحبل فاهم بخبرون عنه ان فيه اثني
عشرة فوهة يسمع منها دوي كدوي الرعد يخرج منها رياح شديدة
الحرارة لا يبرها شيء الا اهلكته غير ان لما سكوتنا في بعض الاوقات
وربما ترصد ذلك من يغمر نفسه من المشتغلين بالكيميا فيصعد
اليها للبحث على كبريت ذهبي صاف يوحد هناك يعتقدون انه
يدخل في الصعة ويصعقون ما يشاهدون هالك من عجائب
صنع الله تعالى

واهل مصر لعدم تعودهم على الاسفار وعدم وجود مثل هذه
الحوادث في تلك الديار لا يوحد عندهم هذا خبر ولا يصل اليهم
منه علم ولا اثر لما ان بلادهم بلاد الرحمة قد حصها الله من فضله
بالعلم الوافرة والالطاف المحمة المتكاثرة

من نظر لهذا الحبل وهذه الديران وعلو هبها وكثرة الدخان
الذي سد الافق وحجب ضوء الشمس اقر قلبه وادعن بعوديته
لربه فصحانه ما اعظم شانه

فقال الانكليزي وفي هذه الحديقة ايضا حرم غير مسكون
وهو ما قرب من الجبل وناقيا معمور بالناس وفيها كثير من
الحجوانات وابواع السانات وسبب اعتماد الناس على هذا الحبل
صار خروج النار منه عنهم كالحبوس والآبار من الامور العاديه

وهذه البيران وارت كان يحدث منها مضرات لمن حاورها في بعض الاوقات لكنها لا تخلو عن حكم احصى بها من هو بها اعلم ولهذا الجمل اوقات هب فيها البيران فتاحد سعة من الارض تكبر وتضغر على حسب قوة الهيجان وضعفه ثم بعد ايام تسكن ولا يبقى الا دخان وبعض لهب كما هي حاله الآن بجلافة وقت هيجانه فانه يكون في حالة فظيعة وصدمات مستغربة ترجح منها الارض ويسمع لها دوي وقرقرة على بعد عظيم وفي هذه الحالة تقذف مواد فترتفع الى الجوى ويعلو اللهب والدخان حتى لا يدرك الصرعاه ومن شدة هوله تظن سكان القاع المحاورة له روال بلادهم وحسها ومن شدة رعمهم يضطرون الى الفرار وقد ذكر احد سكان المحيرة حالة المحل في شدة هيجانه فقال بينما انا في قرية بالقرب من هذا المحل والناس مشغولون بامورهم وكان ذلك في شهر اغسطس الا فرغى سنة ١٨٦٣ واذا نارض تنزل وترنج والمحل قد انحر من اعلاه وخرج من فوهته مواد سائلة فكانت تسيل على سفح المحل هدمت منزلاً كان هناك يعرف بمنزل الانكليز وكنت ارى قطعاً عظيمة حخرية تصعد من الفوهة ثم تنزل وتعد الى سفح المحل وكان يخرج مع الدخان تراب ناري فينزل على سفح المحل ويسبب ضعف التدف كان تقع في فم الفوهة فكانت تعطل المواد وتحسها ولذلك انزع المحل من جوانب الفوهة وخرج من كل فتحة نحاب ولهب ومواد

فكان ذلك امرًا عجيبًا ومنظرًا غريبًا خصوصًا في الليل فكانت الاشكال التي ترسمها المواد المنذوفة ترى بصور تشبه الصور التي تحدث عن الصواريخ في ليالي المهرجان والافراح واستمر على هذه الحالة الى اوائل شهر يناير سنة ١٨٦٥ فارتداد ترززل الارض وتوجهها في البحر الشرقي من جزيرة صقلية وانفتحت في طول العين وحمامة من في راي العين وحررت منها المواد المحسوسة من فتحة مستطيلة ثم في اواخر الشهر المذكور اجتمعت قوة الهيجان في نقط من حط الابحار فتكوّن عن تراكم المواد المنذوفة عدة تلال منها ستة كبيرة والجميع كان بحافة المرق وسبب توالي المواد السائلة والرماد والكتل النارية وسقوطها من فوق تلك التلال الى الارض تجمع اكثرها بعضه وصار كسلسلة حليلة غير منتظمة ثم انقطع خروج البران من كبير من نقطها وفي في البعض فكان يشاهد كأن العوّهات العليا تذف كنلًا حسيمة متحدة وإن العوّهات السلى تذف نارًا ولهبًا ومواد سائلة على شكل مستدير حول العوّهة الاصلية واستمر الجبل على ذلك ثم سكن هيجانه بعض سكّون وصار لا يرى فيه الا دخان وبعض لهب في بعض الاوقات وفي بعض الايام كان يسمع تحت الارض هدة وارتجاج ودوي كدوي الرعد وبعض تموج وترلر مرع ويتلاءم الحو باليدخان ويتغير لونه ونحج الشمس وكان يسمع على بعد اصوات متنوعة وباحتلاطها مع

اصوات المواد السائلة كان يظن قيام الساعة و يخلق المخلوق رعب
كثير وبعد زمن حشع ذلك وصار بعد ان كانت المواد المقدوفة
تصعد الى المحو العا وسعمائة متر تارلت الى مائة متر ثم حصل
الهدوء كالاول وقدر بعض العلماء المواد المقدوفة من فوهات في
السنة ايام الاول فوجدوا ان الجبل اخرج في كل ثانية تسعين
متراً مكعباً وكانت سرعة سيلان المواد في الدقيقة الواحدة نحو
سنة اثنار وكلما بعدت عن م الفوهة تجمدت وقلت سرعتها
فتكون عنها في جميع جهات الجبل اخاديد وتفرع من كل
اخدود فروع ومنها غيرها وهكذا وقدرت مساحة بعض الاخاديد
فوجد منها ما عرصه ثلاثمائة وحسين متراً في المدا و عمقه خمسة
عشر متراً وبعده عن م الفوهة ستة آلاف متراً وفي بعض الجهات
كانت المواد تقع في اودية ووحدات محبسة من الارض فكان
يسمع لها دوي كدوي المياه عند انصافها من الشلالات وقد
قيس بعض تلك الوحدات بعد ان طفت منها المواد السائلة
فوجد عمقه خمسين متراً وبلغ امتداد بعض الفروع عشرة آلاف
متراً في الطول وفي وسط شهر فبراير صعب سير المواد السائلة
التحلبة بين الصخور فكان يطن سكون الجبل فيسبح ثانياً على
حين غفلة بالقرب من فوهته الاصلية ويملا من المواد المقدوفة
اودية وارااضي واسعة فيتلف كثيراً من اراضي الزراعة والمساكن
المبعدة عن البلاد وعدة كمور كانت بالقرب من هذه الجهة

وكثير من المزروعات واحضي ما تلف من الأشجار التي كانت
هناك مبلغ مائة الف شجرة وتكون من لب ودخان ما حرقه
هذه المواد مع لب ودخان الحبل شعلة كان الملاحون وسكان
السواحل يرونها في البحر مسير عدة ايام وحصل لاهل صقلية من
ذلك ما لا مزيد عليه من الضرر وحزنوا حزناً شديداً على ما تلف
من غلاتهم وارضى زراعتهم التي هي سبب سعادتهم وهذا الهيجان
والاضطراب الذي شرحه لحضرتكم لم يكن شيئاً بالسبة لما هو
مذكور في اخار هذا الحبل العجيب فان المؤرخين ذكروا
انه هاج خمسا وسعين مرة في ظرف الي سنة واقبلها حصل عنها
امتداد المواد المدفونة الى عشرين الف متر اعني ضعف ما حصل
في هذه الدفعة الأخيرة وستر من اراضي الزراعة ما ضلعه مائة
الف متر وكانت في الارمان الساقطة معمورة بالزراعة والباس وعليها
من المدن والقرى عدد كثير ولم يرل يكتسب الحبل ارتفاعاً
وامتداداً حتى صار قدر محسبه الاصلى اربعة آلاف مرة

فقال الشيخ متعزى ما ذكرته ان ياتي زمن تعدم فيه هذه
الحريزة بالكلية لما اها في كل هيجان جلب كثير من سكانها ومساكنها
وتعدم حصوة ارضها

فقال الانكليزي لا يمكن الحزم بذلك لان كثيراً ما شوهد
في شاع الارض حال نارية مثل هذا الحبل او اعظم منه في
الهيجان وبعد عدة قرون بردت وسكنت سكوتا تاما الى الآن

وجرت بها عيون وإهار ونست فيها دروع وأشجار وسكنها الإنسان
والحيوان فكذلك هذا الحمل يمكن أن يأتي عليه زمن يحصل
فيه التوازن بين القوى الفعالة تحت الحمل وانتقال المواد التي
قدما ببطء كما طوى غيره من قبل وربما يحصل لأرض الجزيرة
اتساع عن حالتها الأولى وبما تكتسبه في كل هيئتين في المستقبل
تكون في حالة أحسن وتكون حالة من يسكنها الطيف من حالة
سكانها الآن كما شوهد ذلك في كثير من أمثالها

فقال الشيخ إني لأعجب من أرض تثمر وبها أشجار تزهر عاصمة
بالسات والاسان ويخرج من جوفها هذا الذهب والدخان وهذه
المواد السائلة التي تشبه في اندفاعها اندفاع الماء من أعلا الصخور
والنابع من عيون الأرض فمن أين تخرج هذه المواد وما مستودعها
الحقيقية هل جوف الأرض مملوء بهذه المواد وهل دومان المواد
الصلبة منسوب لأسباب درست بالقدر الإلهي والحكمة الربانية
تؤثر على المواد الحامدة فتدبها في خوف الأرض فان كان كذلك
فما كيفة اتقادها بهذه القوة إلى ظاهرها ولا في شيء يخرج من
نفثة دون أخرى وعلى قول أهل شريعتنا ومثلنا لا يسعنا إلا أن
نقول تحيرت الآلات في صنع رب الأرباب وأنه لا يحصل لأحد
على هذه معرفة ولا وقف إلا بطريق الولاية والكشف وإما على
طريقتكم ومنعني فكبرتم فهل وصل أسان لمعرفة حقيقة ذلك
وشرح أحوال هذه الحيوانات كما وصل لشرح غيرها ولا في شيء

يسكن المحل تارة ويهيج اخرى ولم كانت الاسباب الفعالة غير مستديمة بل تقوى تارة فتظهر وتضعف اخرى فتسند وقد ذكرت لي انه شوهد حال نيت زمانا تندف من جوصها ناراً ودخاناً ثم طشت وسكها الاسان والحيوان من بعد وصارت بالحيوان والاسان معمورة وبالبات وروني البعجه مغبورة فاما ان تكون انتقلت عنها اسباب الهيجان الى غيرها او انها عذمت دفعة واحدة او تدريجاً في مستقرها حتى لا يبقى لها عودة في المستقبل او انها تسكن ثم تعود كحالتها الاولى

فقال الانكليزي انه الى الآن لم يقف احد على حل هذه المشكلة ولا على دليل لهم المسئلة وغاية ما قيل احتمالات وعلل لم تطرد في نفي ولا اثبات احدها وهو اعتقاد قدماء سكان هذه الجزيرة وكثير من اهل العلم الآن يعتقدوه وهوان مياه البحر تنصب في اعوار عتيقة من قاعه وكلما ارداد عمقها اردادت حرارتها فاداً اشتدت حرارتها انقلت بجاراً وعروض حوادث اخرى واسباب حمية تؤثر فيها تلاقيه من طبقات الارض فتحرجه عن حاله وثقوة التأثير المتواليه والقوى الفعالة عليها من اسفل تنذف الى جهة سطح الارض فتخرج من تلك الفوهات ممتزجة بالمواد التي انثرت عليها في مرورها بين طبقات الارض وتكون عنها المواد الركائيه والدحان واللب وبقي الاحوال التي تشاهد حين صعودها الى الجو وتأثير الجو عليها فحمد شيئاً فشدنا حتى تصير

حجراً أو صحراً يتكون منه المحال . ثانيها ما قاله بعضهم وهو ان جوف الارض من جهة المركز مشتعل بالنار على الدوام وان جميع المواد دائمة والابخرة المتصاعدة تخرج بقوتها من الفوهات الدركانية . هذا ما قيل ولم يعلم ايها اصح ولكن رجح كثير من اهل العلم القول الاول لقربه من العقل على الثاني لبعده عنه لان المشاهد ان تركيب النار المتصاعد عين تركيب بخار الماء سواء سواء

واحد احد المهندسين ذلك فوجد ان في كل حزم من النار تسعمائة وتسعة وتسعين حراً من الماء والحرارة الباقي مواد اخرى كما هو كذلك في بخار الماء وفي الهيجان الاحبر الذي حصل في حل انما قدر احد المهندسين الماء الذي تحصل من البخار فوجد ان الحمل يقذف في كل دفعة ٠ ٢ متر مكعب وبما انه كان يقذف في كل اربع دقائق مرة في مدة مائة يوم يكون مقدار الماء المفقود ٠ ٢١٦ متر مكعب وقد شوهد في مواد العوثة الدركانية جميع المواد التي يترك منها الماء الملح وغير ذلك فان غالب جبال النار التي استكشفت على سواحل البحر او في الجبال موجودة الى الآن منها ما سكن ومنها ما هو على حاله وكثير ما سكن هذه المحال بخرج منه عيون ماء حارة متعاقبة في الحرارة والتركيب المعدني

والحال النارية كثيرة جداً في البحر المحيط الاعظم وب

الغار الموصل الى الاسترالي نارض الهند الصيني مائة وتسعة
جميعها يقذف مواد بركانية منها ما يقذف دخاناً ولهباً ومعادن
متسوعة ومنها ما يقذف رماداً نارياً ومنها ما يقذف طيناً وفي
العالم يترتب على هيجانها انحسار اراض واشلاخ مدن ناهلها
وسكان هذه الجزيرة دائماً في رعب وحوف لما يحصل لهم من هذه
الحوادث الممولة

وفي جهات امريكا يشاهد خروج اللهب والدخان والمواد
البركانية من فوهة جبل مستلى المرتفع عن سطح البحر المح قددر
خمسة آلاف واربعائة متر ويرى الدخان واللهب من بعد عظيم
كانه عمود من نار قاعدته في البحر ورأسه في السماء يستتر ظله جرماً
عظيماً من الارض فلا يرى عليها لاشعة الشمس والضوء اذ في
اثر ويوجد في ارض مكسيك اكثر من ثلاثين فوهة

وفي مواضع كثيرة من جهة امريكا لا تزال الارض في تزلزل
واضطراب وفي بعض اوقات تنجر ويخرج منها لهب وجميع هذه
الحال يتسبب بعضها بعضاً في هذه الحوادث منها ما يقذف دخاناً
ولهباً واحجاراً ومنها ما يقذف مع ذلك تراباً ومنها ما لا يقذف
الأماء حاراً يرتفع الى السماء ثم يهطل الى الارض

والحال النارية في ساحل البحر الحوفي اكثر منها في ساحل
البحر الهندي والحبال النارية لم تزل فعالة بقوة في جهات جزيرة
سومطرة وجزيرة رافا

ووجد في سواحل بلاد العرب والهند اثار مواد نارية تدل على انه مضى على هذه الكهات زمن كانت فيه متهيجة ومفتدة وعرضة للحوادث والاهوال كالكهات التي يشاهد فيها ذلك الان ويوجد ايضاً حول البحر المحيط الاثنتيكي فوهات نارية بعضها يخرج من جبال سواحلها وبعضها من حال جزائره ولكن براكين هذا البحر في الكهة المحوية اقل منها في غيرها عدداً وقد طوى اكثرها وسكن

وعدد الدراكين التي فوق سطح الارض الان في جميع جهاتها ماء على قول العالم (هوسولد) مائتان وثلاثة وعشرون ورعم غيره انها تريد على هذا وان كانت لا تبلغ مائتين وسبعين لكن لا يخفى انه لا يمكن الحزم بقول واحد منها ولا ترجحه لان كثيراً من الجبال سكن ربما طويلاً ثم هاج وتأخ فتوة اكثر مما كان وبعضها بسبب عظم قوته كان يظن به انه لا يسكن فسكن وطوى كأن لم يكن ولعدم العلم بقواعد يستدل بها واساب يستند اليها لا يمكن الحكم باحد العددين بل تريد وتنقص باسباب واحوال واما ما كان منها في الارمان الساقية مشتعلاً ثم طوى فكثير جداً كما علم ذلك من وجود المقدوفات حول الفوهات المتعددة الماقية الى الان

وكثير من الناس يرعم ان غالب الجبال النارية متصلة بعضها من تحت قاع البحر ولكن لا قرينة على هذا الرعم بل القرائن

تدل على عدم الاتصال وذلك لانه لو كان بينها اتصال لفار
 الجميع عند دوران احدها والواقع غير ذلك اذ لم يشاهد ذلك
 في حال اتنا والويروف وغيرها من المحال النارية التي بالبحر
 الابيض المتوسط لان كثيراً ما شوهد هيجان جل اتنا مع عدم
 تحرك جل ويروف مع ان الاول مرتفع عن البحر ثلاثة الاف
 وثلاثة مئتر وارتفاعه اكثر من ارتفاع الثاني ثلاث مرات فلو كان
 بينهما اتصال وكان مسع هيجانها واحداً لحصل الهيجان فيها معاً
 وايضاً فالمواد المقدوفة من الاثنين مختلطة ثم ان هول المحال التي
 تندف ماء وطيباً ليس اقل من هول المحال التي تندف ناراً
 ولها بل هي مثلها او اعظم فان ما حصل من جبال النار من
 الانلاف والمضار حصل مثله من حال الماء كما هو مذكور في
 التواريخ وقد شوهد انه انفتحت فوهة من هذه المحال بعض
 ساعات وقدمت ماء وطيباً فاعرفت مدناً وقرى وانملت ولايات
 واعرفت اهلها وصيرها بعد ان كانت معمورة بالناس واصناف
 التجارة فحالة حراً لا تجد فيها يوماً ولا غراً مثل ما اتفق في سنة
 ١٧٩٢ من الميلاد في جل بانابرياح اعظم المحال النارية بحرية
 جافا وهوان الحرة الاعلى من الحبل تمرق واتقدمت منه قطعة
 بقوة وارتفعت في الحو ثم سقطت على الارض فاهلكت اربعين
 قرية باهلها وحرق من الحبل قناة كبيرة من الماء الساخن فملاّت
 صحبة كبيرة ولم تزل سائحة في جميع الجهات وفي بعض الاوقات

تظهر فيها عصف منجرج منها طين أسود مغلط بالماء الحار ويزد من جميع مسام الفحل دخان ويصع له أصوات تشبه صوت المطرقة ولذلك سمي هالك مجمل للطريقة

والبحال الشاحنة يدير فيها اتصال سبل المياه والمواد البصلية ملب الغالب فيها أن تكون متقطعة وبعضها لا يقذف إلا طيباً أو مادة تشبه كما يشاهد ذلك في جبل (أقوا) أي جبل الماء وهي مرتفع فوق سطح البحر بأربعة آلاف متر فلا يقذف إلا ماء ولذلك سمي مجمل الماء

وكذلك سنة ١٥٤٠ ميلادية فتح فيه بركة فخرج منها ماء دعة واحدة وكان سبباً لارالة حرته الأعلى وتبرقه ومن كثرة سقوط البحارة وقذف موادهم تعدى ضرره إلى ما جاوره من البلاد فأنف أكثريها واضطرت الأهالي لقتل النحت بهيذا عنه وكثير من جبال جزيرة جاوا وجزيرة ميليبس لا تقذف في هيمها إلا طيباً مغلطاً بمواد مركابية وأكثره منجرج بمواد قابلة للاشتعال تستعملها الأهالي وقوداً للغار

وفي سنة ١٧٩٢ في جزيرة كورونوقذف أحد جبالها الغازية مقداراً عظيماً من الماء والطبن فأنف بذلك جميع الأراضي المجاورة له وأغرى خمسة وثلاثين ألف نفس

وأكثر من هذه الحادثة ما حصل في سنة ١٧٩٧ في أحد جبال دلوة الاستوا بالقرب من كمون جهة الجنوب من جبل

تويجوراها فقد قل أن الجبل اشق من اعلاه الى اسفله فتدهعت منه جهة فاعقبها اندفاع المواد الطينية المحسوسة في جوفه ثلاث مسافة هناك بين حلين وارتفعت الى مائتي متر في عرض ثلاثمائة وحسنت المياه التي كانت جارية هناك

وبالتأمل في حوادث هيجان هذه البحال المائية وكيفيةها والبحال النارية ومدفوعاتها يجد أن لا فرق بينها إلا أنها تارة تنذف من اعلاها وتارة من جوانبها وبذلك يستدل على أن القوى الفعالة في بعضها لا تحالف القوى الفعالة في الأخرى إلا في ربادة القوى وعدمها

وغالب هذه البحال لا يوجد إلا بالقرب من شواطئ البحار وسواحل الحرائر وهي كثيرة والمشهور منها ما وروا البحال الموحدة في نواحي جبل قامار على ساحل بحر الحر والبحال الموجودة في جهتي نغار مانيكالي الجامع بين البحر الاسود وبحر اروف فما كان في جهة الشرق مواد طينية مختلطة بغارات نارية وقذفه منتطع وما كان في جهة الغرب ليس كذلك بل قذفه مستمر في أي الفصول إلا أن قذفه في الصيف أكثر منه في الشتاء وهناك جبال أحر مثل ما ذكر اعرضنا عن ذكرها لأجل الاختصار

وهذه المدفوعات منها ما يكون في فصل الشتاء فتكون المواد المدفوعة طيلاً مائلاً لاختلاطها بياه الأمطار وبمخرج معها دخان وتكون شديدة الحرارة فتساعد المياه ونحمد ما سطع وبمخرج

الدخان من فتحات بالسطح أو يتفل عليها ويرتفع سطحها في هيئة
مخاريط تعلو سطح الارض فيحس الجار الى ان تغلب قوته
تماسك المادة فيقذفها ويخرج الى الحو ويستمر الحال على ذلك الى
ان ياتي فصل الشتاء تندوب المواد الطينية وتكون كما كانت
في العام الماضي وهكذا

وقد شوهد في بعض جبال البحر الهندي ان هناك ارتباطا
بين اوقات القذف واوقات المد والجزر فيرداد القذف في اوقات
المد حتى يسمع له دوي وقرقرة داخل الحبل وربما تكون المواد
المنذوفة حارة وفي الغالب لا تريد على الحرارة الحوية ويتص في
اوقات الحر

فقال الشيخ وهل الى الان لم يصل احد لمعرفة الاسباب
المؤثرة في حوف الارض على المواد المتحركة منها طبقاتها حتى انها
تقذف نارة مواد جامدة مع دخان ولب ونارة ماء ومواد طينية
ونارة لا يكون الا ماء ونارة طينا يشبه الوحل فلا بد لهذا
الاحتمال من اسباب مختلفة لانها لو كانت واحدة لكان حرج
الماء كيميعة واحدة وقد قرأت في بعض الكتب فرأيت فيها ان
بعض البخار من بعض المحال فرأى فيها عيون ماء بعضها حار
وبعضها بارد ولم يكن بين محارها الا مسافة شروحي بعضهم
ان هذه العيون منها ما يكون نافعاً للشرب والري ومنها ما لا
يتنفع به لتغير طعمه ورائحته وقال بعضهم ان من هذه العيون ما

يكون حاراً جداً لا يستطيع الإنسان وضع يده فيه حتى أن بعض
الفاطيين بالصحاري القريبة من هذه العيون يسوي طعمائه على
حراره فكل هذه الاختلافات تدل بلسان الحال على العجز عن
البحث في هذا المجال وغاية ما وصل اليه فهمي وتحيلة وهي قياس
ما ثبت بالعيان على ما ورد في القرآن من قوله تعالى في كتابه
المكمون الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا انتم منه
توقدون وعلى ما نقل عن العرب من قولهم في كل شجر نار وعلى
ما قيل في خشب المرح والعماروها نوعان من شجر البادية اذا
احلك منها عصف بغيره صار نارا واظن ان نار هذه البحال
وما يشأ عنها من الاحوال من هذا القبيل وان النسب هو
احكامك بعض الصخور بحكمة يعلمها العالم القدير فتصادف بعض
مواد نارية كالكريت او غيره فينشأ عنها ما ذكر من الدراكين
فقال الانكليزي قد ذكرت لحضرتكم السنين اللذين سب اليها
علماء هذا الفن جميع الاحوال الدركانية سواء كانت المواد المنذوفة
صلبة او مائعة وهما الماء والنار وان من قال بالاول يقول ان
في جوف الارض اخلية عظيمة كالمغارات يعلو بعضها بعضا
وبين تلك المغارات والبحر فتحات موصلة بعضها صيق وبعضها
متسع وهذه الموصلات نارية تكون متفرقة كالاهر والحجان وتارة
تكون غير متفرقة وبينها وبين بعضها اتصال وكذلك بينها وبين
البحر والخطوات والمغارات وان ماء البحر متى اصب في هذه الموصلات

أردايت حرارته وكانت كحرارة الطبقات الصخرية التي يمر بها
 ولا يتبدل بالحرارة على أي حولة الماء ترداد كلها أرداد الانخفاض
 في الطبقات الأرضية تقدر ثلاثين متراً فأكثر وإذا وصل الماء
 في الانخفاض إلى عمق ألف متر كانت درجة حرارته مائة درجة
 ومع هذا تبقى سائلة بسبب ثقل الطبقات التي فوقها ولا تتغير
 المياه عن حالة السيالان إلا إذا سعلت وانخفضت إلى ألف
 وخمسمائة متر حينئذ تكون درجة حرارتها هناك خمسمائة درجة
 تقريباً منتفضي الحسابات ويوجد في هذه البحيرة قوة على دفع الماء
 الذي ارتفاعه ألف وخمسمائة متر ما لم يطرأ مانع وفي هذه الحالة
 تضعد البحيرة وتغذف من خلال الطبقات الأرضية وتخلط
 بغيرها من الطبقات الصخرية المحترقة الدائمة بالحرارة ومتى بلغت
 قوة الانسحابة الحد العظيم في الدائمة من الصخور دومتها إلى أعلا
 وقدفتها من القووات النارية الموحدة قديماً أن كان التأثير عند
 فتحها بحورها ولا اثرت على ما فوقها وفتحت فتحة فيما حاذها تكرر
 وتصغر على حسب القوة الموحدة وربما بلغت ثلاثين ألف متر
 في الطول ومائة وخمسين ألف متر فأكثر في العرض فتخرج
 المواد المنذوفة منها إلى سطح الأرض وتهدى الزمن وتراكم المواد
 المنذوفة من جوف الأرض وسقوطها في بعض القيعات ينسد
 معظمها ولا يبقى منها إلا فتحة أو بعض فتحات وعلى طول الزمن
 ينشأ عنها سلسلة جبلية أو جبل عظيم أو غير عظيم على حسب

الأحوال فان كانت القوى المعالة قريبة من سطح الأرض ودفعت مواد دائمة الى فوهات الدراكين تكون فيها شبيهة ببرك الماء تريد وتنقص تنعاقوة السبب وضعفه وكثيراً ما يحصل كسر المجروف بحسب قوة سيلان المواد المتدفقة على الأرض المحاورة وتحرب أكثرها وتارة يكون انصائها في العار فتعمل فيها لساناً ممتداً الى بعد عظيم من ساحله الأصلي ويتغير شكل شواطئه وبحسب التأثير الواقع على المواد فاما ان تكون صلبة واما ان تكون طينية ويختلف لونها ورايجتها بحسب المواد فان كان التأثير اللاطني واقعا على ريك من الماء محزونة في حوف الأرض دعتنه في هيئة الدراكين واسائه كما هي حالة الشلالات وكثيراً ما وحد في هذه المياه حيوانات صغيرة واسماك لا تعيش

واما وجود الماء الحار بالقرب من الماء البارد وعدم صلاحية الأول للشرب وصلاحية الثاني لئفسه ان اصل البارد المياه التي تشرها الأرض من الأمطار والثلوج وغيرها واصل الحار من المياه السفلية واحلاف طعها ولوها من المعادن والمواد التي تركت منها الطغماث السفلية التي مرت بها في طريقها فكيفت نكيمنها وبحور ان يكون ما تحيلت بعض الاساب فانها ظنون متفاوتة قوة وضعفاً

المسامرة التاسعة عشرة

شذور

.

وسبب دخول الوقت انقطع بينهما الكلام وانصرف الشيخ
ليقضي ما عليه من فرائض الاسلام وبات تلك الليلة متفكراً في
صنع الله متدبراً في اصناف المخلوقات وعجائب الكون والكائنات
وفي كيفية الاسباب المدبرة بقدره الله وعظمته سبحانه وتعالى
ووجود هذا النظام في طبقات الارض السفلى وفوق سطحها وفي
السموات العلى وان لا حركة الا وهو مدعها ولا درة الاوسق
في علمه مستترها ومستودعها لا يحصى عليه شيء في الارض ولا في
السماء يعلم عدد الرمال ومكايل المحار ومثاقيل الجبال لا اله
الا هو وهو بكل شيء عليم

وبينا هو يباحي ربه ويهمل واذا بولده رهان الدين لتقيل
يده قد اقبل وعلى حسب عادتها من وقت نزولها بالسفينة في
تشاركها في تعلم اللغة الانكليزية حصلت بينهما المكاملة فيما تعلماه
وما اكتسباه من اللغة الانكليزية ولكن كان ولده قد فاق عليه
لانه كان طول يومه بين ركاب المركب والمراكبية فكان يسأل
عن اسم كل شيء رآه وعن معنى كل لفظ سمعه ويكتبه ولطفه
ولين طبعه وعدوبة العاظه واداه مالت اليه قلوب من بالسفينة

واحبه ولذا كان فطنه وقوة حافظته كان ما يحفظه في اليوم الواحد يعدل ما يحفظه غيره في ايام فتقدم تقدماً تاماً وحفظ كثيراً من الكلمات والعبارات فاعجب والده حسن حاله فباسطه وسأله عن صحته فاجابه انه بعناية اللطيف الخبير وبركة دعائه في صحة تامة لا يعتريه ملل ولا فتور ولا كسل ثم احبر والده انه سمع من بعض الركاب اهم في غد فريون من البر وتظهر لهم المدينة التي هي نهاية مقصدهم وانه من امس اشتغل بكتابة مكتوب الى والدته ويرغب ان يذكر لها فيه بعض نوادر رآها وامور عربية عن والده وعن الحواجا رواها محصوراً وقد عثر في السبعة على شخص سبق له اسعار كثيرة في جميع المهاريعاين من اهلها اجولاً وكاد في اسفاره ما لم يكاده احد وله معرفة بقليل من العربية تعلمه في بعض جهات سواحل افريقيا فكتبت عنه كثيراً ما سمعته وذلك الشخص اسمه جسر لي يعقوب وانه رغب في ممارسة البحر الان وان يتأهل ويتم في احدى الجهات ليستريح من مشاق البحر لكنه لا يتيسر له ذلك لكونه فقيراً لا يملك شيئاً غير ما عليه من الثياب وله تاريخ عجيب ذكر لي بعضه واخبرني انه يرغب في بقائه عند الحواجا صاحباً بصفة خادم وهو يرحل في التوسط له عنده فان جعلت ذلك اكتسبت ثوابه واظن ان الحواجا لا يجانفك فوعده والده بذلك واثني عليه مكافأة على تذكره لوالدته ودعائه بالعركة ولتقدمه عليه في اللغة الانكليزية

كما تقدم قال له من باب المراح لا تذكر لوالدتك تقدمك على
 في اللغة فضحك برهان الدين وطأ طأ رأسه حياء منه فقبله الشيخ
 بين عيبيه وسأل الله أن يفع عليه ثم انحار كل منها الى مضجعه
 ولما حاب وقت بدء الفلاح واسمر نور الصباح قام الشيخ على
 حسب العادة صلى ما كتب عليه وقرأ أوراده وكذلك ولده
 برهان الدين صلى وقرأ ما تيسر من القرآن ثم حصر المحامد لم
 ما تشاي واللبن على حسب العادة الانكليزية فأخذ كل منها
 ما تيسر وبعد ذلك جلع كل منها ثيابه ولس ثيابا نظيفة لعلها
 بالخروج من السفينة في هذا اليوم ثم حرجا الى ديوان السعفة
 الذي هو محل اجتماع الركاب فاقاما به برهة مع الناس وإذا
 بالمحواجا قد حصر وحياها وسألها عن صحتها فشكرها

وقال الشيخ ان الذي ذكرته فيما يتعلق بحال النار وكيفية
 ثوراتها وانواع مواد مقدوراتها والقوى المعالة في جوف الارض
 وما يشأ عنها من الحوادث العظيمة لعجيب ولولا ان الارادة
 الربانية اقتضت مشاهدتي لهذا اللهب والدخان وسماعي لذلك
 الدوي والعيان لم يكن في علي من ذلك اثر ولا كنت اثق فيه
 بجزء غيراني كنت رأيت في بعض الكتب بعض كلمات تدل
 على ان هناك حالا شامخة واخرى مارية لكنها كانت غير مفيدة
 للعلم اليقيني الذي علمته بالمشاهدة وتفصيل حضرتكم وكنت لا
 ادقق النظر فيها لاني كنت في ذلك الوقت لا اري لها اهمية

نوجب الاشتغال بها وكذلك في بعض الاوقات كانت الطلبة
 يتخوض في هذا الحديث فكان يقع بينهم الاختلاف ويطول النزاع
 ولكون الجامع الارمر هو المدرسة العامة يهاجر اليها لطلب العلم
 من جميع الاقطار كحرائر العرب وارض الحجاز واعداد والهم
 والتمر والامراك والبربر وملاد السوحان والمغرب فكان الكلام
 بينهم في هذا المعنى يوجب الكفاح بسبب اختلاف آرائهم فمنهم
 من يعد مثل هذه الحوادث مستحيلاً ومنهم من يجوزها ولا يقيم
 عليه دليلاً ولعدم اهمية مثل هذه المسائل بينا كما نرى ان المارعة
 فيها والاصفاء اليها لا طائل تحته ومن كان في نفسه
 على يقين من ذلك لكونه رأيا في ملاده كان مجبوراً على عدم
 التكلم فيها بالكليّة لانعزاده وكثرة الآخرين وإذا اضطر الى الكلام
 فيها قال يقول العموم لئلا يجر نفسه الى ما يوقعه فيما وقع فيه
 غيره ممن خالف رأيه الأكثر لانه يوحّد في بعض الاحيان من
 جملة المنكرين بعض من اهل الاعتسار والشهرة ولا يخفى ان محالمة
 رأي مثل هؤلاء ربما توقع في ضرر وقد استولت على اللبلة الفكر
 فلم اتم الاقربب البحر فصرفت الزمن في التامل في صغ اللطيف
 الخبير المديع التدبير من جبال نصيبها وفي مواقعها رتبها وبحار
 ارجحها ولمافع الناس سخرها وسيرها وفي بطون الادوية وشواهد
 المجال صرفها وقدرها ولو اردت جمع ما علمت ضمن كتاب
 لكان هدية لاولي الالب الذين يتفكرون في خلق السموات

والارض قائلين لسان الاعنار ربما ما خلقت هذا باطلا انما
 هالك قوم كالسوقة ان عرضت لم يملك قدحوا في عقيدتي ورموني
 بما لست فيه فهم اناس دأبهم العباد والسعي في الارض بالفساد لا
 يبيلون للعارف ولا يحسون من الاشياء غير الرخارف حظ
 احدهم اب ياكل ويام ويندري اهل الاسلام اذا جمع وصف
 الجار والجبال قال ذلك لا يثبت الا بمحض الخيال وكل ما
 ليس في كتاب الله ضلال والاشتغال به شئ الاشتغال غافلا
 عن قول رب العالمين وفي الارض ايات للوقنين . وفيهم من
 يحشى من صولته وَيَرْهَبُ من هيئته وربما كان داعية للكتمان
 وسببا من اسباب الحرمان

فقال الانكليزي لا يحى عليك دم الكهل ومدح العلم وامها
 صدان لا يجتمعان وان الجاهلين لاهل العلم اعداء وهذا امر جميع
 عليه بين اهل الملل ولا يباحر محب العلم عن تعلمه وتعليمه ونشره
 ليع اهل وطنه وعيهم لحوف مضادة بعض افراد او عدم اتباعهم
 لرايه ومعنى كانت الحقائق ثابته بالبرهان العقلي او القلي عن اساتذة
 افاضل ولا عليه من انكار المكربين ودم الجاهلين ولا يمنعه ذلك
 عن ارشاد اهل وطنه واحارهم ما وقع تحت نظره وشاهده خصوصا
 اذا كان لم في معرفته فائدة بل الواجب عليه حينئذ الافصاح
 به واشهاره فانه وار لم يصدق الكل فقد يصدق البعض فيكون
 معصدا له يحصل له به المساعدة في نشر معلوماته وعلي تداول

الاهم تكثر طائفة اهل العلم وتعلو على طائفة اهل الجمل وتقدم
 ألملة شيئاً فشيئاً وتوسع الحركة في اوراقها وتوسع ثروة اهلها باتساع
 دائرة العلم بين علماءها وساسة امورها وتكون كغيرها من الملل
 المتقدمة الا ترى ان البلاد الاوروبوية بعد ان كانت في حالة
 التوحش والخشونة قد انتقلت الى درجات الكمال وبلغت في
 الاعتبار والسطوة ما لم يبلغه غيرها من الملل هل لذلك سبب غير
 اتساع دائرة العلم والمعلومات عند اهلها مع ما اضافوه الى ما تعلموه
 ما احدثه من الامم المحاورة لم خصوصاً ما احدثه عن اهل الشرق
 فانا نرى في كتب التواريخ ان حرب القدس الذي امتد ربما
 طويلاً كان سبباً عظيماً في اختلاط اهل اوروبا باهل اسيا ومن
 ذلك نشأ اتساع دائرة العلم باوروبا واحذت من ذلك الوقت
 جميع سبل الثروة في النمو والريادة ولذلك حصل في جهاتهم
 للعلاحة والتجارة والصناعة والملاحة التقدم الذي لا مرید عليه
 هذه الواقعة وان تلف بها كثير من الاموال والانفس الا انها
 كانت سبباً في تقدم اهل اوروبا لانهم تعلموا من المشرقين ما
 عدهم من المعارف والعلوم فقلوه الى بلادهم واشتغلوا بهذه المعارف
 واستعملوها في ارضهم بمسابقة اقطارهم من وقتهم الى الان لم تقطع
 سبل الاختلاط بل رادت ريافة بالغة سبب الطرق والوسائط
 التي استعملوها لتسهيل السياحة في البلاد البعيدة براً وبحراً وارداد
 بينهم الامن والالفة وما من سنة تمر الا وترى الوفاً من اهل اوروبا

تسبح بالارض ولا يبرون نبي^١ الا رسموه ولا يرون اثرًا الا تأملوه
وربما شرحوه وفي بلادهم شرق وهذه المثانة وصلت اهل اورونا
الى التقدم في العلوم واستكشاف تنوع مستعدة فاستحدوا عليها
وتعلموا على اكثر اللاد الهندية والصينية وحلوا هذه الطرق الى
ارصهم جميع حيرات التنوع وجمعوا في بلادهم معارف الملل المتفرقة
فوق سطح الارض وفي وسط الحار المتسعة فوصلوا بسعيهم
واحتدادهم الى اعلى درجة في التمدن حتى صاروا في عصرنا هذا
مفردين باكثر الصائغ متمعين بين جميع الملل بالرافاهية والحرية
الثامة رأيم في كل امر نافذ وقوتهم ليس لها معارص ولا ماسد ولا
شك ان الذي اوصلهم الى هذه الدرجة ليس الا العلم وكثرة
السياحة اذ لو اقتصرنا على معلوماتهم الاولى ومعارف اناهم في
الحاهلية لما وصلوا لشيء من ذلك بل كانوا الان مجهلون كيفية
درع السات خصوصًا النافع منه لعداء الاسان وقوته فاهم انما
تعلموا ذلك من المشرقين كما تعلموا منهم اصول التجارة والملاحة
هذا ولم يكونوا في سائق الرمان على ما تراه الان من تحرير العلوم
والبحث في مسائلها واستخراج ثرائها وتصميمها الكتب ونشرها في
العالم بل كانوا لا يشتغلون بغير كتب الديانة محظورًا عليهم
الظرفي غيرها كائنًا ما كان من كان يحكم بخلاف ما يحكم به
الفسس في الكنائس ووصل حيرة اليهم كان عرصة لاي نوع مختلفة
من الاهانة . منهم من مات مسحوبًا ومنهم من قتل ومنهم من حرق

بالار ومنهم من نبي من وطنه فني طول عمره في قيد النذل
 والمسكنة ومع هذا كله معد من غلت عصاة الحق لاهم كلما
 رأى الناس اهانهم عطفوا عليهم ومالوا بقلوبهم اليهم فرادت شهرتهم
 ورعت الخلق في سماع اقوالهم وبصروهم واحسنوا بهم حتى كبر حاهم
 وعلت كلمتهم وظهروا بمداهب فاتنها الناس لما وحدث فيها من
 المانع حتى اشرت بذلك علومهم لما رزوا فيها من الاشياء النافعة
 والاختراعات المفيدة كالمطبعة فقد اوصلتهم لستر طرقهم وعلومهم
 بين الناس وطهرت الكتب من كل من جميع الاجناس
 وتحصل عليها الفقير والعبي والدكي والغني وامتدت بها اعضان
 شجرة العلم الى اطراف البلاد واستوى في اقتطاف ثمارها سائر العباد
 ومن ذلك احدث العلوم في الاتساع وكثر المخترعون والمؤلفون
 حتى كان من المشتغلين في كل فرع من العلوم والصنائع
 والمحرف عدد غير متناه وما من يوم الا وتظهر كتب جديدة
 واختراعات مفيدة

فقال الشيخ تبين من هذا الكلام ان المانع من تقدم العلوم
 والصنائع في البلاد الاوروبوية كان من قبل قسس الديانة
 العيسوية لكن الامر في البلاد الشرقية والديار الاسلامية على
 خلاف ذلك اذ ليس في احكام الديانة ما يمنع من التقدم في اي
 علم من العلوم النافعة ديناً ودنيا بل كتاب الله واحاديث اسائه
 وسائر رسله آمرة بذلك وما من نبي من المتقدمين ولا عالم من

العالمين إلا وكان له صعة يتقوت منها

فقد سئل بن عباس عن صائغ الانبياء فقال كان آدم .
 حراثاً وكان ادريس حياطاً وكان نوح نجاراً وكذلك ركبها وكان
 هود تاحراً وكذلك صالح وكان ايزهيم رراعاً وكان اسماعيل قصاباً
 (اي صباذاً) وكان اسحق راعياً وكذلك يعقوب وشعيب وموسى
 وكان يوسف ملكاً وكذلك سليمان وكان هارون وريداً وكان
 الياص ساجاً وكان داود رراداً (اي يعمل ررد دبرج الحديد)
 وكان عيسى سياحاً وكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم
 اجمعين محامداً ولذلك قال . حل رر في تحت ظل رحي وكان
 صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عرو حل بحج المؤمن المحترف
 ومن امسى كالأ من عمل يده امسى معصراً له

وكان صلى الله عليه وسلم يحث على الكور (اي السعي في
 اول النهار) في طلب الرزق وغيره من حوائج الدنيا ويقول اللهم
 مبارك لامتي في بكورها وقال الشافعي رضي الله عنه احرص على
 ما ينفعك ودع كلام الناس . قال حكيم من دلائل المحركة
 الاحالة على المقادير وقال بعض الحكماء المحركة ركة والتواني ملكة
 والكسل شؤم وكل طائف حير من اسد رافض ومن لم يحترف
 لم يخلف . وسأل معاوية سعيد بن العاص عن المروءة فقال
 العنة والمحرمة

قال اس رضي الله عنه جاء رجل من الانصار (اي اهل

المدينة) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله شيئاً فقال له
 اما في بيتك شي قال بلى جلس (اي فراش) نلبس بعضه ونسقط
 بعضه وقعب (اي انا) نشرب فيه من الماء فقال صلى الله عليه
 وسلم اثنتي بها فأتاه بها فاخذها بيده فقال من يشتري هذين فقال
 رجل انا أحدهما بدرهم فقال صلى الله عليه وسلم من يريد على
 درهم مرتين او ثلاثا فقال رجل بدرهمين فاعطاها اياه واخذ
 الدرهمين فاعطاها الانصاري وقال اشتر باحدهما طعاماً فائده الى
 اهلك واشتر بالآخر قدوماً فائتي به فأتاه به فاشت فيه رسول
 الله صلى الله عليه وسلم عوداً بيده ثم قال اذهب واخطب وبع
 ولا اريك خمسة عشر يوماً ففعل ثم جاء وقد اصاب عشرة دراهم
 فاشترى بعضها ثوباً وبعضها طعاماً فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم هذا خير لك من ان تحيي بالمسئلة نكتة في وجهك يوم القيامة
 وكان صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقول لان يجتنب احدكم حرمة
 على طهره خير له من ان يسأل الناس وكان صلى الله عليه وسلم
 يقول كثرة المسئلة كدوح (نسم الكاف اي قروح) في وجه صاحبا
 وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اني لأرى الرجل
 فيعني فاقول هل له حرفة فاذا قالوا لا سقط من عيني

أفعد هذا كله جوهر ان اندثار بعض العلوم والصنائع في
 بلاد العرب من جهة من سلب من علماء الملة مع انه ما من من
 الا ولم فيه التأليف المبدعة ولا حرفة الا ولم فيها الاختراعات

العديدة ومن رعى في الشرقيين غير ذلك فقد أخرج الحق عن موضعه أما لعداؤه أو حسد أو نحو ذلك بقصد تحويل الأفكار عن طريقة الحق إلى طريقة النابطل ولم يكر أحد من السوء الشرقي فضل الإسلام وتقدم أهله في أي القنون والصانع هذا أمراً لا يكر وظاهر كالشمس في راحة النهار بل أظهر لأن الإسلام كان سبباً في إحياء ما أهدس من القنون والصانع وجمع ما تفرق منها في الخاصي الموضح أحياناً التمكن القديم بنوايا أسرار النافعة وأزال ظلمة الكون بأشوار الساطعة إذ هو الأساس الحقيقي والجميع لما يسمونه بالتمدن الجديد المتدع ظولاً عين الإسلام وعطه العرب لصاعت العلوم القديمة بأسرها لانا يرى في الكتب العربية القديمة كثيراً من المستكشفات التي تعرى الآن إلى الأفراح ومن نفع كتب السير والتواريخ وحد صحة ذلك وهل يكر أحد ظهور شريعة قليلة من بلاد العرب ملكت أكثر بلاد الدنيا في ظرف مدة يسيرة وفي أقل من مائة سنة صارت دولة أكبر من دولة الاسكندر وأظهرت تمدناً أبهى من تمدن أوروبا في عهد أغسطس أكثر القيصرية ولو نظر لحال العلم قبل الإسلام عند اليونانيين والرومانيين ونحوهم من الهند والصينيين لوحد أنه كمنحصر بلا أثر أو محاب بلا مطر مظهر علماء الإسلام ظهر أصله والفتح وشاع نعمه وريح وبعد أن كانت الخلق غارقة في بحار الكاهن لا يتجملون العلوم إلا كاضغات أحلام ظهر لهم ظهور هذا المدين

علوم مؤسسة على قواعد حقبة والفتح الدليل وتدد شمل الاناطيل
واحدت اغصان التمدن من ارض الاندلس الى نهر الكنج ببلاد
الحمد وعمت فوائد جميع ارض الاسلام فكانت الثروة والقوة
للمسلمين لتشيبتهم بفوائده وتمسكهم باصول قواعده وما من احد من
ذوي الاطلاع الا ويعلم ذلك ولا ينكره وبالجمله فينبغي لجميع
علماء اوروبا ان يدعوا للعرب بالتقدم في الفضل والعلم وان
كان لم يسمع للعرب اسم ولا ذكر الا من وقت ظهور الاسلام
ما يعرى للعرب يعرى الى اهل الاسلام محيتم به يكون الاسلام
هو المسع للتمدن والعلم اذ لم يظهر العلم والتمدن بالبلاد الاوروبية
الا بعد ظهور الاسلام بنحو الف سنة وحيث كان الامر كذلك
محتما ان لا ينسب الا لاهل هذه الملة الا انه كما يكون للتقدم
اسباب فله مواع وذلك لا با لو شهبها اهل الملة بالعائلة كان
رئيس الملة كرئيس العائلة وكما ان رفاة العائلة وسعادتها تابعة
لحسن احارة رئيسها كذلك الملة وكما ان تربية الاطفال موكولة الى
راي والديم فكذلك اتساع دائرة الملة موكول الى حسن راي من
يسومها ويدبر امرها وكان تحصل الشورى بين الوالدين في امور
العائلة والتربية ويكون تقدمها وعدمه تابعا لما يحيط عليه رأيهم
وانه يلزم ان يكون لمدرامر العائلة علم تام بما يلزمها وما يلزم لها
حالا واستقلا وان يكون ذا بصيرة بمجوات الامور وتقلبات
الدور لبني قوانينهم على قواعد متينة واصول ثابثة مكينة وبسلك

بهم في امر المعيشة الطرق الموصلة الى المطلوب والراحة في الدنيا
 على الوجه المعروف فان كان الامر بخلاف ذلك او كانوا على
 جهل مما يلزم لدرجتهم في حال حياتهم وبعد مماتهم او كانوا مختلطين
 في المعرفة اخذت آراؤهم واخذت افكارهم واصبح حال العائلة
 لعدم اتفاقهم على ما يصلح للحالم وعن قريب يحيط بهم الفقر ويحل
 ساحتهم حيث الدل والظهر ويدخلهم في قيد الاسر ويحزن الدل
 طول الدهر ما لم يفيض الله لها من بعض افرادها من يريل شيئا
 ويزيد شأنها فكذلك الملة تالفة في سلوكها طريقة رؤسائها
 وملوكها وما انحط عليه رأي جمهور رجالها فان كانت رجال
 الجمهور من ذوي المعارف الدس مارسوا الامور واطلعوا على
 اسباب التقلبات التي حصلت في سائر الدهور قد بيضت
 المحوادث سواد ملتهم واخذت التحارب لباس حذتهم وارضعهم
 الدهر من وقائع الايام احلاف احلاق درجه وعلو بكثرة الممارسة
 تصاريب اقداره واقتضيت واحاطوا بمحادثات اهل ملتهم ومحادثات
 الملل المحاورة لهم والمعينة عنهم عالمين باسباب السعادة فيجنون
 الرعية عليها واسباب الشقاوة فيهبوها عنها بما وجدوا فيه نفعا
 لاوظاهم حلو او صرراً احدثوا في ارائهم واحسنوه كان ذلك
 سبباً في اريداد الدكة وحصاً من الوقوع في مهاوي الملكة محبثه
 يصعوبهم الرمان ويعين في ظل علم كل انسان وان كانوا من
 ذلك بالعكس وقعت الرعية في العكس فلا لس فقد قيل عدل

السليمان اذفع من خصب الزمان

وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز يشكو اليه من جوارب
مديعه ويساله مالاً يرما به فكتب اليه عمر قد مضى كتابك
فاذا قرأت كتابي فحسب مديتك بالعدل ونقّ طرقها من الظلم
فاه مرمتها والسلام قال

ولم أر مثل العدل للملك رافعاً

ولم أر مثل الجور للملك واضعاً

وفي رواية ان عامله كتب اليه هدم الدمص وعدم الدمص
وان رصها راص ومرعى راصها راص وانها مخاضة الى عمارة
وبراحة وجرائة ومباحة

فكتب اليه عمر ما ذكر (والدمص بكسر فسكون كل صف
من حجارة الحائط الا الاسفل واسمه رص رصته والعرق فتخين
يعمها والدمص بكسر فسكون اثار البيت بعد رعيه والرص
فتخين المراد به الماشية وراص صعيد هزيل من قلة المرعى وهي
المراد بلعط راص)

ومن طالع تواريج المتقدمين وجد ان جميع الملل في سيرها
سائرة سير مدرامورها ان حبراً فحبر وان شرافشرو من تأمل مصر
وما كانت عليه قبل استيلاء المرحوم الحاج محمد علي باشا ونظر
الى حالها الآن وجد ان لاسية بين الحالين ولا مناسبة بين
الزمين في الارمان الساقطة كان يتر وجود الامر في بلادنا

بما ان فلا اقل من وجود مائة الف نفس وكذلك كان لا
 يوجد واحد من اساء جنسا يكلم بلغة احية ولما الان موجود
 الوف يتكلمون بلغات متعددة ولم يعلم قبلة ان احد المصريين سافر
 الى بلاد اوربا ولما في رومه فما من سبعة من السنين الا والمصريون
 في هاب واباب من مصر الى اوربا ومن اوربا الى مصر ما
 داك الا تعلم العلوم السابعة والصنائع المتنوعة وذلك خلاف
 المكاتب الصغيرة التي تراها فوق الاسلة فلم تكن حالتها بما تقدم
 من الرمان كجالاتها التي هي عليها الان حيث صبط ريعها وحفظت
 من الضياع ريعاها وصيبتها وتنوعت فيها فبون التعلم وبادت عما
 كانت عليه في الزمن القديم حتى صارت ملحقة بالمبارس المبرية
 في الترتيب والمقاصد المحيرة فضلا عما حصل في هذا العهد من
 تقدم الزراعة واتساع طرق العلاحة وازدياد البساتين وتسهيل
 طرق الري في جميع الجهات وكذلك السويب تهيئت لطلابها
 اسماها والصنائع كثرت بين المصريين اربابها وكذا العلماء والاطباء
 والمحكماء الالاء الذين عم معهم البلاد واشتهرت مراياهم بين جميع
 البهاد فسيبهم ارتفعت العاهات وامس التطر من جميع الآفات
 وبها رنته من القوانين الصحية ودره من المواد الطبية تخلصي الناس
 من الامراض والعلل كالحنام والبرهي (اي المبارك) والبرص
 والجرب والحدرى وكذلك نشأ من اساء الوطن مهندسون اعلم
 نفعي اللبيب عن ذكر صناعاتهم وهكذا في كل صعة من الصنائع

كالحدادة والبرادة والحجارة حتى صار الفطرم غنياً عن سواهم
 هذا الى من رجع من رؤسا في العلوم العسكرية وعلماء مدرسين
 في الصون الحربية كل ذلك وغيره اكثر منه لم اذكره للاختصار
 ما وجد الا بوجود هذه العائلة العلوية احسن الله سعيها وادام
 سعدتها وبعد ان كان امر الملة بيد الاغراب المسلطين عليها
 بالسلب والنهب وابواع العذاب صار الان موكولاً الى رأي
 اسائها فلم يبق الله على هذه النعمة هذه العائلة ما كان لما تراه
 اثر بل كان اهل هذه النعمة كغيرهم من حاورهم كالبربر وعرب
 الشام والمحجار باقين على ما كان عليه ابائهم واحدادهم من العادات
 المحلية عن المربة والمعلومات التي تعرى الى الجاهلية من ذلك
 ثبت ان كل ملة تسير حلب مديريها وجمهور رحاها ومديريها ومعا
 وصلت اليه الديار المصرية من التقدم لا يحصى ان تربية الملل امر
 صعب يلزم لها زمن طويل لان هناك عوائد قديمة واحلافاً راسخة
 في الادهان دميمة وافكاراً فاسدة واعتقادات كاسدة فلا تزل محرد
 بعض التحديات بل تنقضي عند الشيوخ ومن قرب منهم في السن
 الى المات بل ربما ورثها عنهم بعض الراسخين من الشان فلا
 تعدم بالكلية الا بعد انقراض جميع هؤلاء او اكثرهم وعلى حكم العقل
 يلزم الترخص الى انقضاء ثلاثة احيال اعني مائة سنة او مائة
 وخمسين سنة وسبب ذلك ان الافكار التي لم ترد في كتب الموليين
 ولا يص عليها احد من السالين وكذلك المشاهدات والاستكشافات

الواردة في كتب السباحات التي لم يشتهر للعلماء فيها كلام ولم
يتقدم لاحد ها المام ربما تقابل بالرداو المعارضة وعدم التصديق
والمناقضة مجتهد يجب اتقاؤها تدريجاً انما من سعادة الملل قد
يظهر لها في بعض الاحيان من يخصصه الله بأفكار عليّة ومعلومات
ربانية تعوق معلومات البشر فيغير حال الملة في زمن اقل من
ذلك بما يدخله من الترتيبات المستحسنة التي تحبب القلوب الى
تلك التراتب والتحديثات من الفوائد العامة فتترك اوهامها
الفاسدة وتشارل عن افكارها الكاسدة وتألف هذه التحديثات
وفي الزمن اليسير تتغير الاحوال والطباع والعوائد والاخلاق
والاوضاع كما هي حالة مصر الآن فان من رآها من مئذ عشرين
سنة لورآها الان لا يجد بها ما نظره شيئاً ويرى انها انتقلت
وصارت كتفعة من اوروما مع ان ما حاورها من الاقطار لم يتغير
عما كان عليه هل لذلك سبب غير ادارة وتدير صاحب الوقت
ومشاورة لجمهور رحاله

فقال الانكليزي حاشا ان يكون في مهي او غير مهي سنة
تتهتم العرب الى الدين المحمدي او اسب اليه المنع من تقدم
العلوم النافعة ولو كان كثير من مشاهير بلادنا وعلماءنا الف كتبنا
كثيرة في معارضة الديانة المحمدية وانت تعلم ان طبعي لا يميل
الى الحق في الاصول الدينية ولا الى المحادلة في الاحكام الشرعية
وان ذلك ليس من شأنني والذي يجري بيننا من المباحث انما

على سبيل الاستعانة والافادة شأن المصاحفين في الاستقار والمخفارين
في الافكار ان ياتي كل منها لصاحبه من غامض افكاره بما يسلبه
من العبارات وان يختار منها ما فيه طائفة مطلقاً سواء كانت من
مشاهدات الانصار او من مستكرات الاحكار حتى تأكد بينهم حال
المودة والصفا ويمتد اليهم اسباب الالفة والوفاء مخافين المحمل
منغامين موحات الملل لان المقصود الموائمة ولا أكد لذلك من
المناوضة في العلم والمعلومات وإزالة كل ما عدا صاحبه من
الشبهات من غير ضرر ولا اضرار ولا فخر ولا افتخار وحيث قصي
الله سبحانه بين المخلق ما لا خلاف فلا راد لما قضاه ولا خلاف
فالاولى عدم الخوض في الاصول الدينية والنجت في التواعد المالية
بل يعدل الى علوم سواها ويقتصر عليها ولا تتعدها ما يطيب
الحاظر ويسر السرائر ويمكر المحب من الضمائر فاقول ولو ان
بعض مؤلفي النصارى اطال الكلام في معارضة دين الاسلام
لكن كثير منهم من صف الرم بنسبه نصر الحق واتصف حيث
قرر واتضح وبرهن على حقيقة الملة المحمدية وشهرتها في العلم على من
عداها من الموسوية والعبسوية وقد ترجمت من احد المؤلفات
الافريقية نذرة في اثبات تقدم العرب ان أدنت لي قرائنها عليك

فقال الشيخ لا بأس

فاخرج الخواجا كراسة قراء فيها ما نصه



المسامرة العشرون العرب

انه فضلا عما استفادته العرب بالترجمة من اللغات المختلفة
علمهم الفضل ايضا في استكشافات كثيرة امتدت بها حدود العلم
الى الغاية واتسعت بها دائرة التقدم بلا نهاية فكانت العرب هي
المقدمة للعلوم في الزمن الحالي والاساس لتقدمها في الزمن الحالي
فلولا ان حبيبا ترجم علوم الملك من اللغة اليونانية الى اللغة
العربية في عهد حميد (نيبورلك) ما امكن (كلير) الملكي ان
يوسع قواعد هذا العلم بما اضافه اليه بالبحث والاستساط من الطرق
التي كانت مرسومة من قبل عند علماء الملك من العرب في
كتب شتى ومؤلفات لا تحصى اعلمها الى الان موجود مخزائن
الكتب باوروبا ومحمدا لم يطلع عليه احد ولم يذكر احد ان العرب
لا غيرهم هم الذين حققوا حركة اوج الشمس واراد مدارها ليس
دائرة منتظمة وانهم ضبطوا مدة السنة

وكذلك يعزى للعرب اثبات النقص التدريجي الذي يتصف
به ميل منطقة الارتفاع واختراع المراول والربع والساعة الملكية
دانت الرقاص وغير ذلك مما يطول ابراده وهم الذين حرروا كتاب
تلميوس الملكي المعروف بالمسطي وقياس الدرجة من خط

نصف النهار والهم تسب الارياح الملكية والمجداول الجغرافية
 وإختراع حرط للمساعدة على الملاحة وجوب البحار وقد وجدت
 حرطة منها في سنة ١٤٧١ ميلادية عند المعلم (قان) أحد المغاربة
 الذي كان في ارض (الجورران) بلاد الهند وقد اخذه معه
 وسكود وجاما معروفا بجريا الى مدينة ميلغه بمجزيرة ونجبار وكان
 عند البورق البرتغالي لوحة اي حرطة اخرى من رسم شخص
 من ابناء العرب يقال له عمر كان يهندي بها في سفره في بحر عمان
 والمحيط الهندي

ويعرى الهم ايضا من العلوم الرياضية اتصال الخطوط
 الماسة في حساب المثلثات واستعواص الجيوب بالاوثار وتطبيق
 الجبر على الهندسة وحل المعادلات التكعيبية
 ومن مآثرهم الجليلة ومخترعاتهم المحميلة علم الكيمياء الذي
 كانت تجهله جميع الامم قبل الاسلام وتركيب حمض الكبريت
 وملح البارود والماء الملكي واستخراج الرئق وتخميره وتجهير الاكلول
 واستنفاع البيذ وغير ذلك

وربادتهم في علم السات نحو اللاعبين على ما في كتاب
 الاعشاب تأليف (دستور) واستكشاف السائح بين الساتات
 حتى يتولد بين الساتين نوات ثالث مغاير لها وقد يكون في الشجرة
 الواحدة صغان وانشأ ساتين مخصوصة لتنمية السات والاعشاب
 وتكثيرها

وفي علم الطب المعالجة بالحرم واستعمال الراوند والتمر هدي
والن وورق السنمكي والكافور في التداوي وتفضيل السكر على
العسل في تركيب اشربة المجلبة

وانشأ أحراراً ومدارس لعلم الطب وبحولها شفاخانات
لعلاج المرضى ومدرجات لتعليم التلامذة علم التشريح والحراة
بالمشاهدة وتأليف كتب صحة ورسائل حمة فيما يتعلق بأنواع
الامراض الانتهائية والحبيبات والسموم وغير ذلك من الدآت
وفي انواع الحيوانات مؤلفات كثيرة منها حياة الحيوان للملاحظ
وهو يشه مؤلف العلامة العرساوي بوفون وانشأ ساتين لتربية
اصناف الحيوانات وتكثيرها

وكذلك لم يغب في علم الزراعة مؤلفات كثيرة ولم يعز
استعمال تقاوي المرووعات اثر بعضها كل رم محس واختراع
السواقي دوات الطواس والقواديس ومحسن تدبيرهم وقوة اجتهادهم
حصل للزراعة محاج عظيم حتى وفد اليهم من البلاد المحاورة لم
والعبدة عنهم خلق كثير للاستدراق والاقامة فراد بالوافدين
عمارهم وبماهم سرورهم وهم الذين علموا اهل اورونارزراعة الارر
والقطر وشجر الثوت الايض وقصب السكر وشجر النحل والستق
وورد بابويا ورهر الكاملي الاحمر والابص ونبات المبلون وغير
ذلك مما لا حصر له

ولم يغب في علم السياسة اختراع الاوراق للمعاملة بها بدل النقود

ويعرى للعرب من الصائع اختراع طواحين الهواء والآلات
المتخذة من الزجاج وبيت الآلة وعمل الورق وسج الحرير وطرق
الحديد وسقيه

وما يدل على شهرة العرب وتقدمهم في الصائع العارة التي لم
يسبقهم اليها أحد فان الأوروبيين لم يجعلوا الصعة القرطية
المشهورة في الآنية إلا منهم

وما يشهد بحرم أيضاً وعلو قدرهم على من عداهم في هذا الفن
مساحد الشام وبلاد الأندلس منها تعلمت أوروبا عمل القباب
العالية والأعمدة المرتفعة وتناسب أحرام ذلك وأحكامه مع الرواق
واللطف والتفنن في الأشكال والخيالات وامتزاج الخطوط المستقيمة
بالخطوط المنحنية في صور مختلفة خصوصاً بما دخلها من الأهرار
في تعشيق الخطوط

ولم يعرى الخط السني وتخليه الحيوان بالقيشاني وغيره من
أنواع الرتبة والحرمة ولم تنكر الأفرح أن دخول التفننات السائية
العربية في سائرهم كالنقش والتلوين أزال ما كان فيها من العارة
الرومانية من التثقل والتشويه فلو قارنا ما في الأفرح الموحدة
الآن بمؤثرهم التي هي نتيجة تقدمهم ومعلوماتهم بالماني العربية القديمة
الموحدة إلى الآن لوحدنا ما في العرب في سالف الألمان أحسن
وأتقن

ولما علم العرب أن التجارة من حملة أسباب الرق بل عليها

مدار معيشة أكثر الخلق اعتسوا بها كما اعتسوا بغيرها فتفتوا الطرق
ويظهروها وجعلوا لها قانوناً لحفظها وحفظ المارين بها والمترددين
وجعلوا بها مساقى للمياه وحانات لقبولة المارين ومبيت المسافرين
ومن ذلك سهل التردد بين الهند وبلاد الصين وبين أفريقيا
وجزيرة صقلية وبلاد الأندلس والمغرب وحصل الأمن ومادة
مصنوعات البلاد بعضها فانتفع كل بلد بما عد الآخر فلم يزل
البيع والشرا متصلاً بين أهالي جميع أقسام الدنيا القديمة خصوصاً
في الأرزو والسكر والقطن والرعيان والصبر والعاج والتمر والخبازي
وبلور الصهور والطحينة وحبوب القمح وحبوب القمح وحبوب القمح
الحمل والمشال والسروج والحلوى السجانية القرطبية والحبوب
المصنوعة في كورة مجبجج الزاوية والحلوى والقمشة والسجادات
الفارسية والشامية والقمشة المحرير واصناف الكسبيير ومسوحات
الموصل والعقاقير الطبية والادوية احوال متقدمة الاسلام
ومشاهير امرائه والحكام لم نجد احداً منهم الا وله حرفة يتقوت
مها او صفة لا يستعني في معيشته عنها علمية كانت او عملية
سواء في ذلك الكبير والصغير والمأمور منهم والامير واصحاب
العلوم توضح الطرائق وترى العوائق وارباب العمل يتبعون ما
رسومه ويسعون ويعملون على مقتضى ما استحسنوه وحيث كان
القرآن الشريف حائلاً على العمل والسعي في طلب الرزق حتى كاد
يعد مرفصاً خصوصاً وقد مدح التجارة والصناعة لم يبق عند العرب

اوهام بالنسبة لاتضاع الصعقة وشرها فلم يكن احد منهم يرى انه
 اشرف من غيره ولا انه قروي وذاك مدني ولا انه فقير وذاك عني
 بل كانوا جميعا لا يرون الفضل الا لمن اتع سبيل الرشاد
 فكانت الصنائع تشرف بهم لا اهم يشرفون بها بخلاف المحاري
 في البلاد الاوروناوية والديار الصرائية فشرف الرجل عدوم
 بقدر شرف صعته فذلك كانت رجال الدولة الاسلامية وقادة
 الحبوش وروساء الاقلام لا يبالون باسماء صاعتهم حيث تيسر
 لهم بها في الدنيا امر معيشتهم كالحياطة والعطارة والمجوهرية فكان
 ابو بكر راراً وعمر رضي الله عنه دلالاً وعثمان رضي الله عنه تاحراً
 وكان علي لصغر سه ساعياً في خدمة ابن عمه صلى الله عليه وسلم
 ولما كبر كان يخلب الوفود للصناعة احياناً فعلى مقتضى الشريعة
 المحمدية يلزم كل اسان اميراً كان او مأموراً ان يقتات من عمل
 يده وهكذا كان كثير من الحلما والصالحين والعلماء العاملين
 في سنة ١٧٥٤ ميلادية اعني في عهد قريب ما كان السلطان
 محمود الاول حوهرياً وكان يصرف ثمن مصوغاته في ماكولاته
 وما يلزم له وكلما اكثرها المقت في الكتب وثمنها اثار العرب
 وحدنا لم من التمدن الحسن وحسن الاختراع ما يبهر العقول
 ويتعسر على غيرهم اليه الوصول من ذلك استعمال حبل
 العريد لسرعة الانتقال متى تأوا شغور بلاد الاندلس من
 الحدود العاصلة بلادهم من الهندستان والصين واعظم من ذلك

الوسطة لتوصل المكائنات الى البقاع الاسلامية كافة وكانوا
يجعلون على الطرق حدوداً منتظمة لحفظ المارة والتجارة من
امتداد يد اهل العدوان من المفسدين والعربان وعلى السواحل
فارات تهتدي بها السفن في سيرها في البحار وبحو ذلك من
محاسن الآثار

وبالجملة فلم تر العرب شيئاً الاً عملته ولا فماً نافعاً الاً تعلمته
فمن ذلك الاشارات الرمية المستعملة الآن لتوصيل الاحار
السرية وكانت الدروب والطرق داخلاً وخارجاً لاتزال مطروقة
نام مختلفة في تحصيل الضروريات المعاشية والاسباب التجارية
وبحو ذلك من المصالح الدنيوية والمقاصد الدبية كالمحج الى بيت
الله الحرام والسفر لرؤية الصالحين وصلة الارحام وكان لكل
مدينة دعائر لحسامها وقصاياها وديوان يضطامور رعاياها وعسس
يطوف بالليل الى الاشراق وملاحظون بالنهار لما عساه يحصل
بالاسواق ومخسسون لصط الميران والمكبال ومواحدة من طلف
تقدم ما يروونه من انواع الكال

واما ادارة المحكم في جهات المملكة فلم يكن القائم بها
واحد بل كان السلطان يامر في كل جهة باختيار مجلس من
اهلها فيقومون بتدبير ما يروونه من المصلحة ومع حصرها في مراكز
معية فكان يرتب لها مأمورون يبرون بالاقاليم ويلاحظون ما
بها من المراع وغيرها ويجهون على ارباب الخدم والوظائف

باداء الواحات في اوقاتها وتحصيل اموالها وتقيز ما فيه مصلحة
 لا قواعها وكانت حكاهم الاقاليم ملزمة في كل شهر بتأدية قوائم
 ماجرياتها وتقارير فصاياهها ومع هذا كله فكان السلطان يقف
 وفوقاً تاماً على جميع ذلك ويأمر بما يراه موافقاً للحال من بحار
 الاعمال واصطلاح الاحوال وهذه المثانة كانت جميع مصالح
 المملكة والرعية مدرة تدييراً حسناً وكان من ضاقت عليه
 الاحوال واحاطت به جيوش الاحوال اذا دخل في حكم اهل
 الاسلام واتقاد لما لم وعليهم من الاحكام عمره السرور والى ما كان
 به من المصائق والسرور كما حصل لاهل صقلية والانديس حين
 تحلصوا من يد اليونان ودخلوا في حكم المسلمين فعصل لم وهم
 الراحة وقاموا جميعاً بتحصين الصاعدة والفلاحة وجلوا لم مستنات
 لم تكن عدم من قل كندر القطر والشمم وكثير من انواع
 الرياحين كاللبلب والهام فاستنتوها من ذلك الوقت وكان من
 حملتها قصب السكر وشجر العسقي ولسان العصور وهم تفنت
 العرب في مسوحات الحرير وعرفوا كيفية استخراج المعادن
 والعقاقير واستعمال محاري المياه من انايب معدنية حتى وصلوا
 في اقرب وقت الى اعلى درجة في العرو والرواهية

وكان بمدينة طليطلة اذ ذاك على ما قاله العلامة (دوروي)
 الفرساوي ما مائة الف نس وباشلييه ثلاثمائة الف وكان محيط
 احدى المدن ثمانية فراع وبها ستون الف قصر وستائة مسجد

وخمسون قشلة للساكين وثمانون مئونة وتسعمائة حمام عزيز التي
في البيوت وكان معها من النفوس مليون (اعني الف الف الف) وستة
الاف نول لسج التحرير خاصة ومن يرأها الآن لا يجد بها شيئاً مما
كان فلا يعلم اي ضامة دعتها واي مصيبة اعترضها حتى احل
امرها وتغير حالها ولم يبق بها من اللباس الا نحو ستة وخمسين
الفاً

وكانت عرعر طلبة المعارف من جميع اقسام الدنيا تعلم
العلم في المدارس الاسلامية وقد اسلم كثير منهم وكانت بلاد
الاسلام تتألف في الماني فانواع الرخوة خصوصاً بلاد
الاندلس

وكان في كل من مدينة سبتة والفيروزان والمحارث وتونس
وطرابلس مدارس عامة وكنجانات وكان ثغر سيراك وصدن
وجدة والسويس مرسى متاجر حسنة واروة اليها ودابة منها وكان
سوق مدينة فيول موعداً لاجتماع الناس من جميع جهات اسيا
واما الرجال الذين نغوا في رياض الفنون العقلية والعلوم
الادبية فلا سبيل الى حصرهم ولا طريق للوصول الى عددهم وذكرهم
فان ذكر مشاهير كل من يحتاج الى مجلد

وجلاصة القول في هذا المقام ان علماء العرب واهل الاسلام
لم في كل من اليد الطولى وكل فصل هم احق به من غيرهم
واولى لا سيما المجتهدين العباسية ومن قبلهم بعض خلفاء الاموية

فكان ابو جعفر المصور العامي مقدماً في كل من خصوصاً في
علم الهوم والفلسفة محباً لاهلها ولما افصت الخلافة الى السامع من
الحلفاء وهو عبد الله المأمون بن الرشيد ثم ما بدأ به جده واقبل
على طلب العلم في مواضعه واستخرجه من معادنه فداخل ملوكا
وسألم ما لديهم من كتب الفلاسفة فعنوا اليه منها بما حصرهم
من كتب افلاطون وارسطو وقراط وحاليوس وافيلدس
وطليموس وغيرهم واحصرهم هرة المترجمين ثم كلف الناس قرائتها
ورعهم في تعلمها فعق به للعلم اسواق وشمرت دولة الحكمة في
عصره عن ساق وكان الماعت له على ذلك فيما قال انه رأى في
سامه رجلاً حسن الثمائل فقال له من انت فقال انا ارسطاليس
فسأله عن المحسن فقال ما حسنه العقل فقال ثم ماذا فقال ما
حسه الشرع فكانت هذه الرويا من اقوى الاسباب الداعية
لاخراج الكتب من هذا الفن الى اللغة العربية وكان يسه وبين
ملك الروم مراسلات فكتب اليه يسأله انعاد ما يختار الكتب
القديمة المحرونة بالروم فاحابه الى ذلك بعد امتناع فامد المأمون
جماعة منهم الحاج بن مطر والطريق وغيرها فسلمهم ملك الروم
بيت الحكمة فاحصوا منها ما احاروا ورجعوا به الى المأمون
فامرهم بنقله الى لغة العرب فنقلوه وكان من انفذ الى الروم
لهذا الخصوص يوحنا بن ماسويه وكان محمد واحمد والحسن سو
شاكر النعم من غني باخراج الكتب ومن نقل العلوم الحكيمية

الى اللغة العربية اصطفان ثقل لحالد بن يريد بن معاوية وكذلك
الطريق ثقل للمصور ايضاً شيئاً بامرّه وابن يحيى الحجاج هو
الذي ثقل كتاب المحسّطى واقليدس للامون وكان في امام
الرامكة ابن ناعمة عند المسيح الحمصي وسلام الابرش وهلال
س الي هلال الحمصي وابن اوى وابن رانطة وعيسى س نوح
وحين وكان امام وقته في صفة الطب وكان يعرف لغة
اليونانيين معرفة تامة وهو الذي عرب كتاب اقليدس ونقله من
اللغة اليونانية الى لغة العرب ثم جاء ثات بن قرّة بعده فتحمه
وهديه وكذلك كتاب المحسّطى وكان حين المذكور راشد اهل
عصره اعتناء بتعريبها واسحاق ولد حين وكان اوجد عصره في
علم الطب وكان يلحق بابه في النقل ومعرفة اللغات وتعريب
اللغة اليونانية وحدم من الحلفاء والروساء من خدمهم ابو ثم
اقتطع الى القاسم س عبد الله ورير الامام المعتصم بالله واخص
به حتى ان الورير المذكور كان يطلعه على اسراره ويهضي اليه
بما يكتبه عن غيره

وكان هو وابوه في القرن الثالث من الهجرة
وكان يحيى بن عدي وابن المقفع من ثقل من الفارسية الى
العربية وكذلك المحسن بن سهل وغيرهم
وكان الورير ابو علي الشهير بان سيبا قد برع في علم الطب
فذكر عند الامير نوح بن نصر الساماني صاحب حراسان وكان

قد مرض فاستحضره فمالجته حتى برئ. واتصلان به وقربا منه وسقط
الى دار كته وكانت عذبة المثل فيها من كل من الكعب
المشهوره بايدي الناس وغيرها ما لا يوجد في سواها ولا سمع باسمه
فضلا عن معرفته فظهر ابو علي فيها نكتب من علم الاوائل وغيرها
فانجب مؤاندها واطلع على اكثر علومها واتفق بعد ذلك اخبراني
تلك الحزاة فتفرد ابو علي بما حصله من علومها فاتفق بانه خرجها
ليفرد بمعرفة ما حصله منها وينسه الى نفسه ولم يستكمل ثلثي
عشرة سنة من عمره الا وقد فرغ من تحصيل العلوم ناسرها وكان
مشاه ببحارى ولما اضطرت امور الدولة السامانية خرج ابو علي
معه الى كركانج وهي قصبه خوارزم واختلف الى خوارزم شاه
علي بن مامون وما زال ثقيل به الاحوال من بلد الى بلد الى
ان استوزر لشمس الدولة وكان في اوائل القرن الخامس من
العجرة واليه تسب القصيدة المشهورة التي وصفت فيها العس ولولها
هبط اليك من الحلق الكراع

وَرَقَاه دَاثُ تَغْزَرٍ وَتَجْعٍ

مَحْوَةٌ عَنْ كُلِّ مَعْلَةٍ عَارِفٍ

وَهَبَ التَّجِبَ سَعَرَتْ وَلَمْ تَدْرِ فَعِ

وَصَلَتْ عَلَى كَرَاهٍ إِلَيْكَ وَرَمَا

كَرِهْتَ مُرَاقَبَتِي وَهَبَ دَاثُ تَجْعٍ

وكان في القرن الثالث والرابع من الهجرة ابو بطر الفارابي

صاحب التصانيف في المنطق والموسيقى أخذ علم الفلاسفة عن
يوحنا في أيام المعتز وشرح غوامضها وكشف أسرارها وقرب
تناولها وجمع ما يحتاج إليه منها

حكى أنه لما ورد على سيف الدولة بن حمدان وكان مجلسه
مجمع الفضلاء في جميع المعارف فأدخل عليه وهو يرتي الأتراك
وكان ذلك ربه دائماً فوقف فقال له سيف أتعلم فقال حيث
أنا امر حيث أنت فقال حيث أنت فخطى رقاب الناس حتى
انتهى إلى مستند سيف الدولة فراحته فيه حتى أخرجه عنه وكان
على رأس سيف الدولة ماليك وله معهم لسان حاص يسأرون به
قل أن يعرفه أحد فقال لم بهذا اللسان أن هذا الشيخ قد أساء
الأدب وأني سأثله عن أشياء أن لم يعرفها فأخبروه به فقال له
أبو نصر بذلك اللسان أيها الأمير أصرفان الأمور بعواقبها فحسب
سيف الدولة منه فقال له اتحسن هذا اللسان فقال نعم أحسن
أكثر من سبعين لساناً فعظم عنده ثم أحد يتكلم مع العلماء المحاضرين
في المجلس في كل من فلم يزل كلامه يعطو وكلامهم يسفل حتى
صمت الكل وبقي يتكلم وحده ثم أخذوا يكتبون ما يقول فصرخ
سيف الدولة وحلأ به فقال له هل لك في أن تأكل فقال لا
فقال هل تشرب فقال لا فقال فهل تسمع فقال نعم فأمر سيف
الدولة بأحضار المصنفين فحضر كل ماهر في هذه الصناعة بأنواع
الملاهي فلم يجر أحد منهم آتة إلا وعطاه أبو نصر وقال له

اخطأت فقال له سيف الدولة وهل تحسن في هذه الصنعة شيئاً
فقال نعم ثم اخرج من وسطه خريطة ففتحها فاحرج منها عيداناً
وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان في المجلس ثم فكها
وركبها تركيماً اخر ثم صرب بها فحكى كل من كان في المجلس ثم
فكها وعير تركيبها وصرب بها صرباً اخر فنام كل من في المجلس
حتى السواب فتدركهم نياماً وخرج ويقال انه اول من وضع الآلة
المسماة بالقانون وكان في القرن الثالث من الهجرة ابو الحسن علي
بن يحيى بن المصور المحمّ الدميم واسمه يحيى ابن الدميم

وكان في القرن الخامس ابو علي يحيى بن عيسى بن جبرله
الطبيب الماهر وكان بصراً ثم اسلم وصنف رسالة في الرد على
اليهود والنصارى وبين معائب مداهم وذكر فيها ما قرأه في
التوراة والانجيل في شان ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وانه
مبعوث وان اليهود والنصارى احموا ذلك ولم يظهروه وما رالت
العلوم الحكيمة تتداول من عصر الى عصر ومن قطر من بلاد
العرب الى قطر حتى وحدهم مدينة القاهرة الكبير المعظم والملك
الحكم العلامة بن يوسف مخترع السدول (اي رقاص الساعة)
والربع

وكان في القرن الحادي عشر حلال الدين ملك شاه احد
الملوك السلجوقية الذي صارت لباس تؤرج بعصره فيقولون كذا
كذا في سنة كذا من التاريخ الحلالى

وكان في القرن الثاني عشر من الميلاد مدينة قرطبة تقع من ناحية وكان يصنع الاصطربلاب ويعلم العمل به ويقال انه لم يكن اطلع عليه وكان يرسم على كرة فيها هو يسير يوماً على فرس وبين يديه كرة اتفق ان سقطت وداس عليها الفرس فانسقطت وانعنته الصورة التي صارت الكرة اليها فاحد به عمل الاصطربلاب على وفق تلك الصورة فانا صح هذا كان من مخترعاته اذ لم يكن رأى قبل ذلك من عمل غيره

والبيروني وكان مشيراً وصديقاً للسلطان محمود الغزنوي وكان في القرن الثالث عشر من الميلاد بالموصل العالم الكبير والعلامة الشهير بن رشد شارح مؤلفات ارسطاليس وكان ناصبها ن اوحيدة مؤلف الارياج والتوافيق الملكية وكان بمراكش ابو الحسن الخفراي وكذلك ناصر الدين الطوسي مؤلف الارياج والتوافيق المخفافية وكذا الفراي احد شعراء الترك

وكان في القرن الرابع عشر تيمورلوك الذي اشتهر ديواناً لمذاكرة العلوم واحيانها في مدينة مرقند ثم ابو العلاء المؤرخ صاحب حياه

وكان في القرن الخامس عشر شاه رخ نخل تيمورلوك وهو الذي نقل العلوم الى بلاد هراة وكان بالقاهرة العلامة المغربي الذي لم يسمع بثله الرمان ومن مؤلفاته تاريخ مصر وذكر احوال

من تسلطن بها من الممالك وغيرهم المسمى كتاب المخطط وله قاموس تاريخي وكذا أولوع بلك التتاري حفيد تهورلنك ومن اثاره اثناء رصدخانه في مدينة ممرقد

وكان في القرن السادس عشر بمصر حلال الدين السيوطي ومن اثاره تاريخ مصر المسمى حسن المحاضرة في احار مصر والقاهرة وكذا حورمير العارسي ومن اثاره خلاصة التاريخ وهو الذي عثرنا فيه على استعمال اهل الاسلام الورق بدلاً عن النقود في المعاملات وكان ذلك في القرن الخامس عشر من الميلاد بمدينة طهران

وكان في القرن السادس عشر ايضاً الظهار العلامة كاتب حلبي لرسالة الجغرافية وهي كتاب عجيب في ما به حتى ان كثيراً من الناس ينكر كونه له اد لم يسبق له مثال

وما ذكرناه في سرد اسماء بعض المشاهير بالنسبة لما ترك اقل من القليل الا انه هوصل به من اطلع عليه الى معرفة ما كان للمسلمين من المصنعات العلية والعلوم الحكيمة حيث لا مانع لم من معرفة ما فيه فائدة تعود على الوطن فقد غاصوا في بحار العلوم واستخرجوا بقوة ادراكهم درره واستكشفوا عرره وهذا كله في علماء فرع من العلوم العقلية فما نالك بعلماء العلوم الادبية والشرعية ومه يعلم ان سائر الامم التي كانت في الاعصر الحالية انما شعوا على ظنهم بما اغترفوه من ساحل بحار معلومات اهل الاسلام اد ليس لها اصل تستمد منه سوى الاعتراف من بحر معارفهم الى

هذا الزمان وكذلك شعراؤهم وعلماؤهم ومؤلفوهم لم يهتدوا الى ما
 احدثوا اليه الا بمؤلفات اهل الاسلام وكذلك قواميسهم المتضمنة
 احبار البلدان ومبشاهير الرجال وحوادث الزمان انما تعلموها ما
 وقع في ايديهم من كتب العرب فحدثوا حكاياها فقد دون اهل
 الاسلام في علم التاريخ فضلا عن غيره تدوينا متنازعا به على غيرهم
 بقوة فكرهم وحلاوة تعبيرهم والاهتمام لطرق استنتاجهم وهذه المزايا
 من البرهان على تعودهم على ملاحظة الكائنات الطبيعية والتجارب
 والاعمال البشرية فقد يوجد نحو الالف والثلاثمائة مؤلف في
 خصوص علم التاريخ باللغة العربية فضلا عما ألف في ذلك
 باللغة التركية والفارسية

فلما وصل في الكلام على تقدم اهل الاسلام الى هذا المقام
 قال الانكليزي لا ريب في تقدم اهل الاسلام في كثير من
 الفنون وسنهم غيرهم موائد حليلة اخذت عنهم واستمدت منهم
 فمن ذلك استعمال البارود الذي تكافأت بسببه قوى الامم
 او قوت من التكافؤ حتى هذأت الفتن وقل عددها وقصرت
 مدة ما تحرك منها فما قامت حرب الا فعدت ولا التفتت نيرانها
 الا بسرعة خمدت على خلاف ما كان في العصر الحالي حيث
 كان الناس يعتمدون على قوى اندامهم وبضاه صولهم ورماحهم
 الى غير ذلك من آلات المكائنة فكانت الحرب خصوصا في
 العرب تنشأ من امر صغير بين نفرين ثم لا ترال تزداد وتولد

من جهة . حتى يصطلي حرمها على كثير وقطول مدعها فربما
افادت الحرب الواحدة السبب زيادة عن اربعين سنة فلما
اخذى الناس الى استعمال البارود وآلات اطلاقه خمدت الفتن
وصار الغالب على الناس الامن بعد ان كان الغالب عليهم
الخوف ولا شك في سقى اهل الاسلام الى استعمال البارود وان
لم يعلم عين مختصة فقد كان اهل مصر يدخلون ملحه في بعض الادوية
ويصنعونه ملح البارود الابيض ويبردون به الماء بدل الملح واستعمله
المسلمون في حروبهم ومحاصراتهم بعد القرن الخامس من الهجرة
وما عبق اليه المسلمون ايضا بيت الازرة الذي يستعملونه في تحوير
محارب مساجدهم فيتعرفون به جهة قبلتهم التي امروا باستئصالها في
صلواتهم اذ لم تكن الشمس كاميه في ذلك لعينيتها ولا الاقطار
لاستئثارها في بعض الاحيان وكثير من الاماكن وقد عمت دفعة
بيت الازرة سائر الناس حتى ان المسافرين برأ ومحرراً لا يستغنون
عن استعماله ليعرفوا بدلالته الاتجاه الى مقاصدهم . وما يسب
لاهل الاسلام غل الورق فقد وجد عدم سنة ٢٧ من الهجرة
وكان اهل بخارى يعملونه من الحرير ثم عمله في حدود المائتين
يوسف ابن عمر امير مكة في امام بني العباس من القطن وكان
اهل الاندلس يصنعونه من الكتان والنبيل . وما سقى باستعماله
المسطون الورق بدل القشور والوراق الخواتم التي نسي بالصفحة
ياخذها المسافر من تاجر في بلدة الى تاجر في بلدة اخرى لحاجة الحمل

والامن من قطاع الطريق واهل الفساد وقد رأيت في بعض
 التواريخ العربية من حملة اعلم المعتمدة بالبحر حرم الخليج العربي
 المعروف بخلج القلم وان ذلك كان ما بين من عرواين العاص
 او من عمر بن الخطاب رضي الله عنها وذكر بعض المؤرخين
 ان عمرو بن العاص حطّر ساه حمر برح السويس لاتصال
 البحر الاحمر بالبحر الابيض فاستأذن عمر بن الخطاب منعه لئلا
 تعبر منه الامرج البحر الاحمر فيكثرون بالمشرق وببلاد العرب .
 ثم لما كانت ايام السلاطين العاشر عزم وريه علي المشروع في
 حفره معرضت له مواع عاتقه عه ثم استعوص ذلك بالعزم على
 توصيل بحر حرجان بالبحر الاسود بان يجر خليج بين هري الطوبة
 واولفة منعه عن ذلك ايضا فساد اخلاق طوائف الفراق الميمين
 بسواحل تلك المياه

فعد ذلك طاب خاطر الشيخ بما القاه اليه صاحبه الانكليزي
 اولاً واحراً اذ رآه محباً للحق وفي الحكم مصفاً وشهداً للملة الاسلامية
 في سائر الصون معترفاً وراياً حبه له اضعاف ما كان
 وكان الشيخ قلى ذلك بمع نفسه من المناجحت في الامور
 الدنية حوقاً من ان يكون ذلك سبباً في حصول التهور بينها
 وكان الانكليزي مراقباً لذلك ايضا قلقاً بما يجب للشيخ من الحقوق
 لما رأى فيه من كثرة الورع والتخلق بالاخلاق المرضية وفي
 اهداء الكلام بينهما هذه المرة في امر الديانة ظن الشيخ ان الانكليزي

ربما يشير الى الديانة بما يندسها فلما قص عليه ما قص ولم يظهر
من كلامه في شأن الملة اذنى نقص حيث امتنع عن الجدل ولم
يسب للملة الاسلامية من التاخير اذنى سبب بل عزا اليها استمرار
التقدم بما اكتسبته في الزمن الحالي حتى صارت اساساً يعتمد
عليه النوع البشري في تقدمه الحالي والمستقبالي وانه لولاها
لارتفعت من بين الناس موجات الالفة والمسار وامتنعت عنهم
اسباب التمدن واليسار فمن ذلك الوقت اعترف الشيخ لصاحبه
مكثرة الاطلاع والوقوف علي حقائق الامور والاضاع

مخاص معه بحر هذا البحث المتعلق بالدين ثم قال . وما
يستطرد في هذا المقام ذكر اديان العرب قبل الاسلام
كانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاة . وكانت
اليهودية في يثرب وبي كنانة وبي الحارث بن كعب وكندة . وكانت
المجوسية في بي تميم

ولول من غير دين الجمعية عمرو بن لحي ابو حراة وهو انه
رحل الى الشام فرأى العالمين يعدون الاصنام فاعلمه ذلك
فقال ما هذه الاصنام التي اراكم تعدونها قالوا هذه اصنام ستمطرها
تتمطروا وستنصرها فتصنروا فقال اعطوني منها صنماً اسير به الى
ارض العرب فيعدوه فاعطوه صنماً يقال له هُسل فقدم به مكة
فصنه وامر الناس بعبادته وتعظيمه

ولول ما كانت عبادة الاحجار في بني امية وسب ذلك

انه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حتى ضاقت عليهم فتهفروا .
 في البلاد وما من احد يظعن الا حمل معه حجراً من حجارة الحرم
 تعطيها له حيثما نزلوا وصعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ثم تناسلوا
 فسوا ما كانوا عليه من دين اسماعيل فعبدوا الاوثان وصاروا
 الى ما كانت عليه الامم قبلهم من الضلالان

وكان لاهل كل دار صنم يعبدونه فانما اراد الرجل سعرا
 فسمح به حين يركب وكان ذلك احرم ما يصنع اذا توجه الى سفره
 وانا قدم من سعره بدأه قبل ان يدخل الى اهله فاتحدت العرب
 الاصنام وعكفوا على عبادتها

وكانت لقريش وبني كنانة العري وكان حجاجها بي شيبة
 وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان حجاجها بي مغبت من ثقيف
 وكانت مائة للاوس والحرج ومن دان بدينهم واما يعوث ويعوق
 وسر قبيل ايم كانوا اسماء اولاد آدم عليه السلام وكانوا اتياء
 عبادا مات احدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فراقوا ان يصوروا صورته
 ليدكروه انا بطروق فصوروه من صعر ورصاص ثم مات احمر
 ففعلوا ذلك الى ان ماتوا كلهم فصوروه هناك واقام من بعدهم
 على ذلك الى ان تركوا الدين وعبدوها الى ان نعت الله بوجها
 عليه السلام فنهام عن عبادتها فقالوا ما احمر الله به عنهم لاتدرن
 آلهنكم ولا تدرن ودا ولا سواعا ولا يعوث ويعوق وسرا (الاية)
 ولما عم الطوفان الارض طمها وعلا عليها الغراب رميا طويلا ثم

أحرقها مشركوا العرب فعدوها وكان ودّ على صورة رجل وسواع
على صورة امرأة ويعوت على صورة أسد ويعوق على صورة فرس
وسر على صورة نسر .

هذا ما كانت عليه العرب قبل الإسلام وقد صاروا نعدّه
أمة واحدة قوية والفضل في ذلك كله للقرآن المجيد ومن العجيب
أنكم معاشر الأوروبيين تعلمون ذلك وتعرفون إلى الإسلام تاحر
النوع الإنساني في المدنية

فقال الإنكليزي لا يحى على سيدي عادة أهل المذاهب
والأديان من التعصب والتعرب من قديم الزمان فكل يميل إلى
ترجيح مذهبه بما يصل به إلى بلوغ مأربه ويعزو إلى دينه كل
فصيلة ويصمه بكل صفة حميلة فيأخذون بحواس المتدينين
ويجدون إليهم قلوب الحاهلين فلا يرون إلا رأي أسلافهم ولا
يعلمون إلا ما سطر في تأليفهم ولا يصاهون قوانينهم فتوايين غيرهم
ولا قواعدهم فتواعدهم إلا لمقاصد فاسدة وإغراض كاسدة ولا
يفرقون بين الصحيح والاصح والراجح والأرجح وإنا أيا فلست من
هذا القبيل ولا إليه عقلي يميل وليست المصرية على محبة ولا
أحكامها عندي محكمة بل الواجب عليّ اتباع الحق كما هو الواجب
على كل عاقل من غير فرق وإنا أعلم من قبل أن الله سبحانه
وتعالى لم يعط الرسل عشائلا أرسلهم لهداية من اتبعهم وما قصدت
بمراقبي بلدي وإهلي وأولادي وتوجهي إلى بلاد المشرق وإقامتي بمصر

وتعاني اللغة العربية إلا الوقوف على حقيقة الملة الإسلامية وذرة
علمها فان مؤلفات الاوروايين في هذا المعنى مشحونة ماكاديب
مضلة وإخلافات محلة كقولهم في كتبهم ان محمداً يقول ان السماء
لا يدخلن الجنة يوم القيامة

فالتفت الشيخ للحواحد ذلك وقال مثل هذا لا يقال
من امثالك ولئن كان معتقد علمائكم من هذا القبيل ومؤلفات
قدمائكم على نحو هذا التمثيل وها هو كتاب الله ينبت على وكذلك
كتب المفسرين وحكمة الشريعة اجمعين لم يوجد فيها مثل ذلك
ادنى اشارة فضلاً عن التصريح بعارة وقد قدمت لحضرتكم ان
جميع كلام السوء شرح للقرآن قال تعالى (وارلنا اليك الذكر
لتبين للناس ما نزل اليهم) واذا تسعنا القرآن العظيم لم يحده
بذكر المؤمنين الا ومعهم المؤمنين ولا المسلمين الا ومعهم المسلمين
ولا الصائمين الا ومعهم الصائمت قال تعالى (ومن يعمل من
الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة
ولا يظلمون فيها) وقال تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى
وهو مؤمن فلنجيبه حياة طيبة ولحربهم احرم ما كانوا
يعملون) وقال تعالى (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين
والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين
والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات
والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين

الله كثيراً والذاكرات اعد الله لم معرة واجراً عظيماً (هو الجنة وما فيها) وهكذا في غير ما اية وان اردت ان اطلعك على مواضع ذلك من المصحف الشريف لتقف على الحقيقة بنفسك فعلت والكتاب والسنة والاجماع على ان النساء ما للرجال من الثواب وعليهن ما عليهم من العقاب لا فرق بين حرة وراقية ومولى وعتيق وقال صلى الله عليه وسلم ايما امرأة غاب عنها زوجها حفظت غيبته في نفسها وطرحته ربتها وقيدت رحلها واقامت الصلاة فاما تحشرون القيامة عدوا طفلة فان كان زوجها مؤمناً هو زوجها في الجنة وان لم يكن زوجها مؤمناً زوجها الله من الشهداء فكيف يومئذ بين انصف بالعدل فضلاً عن انصافه بالفضل ان يضيع عمل عامل او يحرم الرأجي فضلاً الشامل

فقال الانكليزي لو علمت ساء اورو ما تقولك لاحسن دين الاسلام لكن ربما يمعن شيء اخر اتفق عليهم من كل شيء واضر وهو اتحاد الرجل معك عدداً من الزوجات

تسم الشيخ وقال اراك قد حررت عما نحن فيه اذ لا دخل لتعدد الزوجية ولا لدين المصرية في احياء العلوم الادبية ولا تقدم العمون والصنائع الدنيوية اذ لو كان كذلك لما اختتم الى اليونان فمن نعدم من العرب الى الآن في الوصول الى ما وصلتم اليه فاهم لكم في كل ما علمتموه ملاد واحتياجكم اليهم كاحتياج المتعلم الى الاستاد

واما ما كان من امر تعدد الروجات فليس هذا خاصا بنا
بل هو عام لنا ولغيرنا ولم يبعه الا طائفة الصارى فقط حتى ان
من قلمهم كانوا يجزؤون العدد ايضا فقد رأيت في بعض كتب
التواريخ نقلاً عن دانيال القسيس ان ملوك فراسا الاولين كانوا
متزوجين بزوجات متعددة مع اهم كانوا متدينين بدين المصرية
ومن ثم كان لكل من عطران وشريبر وداعوبر الاول ثلاث
روجات ولم داغوبر وهو قلودومير اربع روجات في آن واحد
وفي سنة سعمائة وستة وعشرين من الميلاد كتب البانا
غراغور الثالث الى الواعظ بدسماس حين ارسل اليه يسأله عن
جواز التزوج بامرأة ثانية اذا اصبحت المرأة بذات يبعها عن القيام
بمقوق الروح حارله اب يتزوج بامرأة اخرى وعليه للصانة
مؤنها الصرورية

ولعل الحكمة في اباحة تعدد الروجات عدنا وعد من
كان على رأيا ان التدبير الالهي لما مير الرجل بقوة النبوة وطول
ومن التماسل بالنسبة للمرأة وسلامته من الاعذار المعتادة للنساء
في اوقات معينة كالحيض والنفس راعى الشرع جانه لذلك
واما حكمة الامراء التي عولم عليها واستندتم في الحكم اليها
ولا يمكن المحزم باطرادها في كل طبيعة ولا بانها لقطع ما تحشونه
من المفاسد دربعة فقد يأتي من يتبع فيه كثير من الامور العظيمة
التي لا وجود لها في بلادنا كقتل الاطفال واسقاط الاجنة

وضموا لفظك

قال الانكليزي هذا كلام معقول لكي فطرت في المصحف
مرة قرأت في السورة الثالثة من سورة البقرة ما ظاهره الامر
بضرب النساء مع انه يحل شرف الانسانية

فاحابه الشيخ الا ان هذا لا يوحد الا اذا علم الروح منها
بما كان يهد على انه ليس له ذلك من اول الامر بل
يمتثل معها الصيغة فان ابنت بالهر فان ابنت ضربها بشرط
ان لا يضربها على ان حس العشرة المأمورية في الهران ربما
جعل الشديد عليهن مذموماً وصبر من عاقبتن على كل ما فرط
ممن فلوماً كقوله تعالى (الطلاق مرتان فامسك بعروق او
تسرح باحسان) وكقوله صلى الله عليه وسلم احملوا النساء على
اخلاقن وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينبغي للرجل ان
يكون في بيته كالصبي فانما طلب ما عنده وحده رجلاً وقال بعض
الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم ما حق روجة احدنا عليه قال
ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه
ولا تشج ولا تعجر الا في البيت ومعنى لا تعج . لا تسبها المكروه
ولا تشتمها ولا تفل لها فتجك الله وبحو ذلك الى غير ذلك ما
يعظم امر النساء وبوجب رعايتهن والمبادرة الى القيام بحقوقهن وهل
حرية النساء الا ان يملن حقوقن على ازوجهن حسماً تقتضيه
المرقة وصيانة النساء عن الدخول فيما ليس لمن من خصائص

الرجال كما نهت على حماها حدوده ولدتهم فلو اهرها الشرايع
وليس مما يقبل العقل المنزه عن البصيرة ان تكون حرية النساء
عبارة عن تخليتهن وما اشتهين مع ما يشهد في الاكبر من غلبة
شهواتهن واهوائهن على عقولهن :

وبيناها تطوران انا نصبة في صدر السفينة تبين لها اشارة
للوصول الى الميناء فهي كل صاحبه بالسلامة ولما بالعبود الله
البر وتذكر الشج رحاء ولده في امر يعقوب فاحر به صاحبه ويبلغ
باحاته المرغوب فخرجوا متوجهين الى بيوت السامرين

المسامرة الحادية والعشرون كتاب برهان الدين

ولما استقر قرارهم واطمان هم المنزل قال الانكليزي للشبح
ان غدا توجه البوستان الى مصر
فقال الشبح لاسمه ابر كتابك لوالدتك فاحرج له كتاباً
هذه صورته

حضرة الوالدة العربية المصونة . وحق المهد والذر الذي لا يقوم
مقامه الشهد وما غاني في السحر ما غاب شحصك عن خيالي ولا
حظر الحسلي عك مالي بل مد فارتك لم ترقاً لعيني دبعة ولم

هذه قلبي لوعة ولم اجد لعيني في النوم قراراً ولا لقلبي راحة
 وكنت قبل ذلك اجهل الفراق والله لجهلي باحواله ومشاقه وكنت
 اذا قرأت في بعض الكتب واطلعت على ما قيل فيه من شعر
 العرب وغيرهم اراني لا اخوق له معنى ولا اهم ما يراد منه بل
 كان يمر بي ككلام الساهي او اللاعب اللاهي الى ان تبين
 الحمر بالعين وارتفع الشك فدفقت مرارته ووقعت في بحر هوله
 غريباً

شكا الم العراق اللاس قلبي * وروع بالسوى حمي وميت
 واما مثل ما ضمت صلوعي * فاني ما سمعت ولا رايت
 فصرت اردد في الاسحار قول من تناولته يد الاسفار
 احابنا لو لقيتم في اقامتكم
 من الصيانة ما لاقيت في الظن
 لاصح البحر من انفسكم يسا

كالر من ادمي يشق بالسفر
 وما رادني فلماً وشجوناً وأرقاً ما اراه في عالم المال متارة اراك
 تعاقبي وتسلبي وتارة اراك نائمة عن شمالي وتارة عن يميني وتارة
 اري انك تصحبي وتارة اري كأن الرياح اشتدت والأمواج الى
 الحوف دامت وإن الحق تعالى على حلقه غضب وكان السماء
 تمطر ماء كافوا القرب وحن في المرك لا سمع الا انبأ واستغاثه
 وحيثاً وإن الحال قد تقطعت والقولع ثمرقت وانتقلت المرك

وغرق من بها فارى نفسي على خشة وكان الامواج تدعني الى
جريرة وكان اقواما اخذوني وهما يقتلي فاقوم من الفراش على قدمي
فاستعيد بالله واسئل ثم اعود ثانياً بقصد الرقاد فما ارى الحال الا
في اردباد ولم ارل هكذا كل ليلة الى الصباح فعي ليلة رايت ما
رايت وتوجهت الى والدي وقلت يده فعلم اني لم اغتصب سوم
فسالي عن حاله فاحبرته بما وقع لي طول ليلتي فسكن روعي
وطيب خاطري بكلام رقيق اروي لك منه ما امكني حفظه قال
ما بيع عك داك وبيك التحيلات والاحلام ان تستحصر
وات على الوسادة ان حالة اهلك احسن من حالة كثير من
العباد ولا تنظر لما في الاسفار من المشاق الوقتية والمصاريل انظر
لما يعتب ذلك من النفع العائد عليك وعلى اهلك فان ذلك
يغير ما عندك من الانفعالات نضدها واصرف افكارك الى ما
يسليك ويجلب لك السرور ويسهل لك معاناة الشدائد ثم عطف
واحد يورد على سمعي من الحكم والمواعظ ما اساني هي وارقي
تلك الليلة فقال يانني كن في جميع احوالك كامل العقل متسماً
سمة اهل العلم والعصل واشتغل بها بعبك متخافاً عما يشينك
وبعبك قائماً بها يجب للناس من توفير كبيرهم وملاطعة صغيرهم
متخلياً بصمات اهل الكمال متخلياً عما يزرني بك من الاقوال
والافعال واباك واصحاب الشهوات والاخلاق الدميمة ولد من
يصلحك حاله ويرشدك الى الخير مقاله وغد قلبك ثمرات العلوم

كما تغدي حبلك بها تستطيع من المشروب والمطعم ولا تكن لكل ما تطلع عليه اسير التقليد كمن ظن الورود وهو عن الشط بعيد ولا تغتر بمجلاوة الالفاظ وكل لفظ له باطن وظاهر ولا ينف على العرق بينهما إلا اللب الماهر فما كل ما يعلم يقال ولا كل ما حس ظاهره يقل على كل حال بل نارة يوافق الصواب فيمدح ونارة يصل عنه فيستفح ولا ترو شيئا من غير دليل فتكون كمن يطب غيره وهو عليل ولا تثق إلا بما ترى فائدته نديهة ومسخه عمومية ولا تتبع المقاصد الشخصية والموائد الدائنة الوقتية وكن غالب وقتك مستعيذاً فما وافق رأيك فاحظه وما لم يوافق مدحك فالهطه واعلم ان غالب هم الناس تخيلية وتصورات وهمية مشأها امور طرأت عليهم ولم تكن من قبل ما لوفه فلعدم علمهم بكيفيةها يصورونها في انفسهم بصورة غير صورتها ولجهلهم باسمها يلبسوها ثياباً غير ثيابها فتظهر لهم في الصورة التي رسموها وتكرر في اعينهم على قدر الهيئات التي لها وسموها فتتمكن من مخيلتهم وتحل في وجودهم كحلول الروح في الخسد تشتعل جميع الحواس بها ويحول الفكر بكيئته نحوها وعد ذلك لا يرى الانسان غيرها فان كان ما تخيله حيراً عظم عدده شيئاً فشيئاً حتى لا يرى ان هناك اعظم منه وان كان شراً رأى انه فوق ما يتصوره المتصورون ويقدره المقدرون وانه لم يتقدم مثله لاحد من ابناء الزمان وانه ليس في الامكان ادع مما كان فيكون حره وفرحه في التندريس

بمقدور ما توهمه في الحالين ومن تكرار هذه الصور في القوة المحيطة
 تترايد حتى تظهر لصاحبها كأنها من حملة الأمور المرئية وتؤثر فيه
 كأنها حقيقة وإن كان التأثير زائداً عن الطاقة فتح منه مصارح حسيمة
 أما في العقل فيعطل وإما في الجسم فيعطل حتى أنه في بعض
 الأحيان يرى الموت وكأنه قد كان ما رايت في نومك من التمثيل
 ليس إلا من هذا القبيل لأن العراق امرست معتاده فصورته في
 نفسك بصورة غير صورته فتارة رايت أن السفينة قد غرقت بين
 فيها وتارة رايت أنها رست على قعة من الأرض عامرة بالناس
 والاشجار فكانت هذه الرؤيا ما ظننته وفي يظننتك توهمته
 وكذلك رؤيتك لو الدتك وإخوانك وعماتك سببه تصور حرك
 لم ورغبتك في صلاح حالهم وحشيتك من فقرهم وفاقمتهم فلدلك
 رايت ما رايت من لهم تارة وبكائهم تارة أخرى في البيت فلو
 ضكرت فيما يحصل لاهلك والدتك وللحسين في عودتك لاسيما
 إذا راوك منجلاً محلل الأدب متصفاً بصفات أهل العلم والرب
 ولاحظت ما يصفونك به من العلم والورع والعفة وإحسان الدع
 مع ما تحوره من الشهرة فلا اظن أنك تقول بمنزل هذه الوسوسة
 بل يخلو قلبك منها ويدخل عليك السرور في الغدو والرواح
 وتعيش عبثة أهل التقى والعلاح الدس رموا أنفسهم في بحار
 تقديره ووكلا أمورهم إلى تصاريه تديره عالمين بأنه اللطيف
 بحالهم المحبر بما يصلح لهم في حالهم وما لهم وأعلم يا ولدي وقلدة كدي

ان من استغنى بعقله رل ومن تكبر على الناس ذل ومن خالط
 الاندال حرو ومن خالس العلماء وقرو من مزح استخف به ومن
 أكثر من شيء عرف به ومن أكثر كلامه أكثر خطأ ومن أكثر
 خطأه قل حياء واحذرنا ولدي اما وصلت الى والدتك وسألتك
 ماذا رايت وماذا رويت ان تقول لها شغلي حاك عن تحقيق ما
 رايت او معني شوقي اليك عن حط ما رويت او تفكري في
 حال عماتي واحواني الصغار شوش فكري انا الليل اطراف
 النهار بل قدر انك تقول لها رايت كذا ودرجه ورويت كذا
 ومهمته وما كفاني ما كت اتعلمه بالنهار بل كت اسهرتارة مع
 والدي وتارة وحدي الى الاسحار فعند ذلك تعظمك وتحلك
 كثيراً . فقلت يده واصرفت وعملت ماشارته فاطمن قلبي
 وشرح خاطري وصرت من ذلك الوقت الى الان مشغلا
 بالاستعادة مجتهدا في الاستعادة ومن تفضل الله علي اجتمعت في
 السفينة شخص انكليزي مع احد الملاحين له المام باللغة العربية
 فوقع بيني وبينه مريد الالة وارتفعت بطول الصخرة من بيننا
 اسباب الكلمة

المسامرة الفايه والمفروض

برهان الدين وصاحبه

(تتمه من الكتاب)

فصرت ارنع معه في رياض العلم واتمتع من موائده بها لم
اجد عه اعتياضاً فتششت بحال وده وتمسكت وتعطرت نظيب
احلاقه وتمسكت لانه فضلاً عن كونه يعلمني درسي في اللغة
الانكليزية قضيت معه ايام السعيه في مسامرات وحنت لها مره
اد كشف لي من الامور مغامها وحلا عين فكري بعد عماها فتارة
كان يحدثنني عن سائق اسناره وتارة يظرفني بحكايات ونوادير وتارة
يقحمي بالفاظ كامثال الجواهر وكنت قل ذلك لا آتمت لتنوع
اساليبه بل كان جل ميلي اليه لاجل التسلي به لكن رايت ان
جميع ما يحكيه لا يخلو من موائد اذا كان السامع نبيها فقلت في
نفسى لما لا اكتب ذلك عه واحفظ ما اسمعه منه وكل كتاب
حرره لوالدي يكون نصه من ذلك والعرض من فكري لتعلم
ما علمت وتنفع علي قدر ما حفظت وتسلي عيالي عن روية
دائي فصرت لا اسمع منه شيئاً الا كنتبه حتى جمعت من ذلك

حلة تصلح ان نسمى عند المسافرين بالرحلة وجعلتها كسفينة آخذ
 منها ما يلزم واحرره لك وها انا اسرد عليك بعض ما نقلته عنه
 واستفدته منه وايداً بذكر سبب معرفتي به وهو انه لما ازمعنا من
 الاسكندرية على الرحيل وصرنا بعيداً عن مياها بنحو ميل نظرت
 الى الساحل والمدينة فوجدتها بصغراً شيئاً فشيئاً كلما بعدنا
 وكنت لا استطيع صرف نظري عن هذه الجهة حيث انها مستط
 راسي حتى صرت لا اراها الا كنقطة سوداء في وسط ضباب او
 هلال شك في خلال سحب الى ان صرت لا انظر غير الماء
 والسحاب المسحور بين الارض والسما فكت ارفع نظري الى اعلى
 واتامل في قدرة الخالق ولا اعلم من شيء شيئاً وكنت ارى السحاب
 تارة يعدم وتارة ينقطع وتارة يكون متفرقاً ثم يجمع وتارة ارى
 سحابة صفراء ذات نقط ررق وحصر حلت محل سحابة بيضاء وتارة
 كنت ارى على سطح البحر في آن واحد حلة منها في اشكال وصور
 والوان مختلفة تنهر النظر وكأها تطوف حول اخرى ثم اراها حلت
 محل بعضها وتبادلت او احدثت في الناقص او تكاملت وبعد
 رهة من الزمن يتعدم ذلك كله كان لم يكن فكت اقلب طرفي
 الى الافق من جميع جهاته واتعه في استدارته واخلاف اشكاله
 وهيأته فارى الشمس ساطعة على وجه الماء لا يحجب نورها
 حاجب فعد ذلك ارى للماء الواناً لا حصر لها واذا كان البحر
 هادئاً والرياح في سكون رايت فيه من الصور والحيثات ما لا اراه

حين يكون الغيم أو تهب الرياح فارى تلك الصور تخرج مع بعضها
وتتعاقد ومنها ما يعلو بعضه بعضاً فما سئل يمر في جهة وما علا
يمر الى جهة اخرى وعند ذلك تسمع اصوات مختلفة كالبحرين تارة
وكالابن تارة وكل هذه الحركات يمدى اثرها الى السبعة فتارة
تتاهل مع اللطف وتارة تتحرك بقوة وعنف وتكون هذه اول سرعة
ركبت فيها البحر واول مشاهداتي للحائم هذه الامور كنت لا اتحول
من موضعي الا سداً والذي اما لتعاطي الراد او لتضاء الحاجة او
للرقاد وكنت اظن انه لو تركني وشائي لكنت اقضي الليل والنهار
في مشاهدة هذه الآثار فينما انا اتأمل في اسرار هذه الآيات التي
لا يحيط بعلمها الا عالم الخفيات واذا رحل من ملاحى المركب
يقول لي بلغني ما رايت في سر العروما هذه العرلة عن الناس
فقلت له ايها اسلم واشرف واحسن شيء والطب اد تجعل الافكار
متجهة الى التأمل في عظمة الخالق وقدرته وتعين الاساس على
معرفة مدبع صاعته فمن اين لك بمعرفة لغتنا ولست من جهتنا
فأس لي جلي امرك واصدقي فقال اني تحصلت على علم العربية
باربع سنوات من عمري قضيتها في الاسر والعبودية عانيت فيها
انواع الاهوال من الدل والاهانة ومشاق الاحوال وسأشرح لك
قضيتي ان طالت معك صحتي لكن سبت الان اكثر ما علمته
لعدم المسامرة فيه مع اهله لان كثرة اسفارنا كانت للملاد غير ملاد
العرب ومن وقت تحولي الى سعن الكومانية المحصنة لجوب جهة

مصر والجمعات الشرقية اخذت في تذكاري ما نسبت فان اردت ان
 اعلمك لسان الانكليز وتعلمني اللسان العربي كان ذلك مامولي
 وغاية اربي مرغبت في ذلك لوجهين الاول ان يكون سميري
 فانسلي بما ينقله من سائق مشاهداته والثاني ان اعلم اللغة
 الانكليزية من غير تكلف وما حملني على الميل اليه كون والذي
 مع صاحبه الانكليزي دائما في محادثاتهم العلمية فلذلك قبلت
 قوله لما فيه من الفائدة لي وله

فصرت اعلمه ويعلمني واظن ما استفدته منه أكثر ما استفادته
 مني كما سهرته وتيقنت ان ذلك سر دعاء والذي وبركة رضاها
 علي ولو ان كلام والذي فيه اكتفاء لكفي كنت لا ادري الطريق
 الموصلة الى معرفة ما ارشدني اليه فعرفت من حين عرفت هذا
 الرجل لانه كشف لي عن امور كثيرة كنت اجهلها ومن عباراته
 المشوقة وحسن لفظه اشتغلت بكتابه بما كان يلقيه وحفظه
 فوصلت الى درجة لم ادر مبلغها وكنت ملارما له لا يفصل داني
 من ذاته الا اداة ما عليه من خدماته فانقصت مدة الحر على احسن
 حال وهو باق معا الى الان

فاتق ان شاهدي ذات يوم وانا انظر الى البحر وتعجب من عطشه
 وقدره مدبره واذا به قد نهني بيده وقال لي فيم اطلت العسكر
 فقلت له في عظم هذا البحر فقال لي ليس هذا هو البحر لانه وان
 كان عظيما لكنه صغير جدا بالسنة لغيره من البحار اذ هو كحلول

من مهر او جعفر من بحر فقلت لا ريت ملأيا وطلب هدايك بحار
غير هذا تبسم متعجبا ونظرا إلى مستغربا وقال كاتيك لم يقرأ علم
الجغرافية فقلت وائي علم هذا فصيحك وقال هو العلم بسطح الارض
وهيئاتها في الطول والعرض وما فيها من البحار والمدائن والأنهار
وما اخص به كل بقعة منها واديان اهلها وكيفية حكومتهم وما هم
عليه من الاحلاق والاحوال وغيرها فقلت له لم اسمع بهذا الا
مك ولم اروه الا عك فقال كيف هذا مع ان العرب هم الدين
دونوه واسسوه افتراهم الان تركوه وسوه مع ان معرفته عبد جميع
اهل الاديان من اهم الواحات على كل انسان اذ به يعلم ما على
الكرة من المخلوقات ويقف على حقيقة كثير من الكائنات وبدونه
تكون معرفة التاريخ عسرة ثم قال فادأ يكون علم التاريخ عذكم
منقودا فقلت له لا الا انا لا يجعله من الامور الضرورية اللازمة
الى نفعه من ضمن القصص والاحار اذ ليس علما يحتاج
الى معلم فيعكس ان يقرأ الانسان من نفسه فلما سمع ذلك مي
عس واعرض وطاطا راسه الى الارض وسكت مليا ثم رفع راسه
وقال الان علمت سر تهقر الملة الاسلامية وسب صعب اهل
البلاد الشرقية وهواها لما تحورت علم التاريخ بمدارسها رال من
بين رجالها معرفة سير الما صين الدين كانوا سنا في سطوتها وعظم
نطشها ويمكن قوتها وحيث لا قوة للملة الا تقوى رجالها ولا تكمل
قوة الرجال الا بالعلم كان ترك علم التاريخ وباقي العلوم ما

يضعف قوة الملة ويضيع شهرتها ويجعلها تحت أسر غيرها فيجور عليها ويدلها واعلم يا ولدي أن من التاريخ جم الفوائد عزيز الفرائد
 إذ هو يوفى على أحوال الماصين من الأمم في أخلاقهم والآنياء في
 سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى يقتفي أثرهم من يروم الاقتداء
 بهم في أحوالهم ألا أنه محتاج إلى ما حد متعددة ومعارف متسعة
 وحس نظر وثبت يفضيان بصاحبها إلى الحق لأن الأحرار إذا
 استند فيها على مجرد النقل ربما لا يأمن فيها من مرة القدم ومسعة
 علم التاريخ عامة للخاصة والعامة وهو مشير كل أمير وأمير كل
 مشير وسفير كل وزير وظهير كل سفير إذا سئل عن حذر أحاب
 وأبدى فيه العجب العجائب تتراح به الأرواح الفاضلة وتبيل إليه
 النفوس الكاملة من الحكماء والأساطين والملوك والسلاطين وهو
 مرآة الرماح ولا حار الماصين كالترجمان فكيف فيه من حوادث
 وأمثال به تقع على ما كان عليه أنا وما أحادها ومشاهير كل
 أرض وأمة والحوادث التي مرت بين الأمم وبعضها والفتن التي
 أوحشت انقلاب القناع بآهله وبرى الأمم وأحوالها والأمراء وأفعالها
 والعلماء وأقوالها وما مر على الخلق من حير فإوجب تقديمهم وتبهرتهم
 ومن شرف فإوجب فقرهم وفاقتهم فلم يترك سيرة ملك إلا أحصاها
 ولا أحوال رعية إلا استقصاها هو حراة الحوادث كل أحد بأحد
 منه ما يلزم لصعته فيأحد منه المحاهد ما يلزم للجهاد والعالم ما
 يريد به شرفه بين العباد وصاحب الحرفة ما يزيد الرغبة في صعته

فهو اليسوب لكل من والمفتاح لكل اثر حسن وغير حسن فاحذ
 منه ما يلزمنا فعلم الممدوح فحبه والمدموم فبجسته هو المسع والاصل
 لاكتساب حل الفضل والمحسن المانع من غوائل الجهل واهم
 شي يجب تدريسه بالمدارس والمكاتب لتنبه ابناء الملة على صفات
 الكمال ويرعبون في اكتساب تلك الصفات ويحورون بها اعلى
 الدرجات فيعلمون صفات الانطال وما حاروه من الشرف عد
 النزال لمهامهم عن اوطاسهم ويطلعون على صفات الصالحين
 الذين اورثوا ملتهم ثمرات علمهم وعلمهم فيتعودون من الصغر على
 الاتصاف بصفاتهم والافتداء بفاعلم ولا يكفي ان نتعلم الاطفال
 كيفية الثروظم الشعر واصول الكلام بل اهم من ذلك
 اكتسابهم حب الوطن وتربيتهم على ما سبق من حوادث الرمس
 حتى يكونوا مثالا وقوة ومن العريب انا برى اغلب الخلق
 يرعون في الاطلاع على سير مختصة وحرافات واكاديب ويحوي
 ذلك من الاساليب ولا يعلمون لمن اشتهر من ابناء جسمهم اثرًا
 ولا يروون عنه حبراً فنراهم يجهلون سير المشهورين من ابناء ملتهم
 ولا يعرفون نسبهم ولا جسمهم ويعتصون بمعرفة من مات من مد
 آلاف سنين اكثر من اعضاءهم بسنة اقارهم وجسمهم والمتصرف
 في امرهم ويرعون في معرفة البلاد البعيدة ولا يعتصون بمعرفة
 ارضهم وارض المدينة القاطنين بها
 مجلبت من كلامه وتميت ان تكون تربيتي حسب مرأه

فحين رأى ذلك مني أراد ان ينهب المجمل عني . فقال لا بأس عليك فإنه لم يهتد نفسه احد وليس التقصير من قبلك وإنما اللوم واللعنة على من نصت له اعلام الهداية وهو ينظر فلم يزل عليها وبانت له غاية الرشد فلم يسلك نفسه واتاعه اليها وعلم فوائد الترية فلم يطلبها واعطى كواكب الجوارح فلم يرسلها وظهرت له الفضائل فلم يكسبها من كافل ارتقى وساد الراحة وقعد به الكسل وهو يرى نجاحه وامير اخمد همه الاغفال واخمل ذكر مساعيه الاهمال وكل راع عن رعيته مسئول وكل طالب مأخذ الحيرت عليها مدلول

فقلت له نصحت فابلغت وسمعت فوعيت فلك الشكر على ما اعدت واسأل الله ان يبلغني بك ما قصدت فلقد دلت طالما وبهت دائماً وعرفت محمولاً وابلت مشغولاً وفتحت لي ابواب الطلب وشددت يدي منه ناقوى سبب وتركتني انظر الامر بعين ما كنت انظرها فلقد استي بمصر مدارس لتعليم الشان اظن ان العمل جار فيها على ما وصفت ومسلوك ناسائها في التعليم والتربية الطريق التي اوضعت

فقال ان صح ذلك فقد طابت اعمالهم وتساقت في رضاهم امالم واستحق ولانها الثناء الجميل واستفادوا من الملك الاعلى الجراء الجليل وانا ان شاء الله تعالى لا ألوجهداً في ارشادك وتليغك من المعرفة الى مرادك ان طاب مقامى وبلغت مرامى فقلت له

ما مرارك ومَ يطيب مقامك باطرق اطراق الحزين حتى سمعت
من صدره بعض الانهيب ثم رجع واسبه مصعداً انفاسه وقال
الاسباب مبتغى ولا عيب على الزمن فقد الحاتني الضرورة الى
الاحتراف وترامت بي الحاجة فما تراه من الاعتراف فليس لي
امنية غير سكنى الارض القارة ولو قدرت ما ائتت هذه المنازل
الكاره القارة فان بلغت مقصودي بذلك في تربيتك محمودي
وارجوك ان تسأل حضرة الوالد ان يكلم صاحبه في امري وانني
ارغب الدحول في حملته والتمكن من الإقامة بخدمته فوعده
بذلك واقبلت عليه مستفرحاً بالسؤال مكنون ما لديه صادر
بالاجابة وقال ان شئت جعلنا اول مسامرة بيننا كلاماً احباباً
من علم الجغرافيا فيما يتعلق بهذه الارض التي هي مسكنا يكون
كالمقدمة المشوقة الى الاعناء تعرف تفاصيل ذلك العلم النفيس
وعند بلوغ المقصود ان شاء الله تعالى تحصل على ما يلزم لك من
الآلات التي تجعلك بالظرف فيها عند التعلم كانتك تنظر من
مكانك الى جميع بقاع الارض وبجارتها وامهارها وجمالها فظهرت
الابتهاج بحسن نيتي واثبت على لطف اخلاقه وحسن عيونه
واخذت القلم لاكتب ما يليه لا تذكر ما اسمعه منه واعبه فلم يطق
بكلمة الا كتبها ورايت ان اثبت ذلك في هذا الكتاب الذي
سطرته لكي ادخل السرور والاطمئنان على قلب اشفق الناس
علي واميلهم لايصال كل خير الي لي زيد سرور والنتي بها حصلت

عليه من المعارف ولتأخذ في تتبع افكار اخوتي بما يكون محمود
العاقبة لها ولاولادها ان شاء الله تعالى فاني علمت انه ليس انفع
من طرح بعض المعارف الاولى في ادهان الصغار فانه يكون
كالنمر يلقى في الارض النقية يرجي ان تظل اشجاره وتجنني باطراف
الانامل ثماره وما علي ان يطول المكتوب اذا اشتغل على اجل
مرعوب ومطلوب

المسألة الثالثة والعشرون

الجمهورية والاربع

(نعمة من الكتاب)

قال يعقوب يائي كان الناس في سالف الزمان يعتقدون
في اكثر الامور خلاف ما هي عليه فمن ذلك امر الارض فان
الناس كانوا يعتقدون انها قطعة بسيطة كالصحيفة ذات شكل
مربع او مثلث وسمك بالغ ما بلغ الى ان جاء المحكم المشهور
ارسطو فقال ان الارض كسائر الكواكب على شكل الكرة

وبرهن على ذلك وما زال الناس مشغولين بهذه المسألة حتى
 صار العلم يكون الأرض كرة من قبيل العلوم الضرورية الآن
 فيها نوع انحناء من جهة قطبها فهي كالبطيخة . وقطباها
 عبارة عن القطبين اللذين أحداها بمنزلة عنق البطيخة
 والأخرى بمنزلة ما يقابله منها والدائرة العظمى التي تقسمها
 نصفين فيما بين القطبين تسمى خط الاستواء لكونها تحاذي
 الشمس في السنة مرتين فيستوي عدد ذلك الليل والنهار
 وموقعها من الفراغ على بعد (٠ ١٠٢٨٨٨٢٥) ميريامتر
 من الشمس ويتم دورتها حول الشمس في ثلث مائة وخمسة وستين
 يوماً وخمس ساعات وثماني وأربعين دقيقة وتسع عشرة ثانية
 ويتم دورتها على نفسها في أربع وعشرين ساعة وقدر نصف الخط
 الواصل بين قطبها ٩٤٣ ٦٢٥٥ متراً وقدر نصف قطر دائرة
 الاستواء ٦٢٧٦٨٥١ متراً ومساحتها ٥٠٩٨٨٥٧ ميريامتر
 مربع (والميريامتر) كلمة أفريقية معناها عشرة آلاف متر وهي
 عبارة عن ٢٨٢٣ قصة وحجمها ٠ ٨٢٦٢٤ ميريامترمكعب
 وتنقسم من المركز إلى السطح بالنظر للمواد التي هي مركبة منها إلى
 قسمين الأول القسم المركزي وهو ما قارب المركز نصف قطره
 (٥٦٠) ميريامتر والثاني القسم السطحي وهو القشرة الباقية وهي
 ما فوق القسم الأول إلى ظاهر سطح الأرض ويختلف سمكها من
 اثنين من الميريامتر إلى أربعة مائة فاما القسم الأول فإن الناس

وإن لم يصلوا الى رؤية شيء منه التفت اليهم - بحثوا فيه وتكلموا
 عليه وتطلبوا معرفته بالفكر والظن العقلي والاستدلال ببعض
 الامور الارضية كالمياه الحارة النابعة من جوفها وحال النار
 والزلزل وغيرها فقالوا ان ذلك القسم جميعه معدني شديد
 الحرارة ملتهب مائع واما الجزء السطحي هو ايضا وإن لم يتعمق
 الانسان فيه ريادة عن ستائة متر الا انه علم تركيبه من المواد
 المتدوفة من امواه جبال النار المعروفة بالبراكين ومن تركيب
 طبقات الحمال الشائعة والحمل الذي ارتفاعه ثمانية آلاف متر
 مثلا يدل على تركيب عمق من الارض قدر ذلك الارتفاع وعلى
 اي حال هذا الجزء السطحي من الكرة عبارة عن طبقات متوالية
 مختلفة التركيب والسمك والاتجاه وقد قسم علماء فن الجيولوجية
 (اي علم طبقات الارض) هذا الجزء من الكرة الى طبقات سموها
 كل طبقة منها باسم مخصوص وتفصيل ذلك في كتب الفن
 المذكور وانما الذي يلومنا الان هو ان تعلم ان سطح الكرة ليس
 مستويا وإن به محال مرتفعة عن الماء حارحة عنه وتسمى اليابسة
 والقارة ومحلات منخفضة مغمورة بالماء وتسمى البحار وهذا الارتفاع
 والانخفاض اما لاسباب قوية اترت في بعض اجزاء الارض مخفضتها
 واما لقوة فعالة قدعت البعض الاخر ورفعته فحصل ما تراه من
 الارتفاع والانخفاض وعلى كل فالمرتفع من الارض اعني القارة هو
 المسكون وينقسم الى سهل وجبل وحزيرة وشبه جزيرة وغير

ذلك والمختص منها ينقسم ايضا الى بحر وخليج وبحيرة وغير ذلك
 وسعة الارض اليابسة ١٢٦٦٢٩٩ ميريامتر مربع وسعة البحور
 ٢٨٥٢٠٥٥٨ ميريامتر فجميع الارض اليابسة لا تزيد عن ربع
 سعة البحور تقريباً ولكل من البحار والارض القارة تفصيلات
 وانقسام لها اسماء واصطلاحات ستعلمها فيما بعد ان شاء الله تعالى
 ولا حاجة لنا الى الكلام عليها الآن وإنما نقول ان الارض القارة
 كما ارتفعت عن البحر قد ارتفعت بعض جهاتها عن باقيها ما
 ارتفع منها ان كان كثير الارتفاع هو المحل وان كان قليلاً
 الارتفاع فهي الهضبة ومتى اتصلت الجبال بعضها وامتدت الى
 مسافات بعيدة قبل ما سلسلة جبال وقد يخرج من الجبل في
 بعض الجهات فروع تمتد الى انحاء مختلفة ويخرج من هذه
 الفروع فروع اخرى حتى تشغل الولاية تمامها ولا يد لكل جبلين
 من هذه بينهما اما صغيرة ويقال لها الشعب او كبيرة ويقال لها
 الوادي وفي هذه الوهاد تكون محاري الانهر والمحلمان فتسير منها
 حتى تنصب في البحار فبما ان الانهر من المحال ومصبتها في البحار
 ويوجد على سطح الكرة نباتات وحيوانات منها ما يختص
 بجهة ومنها ما يوجد سائر الجهات وهي تكثر كلما قربت من جهة
 خط الاستواء وتقل كلما قربت من القطبين والذي علم الى الان
 من اصناف النباتات قريب من ثمانين الفا وهي تنقسم الى قسمين
 الاول النباتات اللابرية وهي نباتات عذبة الفلقة العربية

كالشبية والمحشيش البحري والقسم الثاني النباتات البزرية وهي التي لها فلتة بررية كالخطة والحل . والذي علم من اصناف الحيوان قريب من مائة الف وقد قسمت الى اربعة اقسام القسم الاول الحيوانات الفقارية وهي التي لها هيكل عظمي كالاسان . القسم الثاني الحيوانات الرخوة وهي عذبة العظام من داخل ولها عطاء من الطاهر كالحمار القسم الثالث الحيوانات المفصلية وهي مركبة من كثيرة متحركة على بعضها كالعنكبوت الرابع الحيوانات الشعاعية وهي حيوانات تكون فيها قوة التركيب ضعيفة وهي تتركب من الساتات ولذلك تحسب واسطة بين الحيوان والسات ولا يعلم لها من الحواس الا اللمس وذلك كالاسف فانه اذا وضعت عليه اليد وهو في البحر انقص وانكمش وتحت هذه الاقسام انواع كثيرة واشرف جميع هذه الانواع نوع الاسان لانه يعيش في جميع قاع الارض فجميعها مسكنه ومحل سلطانه وهو وان كان نوعاً واحداً لكنه ينقسم ثلاثة اقسام الاول الابيض ويعرف بالقوقاسي نسبة الى قوقاس ويقال قوة قاف (كوه قاف) اي حل قاف وهو حل في بلاد الحر كس بين بحر الحر والبحر الاسود وهذا القسم يمتاز بياض اللون وحمرة الحد ورقة الانف وشمه وصيق الفم واستقامة الاسان القواطع وحسن استدارة الفم وليس الشعر وطوله واسترساله وكثافة اللحية وعلو المحمة ومنه سكان بلاد اوروا وسلم في امريكا وسكان عربي آسيا اي العرب والعرب

واليهود والسرخاب والنتار وهو في شمالي اوربا وأواسط آسيا
يندرج في القسم الثاني حتى لا يكاد يتنسب عنه وقد ائتمسب الي
قوفاس لان اهل تلك الواحي ابي الجراكسة والكرج احمل اهل
الدنيا واكمل هذا الاسم في صفاته المخصوصية القسم الثاني الاصفر
ويعرف بالمغولي نسبة الى المعول وهو قسم من التار ويقال اهم
في الاصل من جبال التائي في شمال الصين وهذا القسم يمتاز
بكونه اصغر البشرة مربع الخف مخروطي المحبة عريض الوجه
مفرطحه ناتئ الحدين اسود العينين صبيها مع ميلها الى الجهة
الوحشية صغير الانف افطسة خفيف اللحية اسود الشعر قليلة مع
المحشونة وهو اقصر قامة من القسم الاول ومه اهل الصين
والهند ويابان وشمالي اسيا وشمالي ملاد المسكوب في اوربا وشمالي
امريكا غير ان سكان امريكا المعروفين بالاسكيو لم تعلق بالقسم
الثالث حتى رعم البعض اهم حاج اختلاط القسم الثاني والثالث
القسم الثالث الاسود وهو يمتاز بسواد البشرة وله ثلاثة فروع
اولها الملقب نسبة الى شه جريرة ملقا ويمتاز باللون الرجولي
وسواد الشعر وغلارته مع حمودة قليلة وضيق الراس وكبر الانف
ومه سكان ملقا وجزائر المحيط وحريرة ماداغسكار ويقال انه
فرع من القسم الثاني المتقدم ثانيا اميركاني ويمتاز باللون الخاسي
وسواد الشعر واسترساله وحمه المحبة وانخفاض المحبة وارتفاع
عظم الحد وطول القامة ومه سكان امريكا الاصليون الذين

وجدوا في الهارتين الغربيين قبل وصول اهل اوربا الى هناك
 ثالثها الزنحى ويمتاز بشدة سواد البشرة وجعودة الشعر وسواده
 وقصره وانخفاض الجبهة ومقدم التحف وفطس الانف وعرض
 الحذ واتساع الم وضحامة الشفتين وبروز الم على هيئة المخروط
 ويأص الاسنان ومه أكثر سكان الاسط امريكية وجوها وهذه
 الاقسام في بعض الجهات قد امتزج بعضها ببعض وتبع من ذلك
 فروع عديدة يتعسر احاطها باصولها والاسان وان شارك غيره
 من الحيوانات في كثير من الصفات الا انه اخص بامور كثيرة
 منها حسن الصورة واعندال القامة والتسلط على ما في الارض
 والتمتع به والتمكن من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يحيط
 به نطاق العبارة واعظم مميزات العلوم والادراكات بما ركب فيه
 من القوى المبركة التي بها يبر الحق من الباطل والحسن من
 القبح فيعلم بافكاره جميع احيائه ويعبر عنها بالطق والتكلم
 حينئذ هو الآلة التي تسوق الجمعية البشرية الى الكمال وتقام
 الآلة وحسن الحصول

المهارة الزاجية والمشرقية

المصاحفية

(نبع من الكتاب)

وجميع أفراد الموع المشوي، ماثلون بالبطرة، الحد تتخيم
الحلالي سبحانه لكن منهم من استدل فاهدي ووصل ومنهم من
أعطى طريق الصواب فضل وأصل، ويتم الحلقي بحسب
الاعتقاد إلى قسمين وكل قسم تحته طوائف ومذاهب كثيرة
الضم الأول من يقول أن الإله المعبود لا يكون إلا واحداً
في ذاته وفي صفاته وإن العبادة لا تكون إلا له
الضم الثاني من يقول تعدد الآلهة، وتحت هذا القسم فرق
متعددة:

الأول جعلت لبعض الكواكب تأثيراً معبودها ولكن ذلك
كثيراً فخير الإله العاقلة ولا يوجد الآن إلا عدد القليل
الثانية جعلت صفات الظاهرة لبعض مخلوقات آخر فعبدها
وهم المجهلون من الإله السامعون وقد انقطع أثرهم بالكلمة
الثالثة تقول إن الإله يظهر في صور متعددة ملوكة وبشرية

وحوائية وم البراهمة باسيا ومن هذه الفرقة من يعتقد ان الاله عبارة
عن متسع في الجو يجتمع فيه ارواح المخلوقات وفيه مجتبع اهل السعادة
الذين تحرروا عن المادة وانهم ينزلون الى الارض في صورة بشرية
يظهر النوع الشري من الاورار ويسمون هذه الارواح (بوضا)
وعدد هذه الفرقة اكثر من مائتي مليون

الرابعة وان لم يتحقق لنا اعتقادها الا انها تميل الى تعظيم المادة
وهي بعض سكان اسيا من جهة المشرق . فاما القسم الاول فيقسم
الى ثلاث طوائف الاولى العبرانية وهذه لا تصدق الا بما جاء به
موسى وانبياء بني اسرائيل ويتظرون المسيح وعدد هذه الطائفة
قريب من اربعة ملايين وهي متفرقة في جميع شاع الارض . الطائفة
الثانية العيسوية يقولون بما انزل على موسى والانبياء وبما انزل
على عيسى م مريم وقد انقسمت هذه الطائفة الى فرقتين الاولى
التابعون للكنيسة الكاثوليكية الرومانية وعددهم قريب من مائتي
مليون وهم باوروبا من جهة الشمال والثانية التابعون للكنيسة
الرومية وهم باوروبا من جهة الشرق وعددهم ستون مليوناً تقريباً
ولا فرق بين الكيستن الا في بعض عقائد دينية وكون البابا
نائماً عن المسيح اولا وينقسم اتباع الكنيسة الرومانية المذكورة الى
قسمين كاثوليكية ومعتقدم ان البابا هو رئيس الديانة فيعتقدون
صدقه ويقتدون به في فعله وعددهم مائة واربعون مليوناً والثاني
الرونسطانت وهؤلاء لا يقولون الا بما في الانجيل وعددهم ستون

مليوناً ويحيزون زواج القسيس ولا يقولون بالصور والتماثيل
 بخلاف فرقة الكيسة الاولى وكذلك فرقة الروتستانية تنقسم الى
 مذهبين احدهما اللوتيري نسبة الى واضعه لوتير والثاني الكلفيني
 نسبة الى واضعه كلفين واهل المذهب الاول يقولون بحضور
 عيسى حقيقة في العشاء الرباني وهو عدم عبارة عن خبر ونيد
 يقدمها الكاهن للناس بعد التقديس ويقولون انها يستحيلان الى
 جسد المسيح ودمه بل الى لاهوته ونفسه الناطقة واهل هذا
 المذهب يقولون تفاوت درجات القسس بخلاف اهل المذهب
 الثاني

الطائفة الثالثة المحمدية قال وانت اعلم بتعديتهم واصول
 دينهم ومذاهبهم وفرقهم فلا ينبغي لي ان اشرحهم لمثلك وانما احب
 ان اسمع منك ان نشطت شرح بعض امورهم فقلت نعم الملة
 المحمدية هي دين الاسلام وهي منية على التصديق بما حاد به
 نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد افترقت وانقسمت كغيرها
 حسبما احمر به صلى الله عليه وسلم الى ثلاث وسبعين فرقة منها
 الفرقة الناجية وهم الذين على ما كان عليه رسول الله واصحابه
 وقد كان المسلمون عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على عقيدة
 واحدة وطريقة واحدة الا من كان يظن المعاني ويظهر الوفاي
 ثم نشأ الخلاف فيما بينهم اولاً في امور اجتهادية لا توجب ايماناً
 ولا كفرًا وكان غرضهم منها اقامة مراسم الدين وادامة مناهج الشرع

القوم في ذلك كاختلافهم في موضع غنمته بمكة لو المذمومة فهو المذموم
حتى يحتجوا ما روي عنه من أن الأسياء يدفعون حيث يتوتون
فدفعوا بالمذمومة وكاختلافهم في الأمانة وما جرى في وقعة الجبل
وصنبن ثم اختلافهم أيضا في بعض الأحكام الفروعية وكان
الخلافا يندرج ويترقى شيئا فشيئا إلى آخر أيام الصحابة حتى ظهر
بعد المجتبي وخيلان القميشي ويونس الأسواري وخالفوا في
التدريج أساس جميع الأشياء إلى تقدير الله ولم يزل الخلاف يشعب
والآراء تفرق حتى تفرق أهل الإسلام وأرباب الممالات إلى
ثلاث وسبعين فرقة كما ذكروهي ترجع إلى فرقى كبيرة

الفرقة الأولى المعتزلة أصحاب وأصل بن عطاء كان في مجلس
الحسن البصري فدخل رجل فقال للحسن يا امام الدين ظهر
في زماننا جماعة يكفرون صاحب الكبيرة (يعني جماعة من
المخوارج) وجماعة أخرى يرحنون الكبائر (يعني المرجئة) ويقولون
لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة فكيف تحكم
لنا ان هتقد في ذلك فتفكر الحسن وقبل أن يجيب قال وأصل
انا لا أقول ان صاحب الكبيرة مؤمن ولا كافر ثم قام إلى اسطوانة
من اسطوانات المسجد وأخذ يهرق على جماعة من أصحاب الحسن
ما اجاب به من ان مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر وثبت
له المنزلة بين المنزلين فقال الحسن البصري قد اعتزل عا وأصل
فلذلك حتى هو واصحابه معتزلة وهم يقولون ما ان المتقدم الحص

وصف الله لا يشركه شيء ذات ولا صفة ويقولون: الصفات الزائدة على الذات ويقولون بأن كلامه مخلوق محدث وبأنه غير مرئي في الآخرة إلى غير ذلك

الفرقة الثانية الشيعة هي الذين شافوا علياً رضي الله عنه وكرم وجهه وقالوا أنه الإمام بعد رسول الله بالنص أما علياً وأما حشياً واعتقدوا أن الإمام لا يخرج عنه وعن أولاده وإن خرجت قاطباً بظلم يكون من غيرهم أو بشفة من أولاده

الفرقة الثالثة الموحدة ومنهم الذين خرجوا على علي عند الحكم وكفروا فسموا المحركة وهم اثنا عشر رجلاً قالوا من نصب من قريش وغيرهم وعدل هو امام ولم يوافقوا نصب الإمام وكفروا عثمان وأكثر الصحابة ومرتكب الكبيرة

الفرقة الرابعة المرحمة لقولهم لا لهم برحون العمل عن الية أي يؤخرونه في الرتبة عنها وعن الاعتقاد أو لانهم يقولون لا يقع مع الإيمان طاعة كما لا يضرع الكافر معصية

الفرقة الخامسة النجارية أصحاب محمد بن الحسن النجار وهم يوافقون أهل السنة في خلق الأفعال وإن العدد يكتسب فعلة ويوافقون المعتزلة في نفي الصفات الوجودية ونفي الروية وحدث الكلام

الفرقة السادسة المحرقة قالوا أن المعبود مجبور في أفعاله

ومنهم المجهمية اصحاب جهم بن صفوان القائلون بان العبد لا قدرة له اصلاً ولا مؤثرة ولا كاسة وهو بمنزلة الجهادات فيما يوحد منها

الفرقة السابعة المشبهة بشبهوا الله سبحانه بالمخلوقات

الفرقة الثامنة الناحية وهم اهل السنة والجماعة الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذين على ما انا عليه واصحابي ومذهبهم خال عن بدع الفرق المتقدمة وقد اجمعوا على حدوث العالم ووجود الباقي سبحانه وانه لا خالق سواه وانه قديم متصف بالعلم والقدرة وسائر صفات الحلال لا شبيه له ولا صد ولا بد ولا بخل في شيء ولا يقوم بذاته حادث ليس في حيز ولا جهة ولا يصح عليه الحركة والانتقال ولا الحمل ولا شيء من صفات النقص مرئي في الآخرة ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن عني لا يحتاج الى شيء ولا يجب عليه شيء ان اثناب مفضله وان عاقب مفعله لا عرض لعله ولا حاكم سواه لا يوصف فيما يفعل او يحكم مجبور ولا ظلم وهو غير متبعض ولا له حد ولا هاية وله الريادة والتقصان في مخلوقاته والمعاد المحمدي حق وكما المحارة والمحاسة والصراط والميراث وخلق الجنة والنار وحلود اهل الجنة فيها والكفار في النار ويحور العموعن المذنبين والشناعة حق ونعثة الرسل بالمحركات حق من آدم الى محمد عليهم الصلاة والسلام واهل بيعة الرضوان واهل بدر من اهل

الجنة والامام يجب نصه على المكلّنين والامام الحق بعد رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ولا تكفر
 احداً من اهل القبلة الا بما فيه نفي للصانع القادر العليم او شرك او
 انكار للسوة او لما علم بحقيقته عليه السلام ضرورة او لمجمع عليه
 كاستغلال المحرمات واما ما عداه فالفائل به متدع غير كافر
 وهذه الملة الاسلامية اعمال بدنية واعمال قلبية وواجبات ومحرمات
 ومنذوبات ومكروهات فالبدنية ترجع الى خمس حاصل شهادة
 الا اله الا الله وان محمداً رسول الله واقامة الصلاة واتمام
 الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله والقلبية مرجعها الاحلاص
 لله عز وجل في القول والعمل والواجب مثل ما ذكر من الاعمال
 ومثل اداء الامانات والانفاق على ما تلزم نفقته من الاهل والعيال
 والمحرم مثل الغش والغيبة والخبية والحمد والمحمد والاضرار
 ما حد في نفسه او عرضه او ماله الا بحقه والمندوب مثل اصطناع
 المعروف وانظار المعسر والمكروه مثل احفاء عيب في سلعة لا يلزم
 به ردها ونحو ذلك منه نذرة اجمالية من احوال هذه الامة
 والتفصيل يحتاج الى التطويل واريد ان تعود الى تنعيم ما بدأته
 من الكلام فما المعروف الا بالتمام

المسامرة الخامسة والمفردون

الاسان وهناء الاجتاج

(عمدة من الكتاب)

فقال نعم قد قدما القول على اقسام نوع الاسان وديانته
 بما اساقى به القول الى هذا المقام والان تقول ان هذا النوع
 الاساني من طبعه حب الالفة والميل الى الجمعية ولذلك يقولون
 الاسان مدني بالطبع اي لا بد له من الاجتاج الذي هو معنى
 المدنية في اصطلاحهم وبيان ذلك ان الله تعالى خلق الاسان
 وركبه على صورة لا تناء له عليها الا بالغذاء وهذا الى التماسه
 سطرته وتحصيله بما اودع فيه من فكره وقدرته الا ان قدرة الواحد
 من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته وغير وافية بما يلزم لمادة حياته
 ولو فرضنا اقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الخبطة مثلاً فلا
 يحصل الا بعلاج كثير من الطحن والعجن والخبز والطبخ وكل
 واحد من هذه الاعمال يحتاج الى مواعين كثيرة وآلات لا تم الا
 بكثير من اهل الصاعات كالمحذاد والحجار والمأخوري وغير ذلك
 ولو فرضنا انه يأكله جاً من غير علاج هو انضاً يحتاج في تحصيله

حياً الى اعمال كثيرة كالزراعة والحصاد والدرس الذي يخرج
 الحب من غلاف السنبل وكل واحد من هذه يحتاج الى آلات
 متعددة وصنائع كثيرة اكثر من الاولى ومن المستحيل ان توفي
 قدرة الواحد بذلك كله او بعضه محبته لا بد من اجتماع القدر
 الكثير من اساء جسمه فيحصل بالتعاون قدر الكفاية لاضعافهم
 وكذلك يحتاج كل واحد في المدافعة عن نفسه الى الاستعانة باسائه
 جنسه لان الله سبحانه وتعالى لما ركب الطباع في الحيوانات وقسم
 القوى بينها جعل حظوظ كثير من الحيوانات اللحم من القوة
 اكمل من حظ الانسان فقوة العرس مثلاً اعظم من قوة الانسان
 بكثير وكذا قدرة الحمار والثور وقدره الاسد والذئب اضعاف قوته
 ولما كان العدوان طبيعياً في الحيوانات جعل لكل واحد منها
 عضواً لدفع ما يصل اليه من تعدي غيره وجعل للانسان عوضاً
 عن ذلك كله الفكر واليد فاليد هيئة للصانع خادمة للفكر
 والصانع تحصل له الآلات التي تنوب عن المحاريح المعدة في
 جميع الحيوانات للدفاع كالرماح النائمة عن القرون الناحية
 والسيوف النائمة عن المخالب الحارحة لكن قوة الواحد من الشر
 لا تقاوم قوة الواحد من الحيوانات اللحم لاسباب المتفرقة هو عاجز
 عن مدافعتها وحده ولا تفي قدرته ايضاً باتحاد الآلات المعدة
 للمدافعة وحده مستقلاً بنفسه لكثرتها وكثرة الصانع اللازمة
 لاعمالها واستعمالها فلا بد له في ذلك كله من التعاون باسائه جنسه

فتم حكمة الله تعالى في نقائه وحفظ نوعه والآن لم يتيسر له
 عداؤه ولا المدافعة عن نفسه فيكون عرضة للخطر وفريسة للحيوانات
 وطعمة للطيور ويبطل نوع الشرفانا وجد التعاون حصل له
 القوت للغذاء والسلاح للمدافعة فظهر بما ذكر ان الاجتماع ضروري
 للنوع الانساني ثم اذا حصل هذا الاجتماع فلا بد لم من وارع
 وراذع يدفع بعضهم عن بعض لما في طماعهم الحيوانية من العدوان
 والظلم اذ ليس السلاح الذي جعل دافعاً للحيوانات العجم كافياً
 لدفع عدوانهم على بعضهم لانه موحود عند جميعهم فيجئند لا بد لم
 من شيء اخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يتصور ان يكون
 من غير حنسم لتصور مدارك جميع الحيوانات عن مداركهم فيعين
 ان يكون واحداً منهم وان يكون له عليهم العلة والسلطان حتى
 يتمكن بذلك من كسب القوي منهم عن الضعيف ويستخلص
 للعاهر من القادر ويتصرف للظلم من الظالم فيكسب شر بعضهم
 عن بعض بعدله ويعم الأمن جميعهم تحت دله وهذا هو معنى
 الملك فلا بد لم منه ولا بد ايضاً ان يكون متبراً عنهم بمخاض
 حتى يقع التسليم له والقول منه ليعد حكمه فيهم وعليهم من غير
 انكار ولا تريف ولكن لا يتم عر هذا الملك الا بالشرعية والقيام
 لله بالطاعة والتصرف تحت امره وبهيه ولا قوام للشرعية الا بالملك
 ولا عر الملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل
 الى المال الا بالعارة ولا سبيل للعارة الا بالعدل والعدل هو

الميزان المصوب بين الحقيقة ونصه الرب وجعله له فيها وهو الملك ولذا يقال لا ملك إلا بالحد ولا حد إلا بالمال ولا مال إلا بالمحراج ولا حراج إلا بالمعارة ولا معارة إلا بالعدل ولا عدل إلا باصلاح العمال ولا تصح العمال إلا باستقامة الورراء ورأس الكل نقد الملك احوال رعيته سمعه واقتداره على تأديبها حتى يملكها ولا يملكه وقد وضع في هذا المعنى دائرة جامعة لثاني كلمات حكيمية سياسية ارتبط بعضها ببعض وارتدت انحارها على صدورها فلا يعين طرفها وهي هذه وقد رسمتها لك في طهر الجواب لتعظم صورتها مع الورق الذي عندك في الدولاب

ثم قال لي بعد ذلك ان الحكومة تنقسم الى صورتين . الاولى الحكومة الجمهورية وهي ان يكون الحكم معوضاً لمجلس مركب من اعضاء تختارهم الرعية لادارة امور الملكة تحت قوانين يلزمهم العمل بها وعدم الخروج عنها . الثانية السلطة والحكومة الملكية وهو ان يكون زمام الحكم والتدبير والامر والنهي بيد شخص واحد وهو الملك وهذه ايضا تنقسم الى قسمين مقيدة ومطلقة لانه اما ان يكون الملك مقيداً بقوانين وشرائع لا يستطيع الخروج عنها الى هوى نفسه وهي الحكومة الملكية المقيدة واما ان يكون غير مقيد بشئ من ذلك يحكم برأيه ويصرف بهوى نفسه فيكون رأيه شريعة الملكة وحكمه قانونها وهي الحكومة الملكية المطلقة وتنقسم الادارة في الحكومة الى ادارة دبية وادارة سياسية وادارة عسكرية وادارة مالية

ولا يد لكل دولة من ايراد كافٍ لها وهو عبارة عن مجموع
مقادير مقررة على الرعية للقيام بما يلزمها من النفقات وتكون هذه
المقادير مضروبة على الاشخاص او على املاكهم وارضهم او على ما
يتحركون فيه ويستعملونه ويضم اليه ما يحدث من بعض العوائد
كالملكوس والحمارك ومتى كان ايراد الدولة غير كافٍ لما يلزمها
من المصارف الضرورية او ما تريد استحداثه من الامور النافعة
لعامة الرعية كاحراء الاسهر وعمل القاطر استدان ما يلزم لذلك
وقد كان الناس في ماضي احوالهم قبل اختلاط الامم وانصالم
متفرقين في شتات الارض تسكن كل امة في جريدة او قطعة من
القارة محدودة بالحمال او بالاسهر لا تخطط بغيرها الا عند بعض
حروب تكون بينها وبين من يليها من الناس وكانت مساكن
الناس في اول الامر متددة متفرقة ثم تصامت وتقاربت فحدث
من ذلك الكفور والقرى والبلدان والمدن فكانوا عائلًا على
شواطئ الاسهر والبحار وتارة في المواضع المرتفعة من الالودية وفي
البادر فوق الحمال وباردياد التمدن اتصلت المدن بعضها بواسطة
المسالك والطرق وكان غالب الطرق اولًا في المواضع المنخفضة
من الالودية للتوصل الى المحطات المشهورة ثم عملت طرق مقاطعة
لها ولم تعمل الطرق المولرية للحبال الا احيانًا ولما اتسع التمدن
وكثرت علائق الاحتياج ووجدت تلك الطرق غير كافية حدثت
الحجان الصاعية المقاطعة للاسهر والحمال وغير المقاطعة لها وصار

توزيع مروق ارتفاعاتها بواسطة احواس تعمل في محلات تقاطعها
وانصالها غيرها (وهي المعروفة بالهويسات جمع هويس محرف
حوض) ولانعدام بعض الحدود الطبيعية للارض بسبب اختراع
الطرق القاطعة لها فتح اعمال الحصون والتلاع لتغيير الحدود
والفصل بين المتجاورين من الامم وبعضهم ومع هذا فكانت الحدود
الطبيعية احسن فائدة لانها يتم شروط الامن والملكية واحسن
الحدود ما كان بالصحاري ثم ما كان بالابحار ثم ما كان بالبحال
ثم الاهر ولكن لما كانت تلك الحدود في الغالب لا تفي بتحصيل
الامن بين الامم المختلفة اضطرت الناس الى تكميلها بموانع صناعية
فشاء من ذلك اتحاد الحصون لحصول هذا الغرض وهي قسمان
ثابتة وغير ثابتة فالاولى هي الحصون الثابتة وتسمى بمصاريف كثيرة
ومؤنة كبيرة وتكون على رؤس الودية وسواحل البحار والامهار
ومحلات تقاطع الطرق وسائر المواضع التي ليس فيها موانع طبيعية
او فيها موانع غير كافية للحصن وهذه الموانع سواء كانت صناعية
او طبيعية لا تفي بالغرض المطلوب الا اذا استكملت شروطها من
الاتصال بعضها بحيث يكون بينها ارتباط يجمع العدو من الاستيلاء
عليها من غير ان يكون عرضة للاسر والتلف والخطر والثانية
اعني غير الثابتة هي السعن الحربية ثم كل من هذه الموانع الثابتة
وغيرها لا تقوم بنفسها في صد العدو والحماية عن الدولة والامة بل
لا بد من طائفة من رجال الامة يقومون عليها ويدافعون عن

المملكة وأهلها وهذه الطائفة التي تقوم بأمر المدافعة إما أن تكون
 عساكر مخصوصة معدة لهذا الأمر مستعدة للسير والسفر إلى كل
 جهة تؤثر بالمسير إليها فيكون لها علوفات ومرتبات بقدر الكفاية
 وإما أن تكون رديفًا يطلب عدد الاحتياج وليس له علوفه ولا
 مرتب وبعض هذه العساكر يكون في البر وبعضهم في البحر في
 البحر وتتجسس البرية في ثغلات أحواضها إلى القلاع والحصون
 الأرضية وتتجسس البحريّة إلى الميناء المحصنة قال ولذلك تعاضل
 شرحها بطول ولك الآن في هذا القدر متع وكفاية وسعيل
 إن شاء الله بالتدرج للعناية



المسامرة السادسة والعشرون
ختم كتاب مرهان الدين

هذا آخر ما التفتاه عليّ من هذه المسائل ككتبه ليتفجع به
أخوتي كما ذكرت وتعلي درحة اجتهادي واشتغالي بما حررت
وأنا أرجو أن لا تحرميني من وعظك وإتحاف رقيق لفظك ولا
تكتفي عني شيئاً من أمرك فاني متشوق لجميع خبركم ونحن بفضل
الله في صحة تامة مجتهدين في تعلم اللغة الانكليزية والذي مع
صاحبه وأنا مع صاحبي وفي بعض الاوقات احضر مع والذي
بعض دروسه واتقّل ما احده في كراريسه وأما المحوّل فانه
رجل ذو لطف وادب لم يتغير عن أسلوبه لحظة ولم اسمع منه
ما يخل بشرف اللمعة ملتزماً معاً حسن السيرة ورأفته بما لا توصف
ومعاملته معاً قل في غيره أن تعرف لا يترك فرصة فيها سرورنا إلا
حلبها ولا يعلم تغير طبعها من حصلة الا اجنبها أحلّ والذي
في رأيه وغرضه محل سنته وفرضه فشكر الله مسعاه ووقته لطريق
الصواب وهذا وإن سألت عن اقامتنا في السفينة فاقول أن
القمرة التي كانت أعدت فيها لنا عبارة عن خزنة صغيرة تريد في

الارتفاع عن قامة الانسان بقدر مَدِّ الذراع وطولها طوله سواء
 يسوا وبها كوة لدخول النور والهواء ولكنها في غالب الاوقات
 مقفولة خوفاً من دخول الماء وبكل قمرة فرش للجلوس والنوم
 على حسب عادة القوم وفيها المارقي وآنية معدة لما عساه يحصل
 من القيء وما يعنري الانسان في بعض الاوقات من الشيء
 ولكن القيء لم يحصل لنا الا قليلاً لان البحر مدة السفر كاد ان
 يكون ساكناً فلم يحصل لمركبنا اضطراب الا في اوقات قليلة
 فكت ارفد وادفع صرره هذه الحيلة وانما حصل لوالدي مرتين
 وذلك في اثناء الامر وكاتنا خبيعتين وعد دخولنا السفينة
 وصعودنا على ظهر البحر شمسا له روائح مائية رديئة اعدمت ما
 شهوة الاكل فتركناه بالكلية الى ان قال لنا الانكليزي على وجه
 الصيغة سبب ما يعلمه بالبحر لكثرة اسفاره لا بد لراكب
 السفينة من الاكل ولو تكلف لانه اذا كانت معدته خالية
 اصابه الدوار بسبب اضطراب السفينة وفترت قوته فالاولى
 للانسان ان يتحامل على ان يتناول من الطعام ما يقوي بدنه
 ليشدد ويقوى على حركة البحر واضطراب السفينة فامتثلنا ومعلمنا
 واسترحا بذلك الى ان وصلنا وانما كانت القمرة تضيقا وترتيب
 فراش النوم لا يوافقنا لاننا كنا ننام على شيء شبيه بالدرج على
 قدر الانسان لا يكاد يزيد عنه وكان محلي فوق محلي والدي
 وكنت اردت اولاً ان امتنع من ذلك فأبى والدي حفظه الله

الا ان انام كما رتبوا وقال لي الضرورات تنج المحظورات واما
الطعام فكان في الكثرة فوق المرام لانما كنا ندعى للأكل حرفة
اليوم واللييلة خمس مرات وكانت الاطعمة حسنة نظيفة الا انها
قليلة الملح والضح فكانا نعاصها لعدم اعتيادنا على مثلها في بلادنا
وكان ائتماننا في اغلب الاحيان بالحنن والريجون والسكك
المعروف بالسردين واشاء ذلك وهكذا حرم لا يشه حرمنا فلا
ادري أهو من المحطة ام غيرها ولو وجدنا سواء ما أكلناه وكثيراً
ما سمعت والذي يقول لو علمت حال الحبر من قبل لتزودنا
حزناً غيره من الاسكندرية ولما رأى الانكليزي عدم رعبنا صار
يعيده لنا في البار ويشويه ويأتي لنا كل يوم بدحاجة فيذبحها
والذي وانا اتولى طهيها بيدي وأكثر لنا من المربيات
فكما نأتمم بها في بعض الاوقات وبالحيلة فقد انقضت ايام
السفر ولم يحصل لنا في السعيه اذى ضرر والآن وصلنا نهر
مرسيليا وبعد ثلاثة ايام تقور وركب عربة السكة الحديد
وتوجه الى مدينة باريس وهي قاعدة بلاد الفرنسيين فانا
وصلنا الى هناك بعون الله ومشيت به سطرت لك خطانا غير
هذا اضمه ما اراه وما اسمعه بعد الآن ورحائي ان يدوم لي حسن
رضاك في جميع الحال والاحوال هو لي هاية الامال ورأس مال
القول والاقوال وارجو ايضاً ان تبلي ادكي التحيات الى احوالي
وعائتي واقبل يد خالي العزيز ادام الله بقاءه ويسر لي لقاءك

وثقاه وارجو منه ان يقراني الفاتحة ب مقام الاملمين لعلم الله تعالى
 يودنا سليمين بلغنا الله واياكم الامال وجمعنا في احسن
 الاحوال امين والمحمد لله رب العالمين

ثم انه ختم الجواب وظرفه واذا بالحواجا دخل عليه وسأله
 عن الوالد فقال له ان عنده بعض فتور وقد اضطجع في فراشه
 ليستريح فان شئت ذهبت اليه لانيه فمعه عن ذلك وقال
 اني متظره في محرتي فاذا قام فاحبره فاحابه برهان الدين لذلك
 ثم اراه ذلك الكتاب في ظرفه وقال له هذا كتاب سطرته الى
 والدتي بمصر ناخذن والدي واريد ارساله اليها فارجوكم ان تفضل
 بتوصيله الى البوسطة فقال حيا وكرامة واخذه وتكمل بتوصيله
 وانصرف

انتهى الجزء الاول



هرست الجزء الاول

من كتاب

علم الدين



صفحة	المسامرة	في
٢	مقدمة الكتاب	
٦	الاولى	السمر
٢٢	الثانية	السمر والعودة
٢٨	الثالثة	الزواج
٣١	الرابعة	العيلة
٣٤	الخامسة	محاورة
٦٩	السادسة	السامح الانكليزي
٨٨	السابعة	الحكمة الخديوية
١٢٢	الثامنة	طيطا
١٢٦	التاسعة	الموالد والاعباد والمواضع
١٦٤	العاشر	شني
١٨٥	الحادية عشرة	الحانات واللوكندات
١٩٩	الثانية عشرة	النساء
٢١٥	الثالثة عشرة	البوستان

صفحة	المسامرة	ب
٢٢٠	الرابعة عشرة	المكتاتبة
٢٢٧	الخامسة عشرة	الملاحاة
٢٤١	السادسة عشرة	التعلم والتعليم
٢٥٨	السابعة عشرة	البحر وعجائنه
٢٨٥	الثامنة عشرة	المرآكون
٢٠٢	التاسعة عشرة	شذور
٢٢١	العشرون	العرب
٢٤٧	الحادية والعشرون	كتاب برهان الدين
٢٥٢	الثانية والعشرون	برهان الدين وصاحبه (تكملة من الكتاب)
٢٦٢	الثالثة والعشرون	المخترعة والمراجع (تكملة من الكتاب)
٢٦٩	الرابعة والعشرون	العبادات (تكملة من الكتاب)
٢٧٦	الخامسة والعشرون	الاسماء وهماة الاجتماع (تكملة من الكتاب)
٢٨٢	السادسة والعشرون	خاتم كتاب برهان الدين



تقريظ الكتاب

ما نسج الأيدي بيد، وإنما يعني لنا ما تسج الأقدام
 الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين
 وبعد فاني تصدقت هذا الكتاب بل العجب العجيب الذي سميت للشيخ علم
 الدين روليه وأسندت للسائح الاسكندري حكايته فوجدته بركة للناس وسلوة
 للخواطر فيه للقلوب ارتياح وللخواطر نشاط وإنشراح تعرب مناه عن لطف
 معانيه ومعجم روائع المأخذ الرائقة عن بدائع مصابيه الفائقة ويشهد لمؤلفه
 بعلو المقادير والمهنة بحسن الاختيار جمع فيه من غرائب النون وقائص
 المجد والهيون الضرب والنون وقرن الى اسنى المقاصد اشرف المطالب فصيح
 انه المرغوب لكل طالب اطهر فيه ما خفي من اسرار الصانع وكشف عن
 وجه ممدرات العلوم الرائقة واصاف الى ذلك من حكم الحكماء ما اعلمته
 القدماء. وشيخه لطائف النواذر وما عرذت به الأناظر وأطهرته في هذا
 الدور الاخر فهو مخترع لجميع المحترقات جامع وبدع في بيان معاني
 المسدعات جامع يتفصل من فصل الى فصل وبحكم الوصل بما انداء من عند
 فكان مؤلفه المصالح بقول فيه لسان الحال

تصدت في انعام فكري لجمعه فحاء كتابا في الها لا يشارك
 وكنت بحمد الله فيه موقنا فإسعي علي في الامام مبارك
 فله در من انشاء وطرار الحس والاحسان وشاء فانه اجاد وسلك
 طريق السداد وبلغ به ما فوق المراد بلعه الله تعالى اماميه وكنت حاسد
 وشايبه ولا زال متواصل القاء دائم الارضا نعمة للباله وابامه بزياد الوحد
 ما تار افلامه مغتما للثناء الجميل والاحر الجبريل بحمرة سيد الامام الذي
 يحسن ذكره الذن والحنان

وكنته الغير المعترف بالتصوير تراب اقدام العلماء عند التحليل من
 عبد السلام راده المذني في واسط شعاع المعظم سنة اربع وتسعين ومائتين
 والى بالهروسة حامدا مصليا